المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



(٠٣٢)

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

المسائل العقدية في خطب النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب الستة

« جمعاً ودراسة»

رسالة علميّة مقدّم لنيل الدرجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب

عمرو أبو الجود قناوي بربري

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور

عبد العزيز بن صالح الطويان

العام الجامعي ١٤٣٩ - ١٤٤٠هـ



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونتوب إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

وبعد:

فإن من نظرَ في خطبِ النبي ﷺ وجدها مشتملة على أصول الدين مما يجبُ اعتقادُه على كل أحد، من الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، والإيمان بالرسل، والكتب المنزلة، والملائكة، والقدر، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من أهوال، وجنة ونار، وما يسبق ذلك من علامات لهذا اليوم العظيم تدل على قربه- كل هذا بعبارات موجزة بليغة.

قال ابن القيم رحمه الله: «كانت خطبته ﷺ، إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أموراً مشتركةً بين الخلائق، وهي النوح على الحياة، والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيماناً بالله، ولا توحيداً له، ولا معرفةً خاصة به، ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون، وتقسم أموالهم، ويبلي التراب أجسامهم، فيا ليت شعري أي إيمان حصل بهذا؟! وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به؟. ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهُدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصولِ الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكرِ آلائه تعالى التي تُحبِبُه إلى خلقه، وأيامِه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره، وذكره ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم، ثم طال العهد وخفي نور النبوة، وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا

لا ينبغي الإخلال بها وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر، وعلم البديع، فنقص بل عدم حظ القلوب منها، وفات المقصود بها»[1].

ولما كانت الكتب الستة (البخاري–مسلم–أبوداود–النسائي–الترمذي–ابن ماجه)مشتملة على أكثر هذه الخطب النبوية رأيت جمعها، واستخراجَ ما فيها من مسائلَ عقديةٍ ودراستِها فاجتمع لدي ما يزيد على مائة خطبة من جوامع كلمه ﷺ، فأحببت أن تكون رسالتي في مرحلة العالمية (الماجستير) حول هذا الموضوع، وسميته:

(المسائل العقدية في خطب النبي ﷺ في الكتب الستة جمعاً ودراسة)

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع في:

١/ أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة، فالاهتمام بخطبه ﷺ والعناية بها اهتمام بهذا المصدر الأساسي.

٢/ أن هذه الخطب مشتملة على ما تبرأ به ذمة العبد إذا مات معتقداً ما فيها.

٣/ ضرورة معرفة هديه ﷺ في خطبه حتى يتأسى به الخطباء من بعده ويبينوا للناس ما يجب عليهم اعتقاده؛ لأن خطبة الجمعة يجتمع فيها كثير من المسلمين الكبير والصغير العالم والأمي.

٤/ بيان نصحه ﷺ الكامل لأمته من خلال خطبه فتزداد محبته في قلب العبد.

---

(١) «زاد المعاد»، لابن القيم (١/٤٠٩-٤١٠).

أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أسباب اختياري للموضوع إلى:

١/ حث أهل العلم على الاهتمام بخطب النبي ﷺ وبيان أنها مشتملة على أصول الإيمان الكلية.

٢/ ارتباط موضوع البحث الوثيق بالمصدر الثاني من مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

٣/ رغبتي في أن أضيف للمكتبة الإسلامية رسالة مشتملة على ما صح من خطبه ﷺ وبيان ما تضمنته من مسائل عقدية.

٤/ أن معرفة هديه ﷺ في خطبه يثمر محبته وتقديم ما جاء به على أهواء النفوس، وهي من الإيمان.

٥/ معرفة هديه ﷺ في خطبه يجعل الإنسان على بصيرة بما يتكلم به في المحافل والخطب.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثي لم أجد رسالة علمية أبرزت الجانب العقدي في خطب النبي ﷺ من خلال كتب السنة، أو حتى من غيرها، وإنما وجدت رسائل تبين الجانب العقدي في حديث واحد من أحاديثه ﷺ- سواء كان هذا الحديث خطبة أم لا، أو إبراز الجانب العقدي من خلال مجموعة من أحاديثه ﷺ يجمعها وصف واحد اعتمده الباحث كالوصايا، أو الأحاديث التي يتوهم منها الإشكال.

وبيان هذه الدراسات كالآتي:

١/ المباحث العقدية المتعلقة بحديث العرباض بن سارية رضي الله عنه

الباحث: عمر طلال حمدان

رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

موضوع الرسالة: هو إبراز المباحث العقدية التي اشتمل عليها حديث العرباض بن سارية – رضي الله عنه– الذي هو خطبة واحدة من خطبه ﷺ فكان محور رسالته حول هذا الحديث.

الفارق بين الرسالتين: أن موضوعي مشتمل على إبراز المسائل العقدية من خلال خطبه ﷺ التي وردت في الكتب الستة والتي بلغ عددها عندي أكثر من مائة خطبة، وهذه الرسالة مشتملة على الكلام على خطبة واحدة.

٢/ المباحث العقدية في حديث الشفاعة جمعا ودراسة

الباحث: شادام حسين

رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

موضوع الرسالة: بيان المسائل العقدية المشتمل عليه حديث الشفاعة

٣/ المباحث العقدية في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه – إنا كنا في جاهلية وشر..

الباحث: إقبال غنوان

رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

موضوع الرسالة: بيان المسائل العقدية المشتمل عليها حديث حذيفة– رضي الله عنه– المشهور في الفتن.

٤/ الجانب العقدي من خلال خطب النبي – ﷺ–

الباحث /عبدالمجيد معلومي رسالة دكتوراه بجامعة مُحَمَّد الخامس بالمغرب، لكن مؤلفها أشعري العقيدة ويقرر المذهب الأشعري، والدليل على ذلك أمور

أولاً/ للباحث كتابات في ذلك في عدة مواقع[١]

---

(١) مثل: موقع (مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية)http: //www. achaari. ma

ثانياً/ له دروس مرئية في تقرير مذهب الأشاعرة والتأصيل له.

منها على سبيل المثال :

١/ (المذهب الأشعري مراحل نشأته وتطوره)

٢/ (منهج علماء الأشاعرة في الأسماء)

٣/ (منهج علماء الأشاعرة في الصفات)

٤/ (منهج علماء الأشاعرة في التوحيد)

ثالثاً/ له مقال على موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب بعنوان(منهج علماء الأشاعرة في خلق الأفعال) قرر فيه مذهب الأشاعرة في الكسب قال: [واختلفت آراء المسلمين في هذه المعضلة، وتوزعت أنظارهم، فمن قائل بأن الإنسان خالق لأفعاله، وإلى قائل الجبر، ثم إلى قائل بالتوسط. والعدل هو المذهب المتوسط بينهما الذي يتزعمه مؤسس المذهب الأشعري أبو الحسن الأشعري][١]

٥/ خطب الرسول –ﷺ–عرضا وتحليلاً ودراسة

الباحث/ عبدالباقي أحمد محمد الصغير

وهي رسالة ماجستير بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر.

اشتملت على عشرة فصول مقسمة على بابين كالآتي:

الباب الأول: الخطب المكية، وتحته ثلاثة فصول:

الفصل الأول: خطب إعلان الدعوة إلى الله.

الفصل الثاني: خطب فتح مكة.

الفصل الثالث خطبة الوداع.

(١) http: //www. habous. gov. ma

الباب الثاني: الخطب المدنية، وتحته سبعة فصول:

الفصل الأول: خطب العقائد

واشتملت خطب العقائد عنده على: (معالجة انحراف عقيدة أهل الكتاب عن العقيدة الفطرية السليمة، وركز على محاربة بدع الجاهلية كالعدوى والطيرة وغيرها مبيناً أن الله هو الفعّال لكل شيء وأن الأسباب لا تؤثر بذاتها فلا تأثير للعدوى إلا بمشيئة الله.

وأيضاً على ما يجب اعتقاده في ذات الله وأنه متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص، وأنه لا يُرى في الدنيا، وأن الملائكة موجودون وتجوز رؤيتهم للأخيار بحال حسن).

الفصل الثاني: خطب العبادات

الفصل الثالث: خطب المعاملات.

الفصل الرابع: خطب الاسرة.

الفصل الخامس: خطب الجهاد في سبيل الله.

الفصل السادس: الترغيب في الآخرة والتحذير من فتن الدنيا.

قال: (وفيه ذكرت فضل الترهيب من فتنة القبر وفتنة المسيح الدجال، ومصدر الفتنة، وان فشو الكذب آخر الزمان والشهادة بدون استشهاد والحلف بدون استحلاف نوع من الفتن، وذكرت الترغيب في الآخرة والجنة، والترهيب من النار، وذكرت خطب التحذير من التنافس على الدنيا ووجوب تغليب الخوف على الرجاء وإيثار الآخرة على الدنيا).

الفصل السابع: التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل.

الفارق بين الرسالتين:

الأول/ أن تناول الباحث للخطب كان من جانب دعوي ثقافي، لا عقدي، ويظهر ذلك من خلال أمرين:

الأمر الأول: أن الباحث نص في منهج البحث أنه سيكتب المعنى العام للخطبة، وكذلك كتابة ما ترشد إليه الخطبة، فقال: (كتبت معاني المفردات الغريبة في الخطبة إن وجدت و كتبت المعنى العام للخطبة (أو للخطب في موضوع واحد) إن احتاج الامر إلى ذلك، وكتبت ما ترشد إليه الخطبة (أو الخطب في موضوع واحد) تحت عنوان ماترشد إليه الخطبة

الأمر الثاني: أن الرسالة في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية.

ورسالتي تدور من أولها إلى آخرها على استنباط المسائل العقدية من خطب النبي- ﷺ-وترتيب هذه المسائل وفق ما ذكرته في الخطة.

الثاني/ أن الباحث قسم رسالته إلى عشرة فصول موزعة على بابين لم تظفر خطب العقائد إلا بفصل واحد من العشرة –الفصل الأول من الباب الثاني- وبقية الفصول في موضوعات شتى مثل(خطب فتح مكة-خطب العبادات-خطب المعاملات –خطب الأسرة- خطب الجهاد.. إلى غير ما ذكر من الفصول، ورسالتي جميع فصولها في أبواب الاعتقاد.

٦/ أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين–دراسة وترجيح–.

للباحث/ سليمان بن مُحَّد الدبيخي رسالة ماجستير في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى

موضوع الرسالة: هو بيان الأحاديث التي توهم بعض الناس فيها التعارض، وإزالة هذا التعارض المتوهم حسب القواعد التي رسمها أهل العلم في دفع التعارض، وحصر الباحث نطاق البحث في الصحيحين، ورتبه وفق ماجاء في حديث جبريل.

محتويات الرسالة: اشتملت الرسالة على ستة وعشرين مسألة مضمنة في ستة وعشرين مبحثاً موزعة على ثلاثة أبواب **ولم تشتمل إلا على خمسة أحاديث من صلب رسالتي والتي هي في الخطب.**

وبيان هذه الستة كالآتي:

١/ حديث عبد الله بن عمر، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده، وقبض بيده فجعل يقبضها ويبسطها»، ثم يقول: «أنا الجبار، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ "، قال: " ويتميل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** عن يمينه وعن يساره، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله ﷺ»[١]

٢/ حديث أبي موسى، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: « إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »[٢].

٣/ حديث جابر الطويل في حجة الوداع وفيه« ... وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ " قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال: بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس «اللهم، اشهد، اللهم، اشهد" ثلاث مرات.... »[٣].

٤/ حديث جرير أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: «استنصت الناس" فقال: «لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى لما خلقت بيدي) (٩ / ١٢٣) برقم: (٧٤١٢)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب صفة القيامة والجنة والنار) (٨ / ١٢٦) برقم: (٢٧٨٨)

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ إن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور) (١ / ١١١) برقم: (١٧٩).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الحج - باب حجة النبي ﷺ) (٤ / ٣٨) برقم: (١٢١٨).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب العلم ، باب الإنصات للعلماء) (١ / ٣٥) برقم: (١٢١) ، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان ، باب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) (١ / ٥٨) برقم: (٦٥)

٥/ حديث تميم الداري الطويل في صحيح مسلم عن الجساسة[١]

وقد ضمن هذه المباحث ثلاثة مطالب ومشى على ذلك في جميع أبواب الرسالة، فيذكر المبحث ثم يذكر تحته المطالب التالية:

المطلب الأول: ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض —بيان وجه التعارض

المطلب الثاني: مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض.

المطلب الثالث: الترجيح.

وهذه عناوين المباحث مجملة:

١/ العدوى.

٢/ الطيرة.

٣/ الرقى.

٤/ الكي.

٥/ الحلف بغير الله تعالى.

٦/ ما جاء في بعض الألفاظ الموهمة للتشريك في الربوبية.

٧/ ما جاء في قوله ﷺ (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب).

٨/ ما جاء في قوله ﷺ (كلتا يديه يمين)

٩/ ما جاء في صفة الرحمة لله ﷻ

١٠/ ما جاء في علو الله وفوقيته مع ورود نصوص المعية والقرب.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب فِي خروج الدجال ومكثه فِي الأرض ونزول عيسى وقتله إياه) (٨ / ٢٠٣) برقم: (٢٩٤٢).

١١/ رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ.

١٢/ ماجاء في مؤاخذة من أساء في الإسلام بعمله في الجاهلية.

١٣/ أحاديث الوعد والوعيد.

١٤/ مكان سدرة المنتهى.

١٥/ ما جاء في ابن صياد هل هو المسيح الدجال أم غيره.

١٦/ ما جاء في الدخان هل مضى أم لم يأت بعد.

١٧/ ما جاء في تعذيب الميت ببكاء أهله عليه.

١٨/ ما جاء في قلة النساء وكثرتهن في الجنة.

١٩/ زيادة العمر بصلة الرحم.

٢٠/ ما جاء في أن الشقي من شقي في بطن أمه مع ورود ما يدل أن كل مولود يولد على الفطرة.

٢١/ (والشر ليس إليك)

٢٢/ حكم أولاد المشركين في الآخرة.

٢٣/ ما جاء في (اللو)

٢٤/ وقت كتابة الملك ما قدر للعبد في بطن أمه.

٢٥/ حكم التفضيل بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٢٦/ عدد أجزاء النبوة التي منها الرؤيا.

الفارق بين الرسالتين:

من خلال ما سبق يتضح الفارق بين الرسالتين ويمكن إجمال الفوارق في الآتي:

١/ أن هذه الرسالة قائمة على إزالة إشكالات متوهمة حول أحاديث في الصحيحين، ورسالتي في إبراز المسائل العقدية من خلال خطب الرسول ﷺ، وبيان

كيفية اشتمالها على بيان أصول الدين من خلال استقرائها من خلال الكتب الستة وتحليلها لبيان المقصود.

٢/أن هذه الرسالة في الرد، ورسالتي مجالها التقرير لا الرد إلا في بعض المواضع التي قد أحتاج فيها إلى الرد بشكل موجز.

٣/ أن رسالة الباحث لم تشتمل إلا على خمسة أحاديث فقط من الخطب والبالغ عددها عندي فوق المائة.

وبهذا يتبين الفارق بين الرسالتين.

٧/ أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين.

للدكتور /سليمان بن مُحَمَّد الدبيخي

وهي رسالة دكتوراة من قسم العقيدة كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

موضوع الرسالة: هي امتداد لرسالة الباحث في الماجستير، حيث أكمل فيها ما ابتدأه هناك من إزالة التعارض المتوهم حول أحاديث وردت في الصحيحين كما نص الباحث على ذلك.

محتويات الرسالة: تشتمل الرسالة على أربعٍ وثلاثين مسألة مقسمة على أربعٍ وثلاثين مبحثاً موزعة على ثلاثة أبواب ولم تشتمل إلا على ثلاثة أحاديث من صلب رسالتي والتي هي في الخطب.

بيانها كالآتي:

الأول/ حديث أم الحصين رضي الله عنها، قالت: حججت مع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حجة الوداع، قالت: فقال رسول الله ﷺ قولاً كثيراً: ثم سمعته، يقول: (إن أمر

عليكم عبد مجدع – حسبتها قالت: أسود – يقودكم بكتاب الله، فاسمعوا له وأطيعوا) [١].

الثاني/ حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذكر رسول الله ﷺ يوماً بين ظهراني الناس المسيح الدجال، فقال: «إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور، عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية»، قال: وقال رسول الله ﷺ: " أراني الليلة في المنام عند الكعبة، فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من أدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر يقطر رأسه ماء، واضعا يديه على منكبي رجلين، وهو بينهما يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا المسيح ابن مريم، ورأيت وراءه رجلاً جعدا قططا، أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن، واضعا يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا المسيح الدجال »[٢].

الثالث/ حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا، ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده، وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤]، ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا إنه يجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيدا، ما دمت فيهم﴾ [سورة المائدة ١١٧] إلى قوله ﴿شهيد﴾ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»[٣].

---

(١) مسلم(١٤٦٨/٣ ح١٨٣٨)

(٢) البخاري(١٦٦/٤ ح٣٤٣٩)، مسلم (١٥٥/١ ح١٦٩) وذكرته هنا مع أنه ليس بخطبة ولكن ورد في حديث تميم الداري في صحيح مسلم عن الجساسة أن النبي ﷺ صلى ذات يوم، وصعد المنبر، وكان لا يصعد عليه قبل ذلك، إلا يوم الجمعة، فاشتد ذلك على الناس فمن بين قائم وجالس، فأشار إليهم بيده، أن اقعدوا... وذكر الحديث.

(٣) البخاري(٩٧/٦ ح٤٧٤٠)

وقد ضمن هذه المباحث ثلاثة مطالب وطرد ذلك في جميع أبواب الرسالة، فيذكر المبحث ثم يذكر تحته المطالب التالية:

المطلب الأول: سياق الحديث المتوهم إشكاله وبيان وجه الإشكال.

المطلب الثاني: أقوال أهل العلم في هذا الإشكال.

المطلب الثالث: الترجيح.

وهذه مجمل المباحث التي اشتملت عليها الرسالة:

١. (خلق الله آدم على صورته)

١. (وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة)

٢. (إن لله تسعة وتسعين اسما)

٣. (لا يمل الله حتى تملوا)

٤. (مرضت فلم تعدني..)

٥. (ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله)

٦. (ما ترددت عن شيء أنا فاعله)

٧. (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به..)

٨. (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)

٩. (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر..)

١٠. (الرحم شجنة من الرحمن)

١١. إثبات الحقو صفة لله تعالى

١٢. (فإذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني)

١٣. (حج آدم موسى)

١٤. (خلق الله التربة يوم السبت)

١٥. (لا يدخل أحداً الجنة عمله)

١٦. (نحن أحق بالشك من إبراهيم)

١٧. ما جاء في سحر النبي ﷺ

١٨. ما جاء في إرسال الشهب على الشياطين

١٩. (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل) مع قول أبي هريرة: (أوصاني خليلي بثلاث)

٢٠. حديث شريك في الإسراء

٢١. لطم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لملك الموت

٢٢. (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي) مع قوله: (لا يزال هذا الأمر في قريش...)

٢٣. (لا تزال طائفة من أمتي..) مع قوله: (لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق)

٢٤. (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها)

٢٥. ما جاء في طواف الدجال بالبيت مع ما ورد من أنه لا يدخل مكة ولا المدينة.

٢٦. (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان)

٢٧. (أن تلد الأمة ربتها)

٢٨. (أحاديث الميزان في ما الذي يوزن)

٢٩. (إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون)

٣٠. (طوبى له عصفور من عصافير الجنة)

٣١. (وإن ناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)

٣٢. شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب

٣٣. ما جاء في سماع الأموات

الفارق بين الرسالتين:

من خلال ما سبق يتضح الفارق بين الرسالتين ويمكن إجمال الفوارق في الآتي:

١/ أن هذه الرسالة قائمة على إزالة إشكالات متوهمة حول أحاديث في الصحيحين، ورسالتي في إبراز المسائل العقدية من خلال خطب الرسول ﷺ، وبيان كيفية اشتمالها على بيان أصول الدين من خلال استقرائها من خلال الكتب الستة وتحليلها لبيان المقصود.

٢/أن هذه الرسالة في الرد، ورسالتي مجالها التقرير لا الرد إلا في بعض المواضع التي قد أحتاج فيها إلى الرد بشكل موجز.

٣/ أن رسالة الباحث لم تشتمل إلا على ثلاثة أحاديث فقط من الخطب والبالغ عددها عندي فوق المائة.

وبهذا يتبين الفارق بين الرسالتين.

٨/ الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم من خلال الكتب التسعة (جمعاً ودراسة)

للباحث/ أحمد بن عبدالعزيز المقرن القصير

رسالة دكتوراة في قسم التفسير وعلوم القرآن –جامعة أم القرى.

موضوع الرسالة: هو رفع الإشكال المتوهم من الأحاديث الواردة في تفسير القرآن، سواء كان هذا الإشكال بين الأحاديث نفسها، أو بين الأحاديث والآيات، وكانت حدود البحث داخل الكتب التسعة.

محتوى الرسالة: اشتملت رسالة الباحث على إحدى عشرة مسألة يصدر كل مسألة بآية من القرآن، ثم يتبعها بالأحاديث التي توهم التعارض، ثم يذكر أقوال أهل العلم ومسالكهم لدفع ذلك التعارض ومن ثم يرجح بينها.

الفارق بين الرسالتين:

ويمكن تلخيص الفوارق بين الرسالتين في النقاط التالية:

أولاً/ أن رسالة الباحث في مجال الدراسات القرآنية كما نص الباحث على ذلك، ورسالتي في تخصص العقيدة.

ثانياً/ أن مضمون رسالة الباحث هو دفع الإشكال المتوهم للأحاديث الواردة في تفسير القرآن سواء كان هذا الاشكال في ذات الأحاديث، أو فيما بينها وبين الآيات، وبيّن الفرق بين الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن وبين مشكل الحديث، بينما مضمون رسالتي ليس في دفع إشكالات، وإنما في تقرير مسائل الاعتقاد التي اشتملت عليها خطب الرسول ﷺ من خلال الكتب الستة ودراسة هذه المسائل وفق ما جاء فيها.

ثالثاً/ أن الباحث في رسالته لم يقتصر على رفع الإشكالات في جانب العقيدة فحسب، وإنما تطرق-أيضاً-لمسائل فقهية كما في مسألة (إيجاب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني)وغيرها من المسائل، بينما رسالتي فهي تبحث في المسائل العقدية فحسب، وحتى لو تطرقت الخطبة لمسألة فقهية فإني لا أتعرض لها؛ حتى يكون البحث موضوعياً.

وبهذا يتبين الفارق بين الرسالتين.

٩/ المسائل العقدية الواردة في الوصايا النبوية جمعاً ودراسة.

رسالة ماجستير بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

موضوع الرسالة: هو دراسة المسائل العقدية التي وردت في وصايا النبي **صلى الله** عليه وسلم.

الفارق بين الرسالتين:

يظهر الفارق بين رسالتي ورسالة الباحث في أن مجال بحثه في الوصايا فقط حيث نص على ذلك في المقدمة فقال: ويقتصر البحث على الوصايا النبوية التي وردت بلفظ (أوصى) أو أحد مشتقاته (وصى، و أوصى، وأوصيكم، وأوصاني، وأوصانا، ووصية) أ. هـ

ورسالتي تدور حول الخطب، وليس فيها من الوصايا –حسب الضابط الذي ذكره الباحث–إلا ثلاثة أحاديث فقط.

وبهذا يتبين الفارق بين الرسالتين.

١٠/ المسائل العقدية الواردة في القصص النبوي عن الأمم الماضية من خلال الكتب الستة.

للباحث/ طارق مُحَمَّد عبدالعزيز مشكاك

رسالة ماجستير بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

موضوع الرسالة: هو جمع القصص النبوي من خلال الكتب الستة ودراستها دراسة عقدية من خلال ما ورد فيها من مسائل عقدية.

محتوى الرسالة: اشتملت الرسالة على سبع وعشرين قصة، لا يوجد فيها خطبة واحدة مما أوردته.

الفارق بين الرسالتين: ويمكن تلخيص الفرق بين الرسالتين في الآتي:

أولاً/ أن رسالة الباحث في القصص، ورسالتي في الخطب.

ثانياً/ أن مجموع ما أورده من قصص سبعاً وعشرين قصة (حديثاً)، ليس فيها خطبة واحدة مما أوردته في رسالتي.

وبهذا يتبين الفارق بين الرسالتين.

١١/ فتاوى الرسول ﷺ في أصول الإيمان من خلال الكتب الستة–جمعاً ودراسة–.

للباحثة/ وصال بنت عبدالعزيز الحسن

رسالة ماجستير بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود

موضوع الرسالة: هو جمع فتاوى الرسول ﷺ –بحسب الضابط الذي وضعتها الباحثة–والكلام عنها بشكل مختصر جدا دونما تفصيل حيث نصت الباحثة على ذلك، إلا في بعض المواطن

محتوى الرسالة: اشتملت الرسالة على الأحاديث التي وردت في الكتب الستة وكانت متضمنة لجواب يتعلق بالاعتقاد من النبي ﷺ على إثر سؤال سأله إياه الصحابة أو أحدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومنهجها التي مشت عليه في الرسالة أنها تذكر الحديث ثم تذكر تحته أموراً أشبه بالمطالب وهي:

١/ المستفتي.

٢/غريب الحديث إن وجد.

٣/ الاستفتاء.

٤/ الفتيا.

وكل هذا بطريقة مختصرة جداً، وأحياناً تذكر تفصيلاً لبعض المسائل.

الفارق بين الرسالتين: ويمكن تلخيص الفوارق بين الرسالتين في النقاط التالية:

أولاً/ أن رسالة الباحثة في الفتاوى النبوية من خلال الكتب الستة، ورسالتي في الخطب من خلال الكتب الستة ولم أودعه إلا ما هو خطبة.

ثانياً/ أن الضابط التي وضعته الباحثة للفتاوى يُخرج الخطب منها، حيث ذكرت ثلاثة ضوابطٍ للفتوى وهي:

١/ أن يُسأل النبي ﷺ سؤالاً عقدياً، فيرد رداً عقدياً.

٢/ أن يُسأل النبي ﷺ سؤالاً عاما، فيرد رداً عقدياً.

٣/ أن تنزل الآية رداً على سائلٍ يسأل النبي ﷺ في العقيدة.

وبهذا يتبين الفارق بين الرسالتين.

١٢/ إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام سيدنا مُحَمَّد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والمطبوع باسم (خطب الرسول ﷺ ٥٧٤خطبة من كنوز الدرر وجوامع الكلم)

مُحَمَّد خليل الخطيب، وهو كتاب وليس رسالة علمية.

موضوع الكتاب: هو سرد أحاديث في موضوعات شتى منها ما هو خطب، ومنها ما ليس كذلك، ومن هذه الأحاديث الصحيح والضعيف –بل والموضوع.

محتويات الكتاب: اشتمل الكتاب على أربعٍ وسبعين وخمسمائة حديث، ليست كلها في الخطب بل ضمنها أحاديث في وصايا النبي ﷺ وغيرها من الأحاديث المرفوعة والموقوفة

ومنهجه في كتابه:

١/ يسرد الأحاديث سرداً.

٢/ يعزوها لمصادرها الأصلية وفي كثير منها لغير مصادرها أو بغير عزو(١).

٣/ جعل فيه الصحيح والضعيف، بل والموضوع(٢).

٤/ يبين الألفاظ الغريبة إن وجدت، ويذكر –أحيانا–المعنى الإجمالي.

٥/ جعل كتابه ستة عشر باباً ذكرها في المقدمة.

الفارق بين رسالتي وهذا الكتاب: من خلال ما سبق يتبين الفرق بين رسالتي وكتاب خطب الرسول ﷺ، حيث إن موضوعي رسالة علمية تقوم على استقراء خطب الرسول ﷺ من الكتب الستة ودراستها دراسة عقدية، وأما كتاب (خطب الرسول ﷺ) فهو سرد لأحاديث في موضوعات متعددة سواء كانت خطبة أم لا، ومع كونه يسرد

---

(١) انظر على سبيل المثال أحاديث رقم ٢٧٤، ٢٧٨

(٢) انظر على سبيل المثال أحاديث رقم ١٩٣، ٢١٣، ٢١٧، ٢٣٩

الأحاديث سرداً، أيضاً لم يشتمل الكتاب إلا على بضعٍ وستين خطبة من الخطب التي جمعتها إلى الآن والتي تجاوزت المائة.

١٣/ المرويات عن النبي ﷺ في خطب الجمعة والعيدين والمناسبات الإسلامية،، للباحث عبدالملك بن سالم بن حمود السيابي، وهي رسالة ماجستير في قسم الحديث بالجامعة الأردنية.

وغيرها من الرسائل التي لم تستقرأ خطب النبي —ﷺ— ودراستها دراسة عقدية وهي حرية أن تُجمع ويستخرج ما فيها من مسائل الاعتقاد؛ لأن كلامه —ﷺ— أبلغ وأجمع من كلام غيره من البشر.

خطة البحث

وقد قسمت خطة البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة.

- **المقدمة: وقد اشتملت على:**

أهمية البحث.

أسباب اختيار البحث.

الدراسات السابقة.

- **تمهيد**. وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخطبة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: بيان ضابط الخطبة وأنها لا تستلزم صعود المنبر.

المبحث الثالث: تعريف المسائل العقدية.

المبحث الرابع: تعريف الكتب الستة في اصطلاح المحدثين.

المبحث الخامس: أساليب النبي ﷺ في خطبه ومدى تأثيرها في تقرير الاعتقاد.

المبحث السادس: شبهة أن خطب النبي- ﷺ-مفقودة، والرد عليها.

- **الباب الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الله في خطب النبي- ﷺ- وتحته ثلاثة فصول:**

- **الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الربوبية في خطب النبي- ﷺ-.**

- **وتحته خمسة مباحث:**

المبحث الأول: انفراد الله بالخلق.

المبحث الثاني: فطر الله الخلق على التوحيد.

المبحث الثالث: انفراد الله ﷻ- بالملك.

المبحث الرابع: انفراد الله- ﷻ -بالتدبير.

المبحث الخامس: انفراد الله -عز وجل- بالرزق.

○ **الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية في خطب النبي- ﷺ- وتحته عشرة مباحث:**

المبحث الأول: ماجاء في النهي عن الشرك.

المبحث الثاني: ماجاء في التبرك.

المبحث الثالث: ماجاء في الاستغاثة.

المبحث الرابع: ماجاء في التوسل.

المبحث الخامس: ماجاء في سد الذرائع المؤدية للشرك.

المبحث السادس: ماجاء في الفأل.

المبحث السابع: ماجاء في الإخلاص.

المبحث الثامن: ما جاء في الحلف بالله.

المبحث التاسع: ما جاء في الدعاء.

المبحث العاشر: ماجاء في تعظيم شعائر الله، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: ماجاء في تعظيم البيت الحرام.

المطلب الثاني: ماجاء في تعظيم يوم الجمعة.

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات في خطب النبي -ﷺ- وتحته ثلاثة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: استحقاق الله- ﷻ — للحمد والثناء.

المبحث الثاني: ماجاء في صفة الرحمة لله-ﷻ-.

المبحث الثالث: ماجاء في صفة الحياء لله-ﷻ-.

المبحث الرابع: ماجاء في صفة الكلام لله-ﷻ-.

المبحث الخامس: ماجاء في صفة العلو لله- ﷻ-.

المبحث السادس: ماجاء في صفة الستر لله-ﷻ-.

المبحث السابع: ماجاء في صفة الكرم لله-ﷻ-.

المبحث الثامن: ماجاء في صفة الوجه لله-ﷻ-.

المبحث التاسع: ماجاء في المقت صفة لله-ﷻ-.

المبحث العاشر: ماجاء في صفة القدرة لله-ﷻ-.

المبحث الحادي عشر: ماجاء في صفة الغيرة لله- ﷻ-.

المبحث الثاني عشر: ماجاء في إثبات قيومية الله -عز وجل- ونفي النوم عنه -سبحانه.

المبحث الثالث عشر: المبحث الرابع عشر: ماجاء في المحبة صفة لله-ﷻ-.

○ **الباب الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر في خطب النبي -ﷺ-وتحته خمسة فصول:**

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالملائكة في خطب النبي -ﷺ-. وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بأسماء الملائكة في خطب النبي -ﷺ-.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بوظائف الملائكة في خطب النبي -ﷺ-.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بتفضيل الملائكة بعضهم على بعض في خطب النبي -ﷺ-.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالكتب في خطب النبي -ﷺ-وتحته مبحثان:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بأسماء الكتب المنزلة في خطب النبي -ﷺ- وكيفية الإيمان بها، وتحته مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأسماء ماورد من كتب.

المطلب الثاني: الإيمان بأنها من كلام الله.

المطلب الثالث: الإيمان بأن كلام الله يتفاضل وأن أفضله القرآن.

المبحث الثاني: دلالة الإيمان بالكتب على توحيد الأسماء والصفات.

- **الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل في خطب النبي -صلى الله عليه وسلم-**

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بأسماء الرسل في خطب النبي -ﷺ-.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بوظيفة الرسل في خطب النبي -ﷺ-.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالآيات التي أيد الله بها رسله.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بتفضيل الرسل بعضهم على بعض في خطب النبي -ﷺ-.

المبحث الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بالنبي- ﷺ-، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تقرير أن النبي ﷺ أفضل الأنبياء.

المطلب الثاني: نهي النبي- ﷺ- عن الغلو فيه، وتحته مسائل:

المسألة الأولى: بيان بشريته- ﷺ-

المسالة الثانية: بيان عبودية النبي- ﷺ-لربه

الفصل الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر في خطب النبي -ﷺ-وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بأسماء اليوم الآخر.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بعلامات قرب اليوم الآخر.

وتحته مطالب:

المطلب الأول: ماجاء في الدجال.

المطلب الثاني: ماجاء في نزول عيسى بن مريم- عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-.

المطلب الثالث: ماجاء في نزول المهدي.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بمواقف اليوم الآخر.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالجنة والنار.

الفصل الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالقدر في خطب النبي -ﷺ-وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بعلم الله الازلي.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بكتابة الله -عز وجل-للأشياء في اللوح المحفوظ.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بمشيئة الله -عزوجل-.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بخلق الله لأفعال العباد.

المبحث الخامس. المسائل العقدية المتعلقة بالاستطاعة.

المبحث السادس: المسائل العقدية المتعلقة بالهداية والإضلال.

- **الباب الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالصحابة والإمامة في خطب النبي –ﷺ– وتحته فصلان:**

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالصحابة في خطب النبي –ﷺ–، وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بفضل الصحابة على وجه العموم.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بفضل المهاجرين.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بفضل الأنصار.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بفضل أعيان من الصحابة.

المبحث الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بتحريم سب الصحابة.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإمامة وتحته مباحث:

المبحث الاول: المسائل العقدية المتعلقة بتنصيب الإمام.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بحقوق الراعي على الرعية.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بحقوق الرعية على الراعي.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بعقوبة من خرج على الإمام.

- **الباب الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بمسائل الأسماء والأحكام في خطب النبي – ﷺ– وتحته فصلان:**

الفصل الأول: المسائل العقدية بمسائل الإيمان، وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بحقيقة الإيمان والفرق بين الإيمان والإسلام

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بزيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتفاوت الناس في الإيمان.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بتبعض الإيمان.

المبحث الخامس: ما جاء في أن المعاصي تنقص الإيمان ولا تذهب أصله.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالسنة والبدعة في خطب النبي – ﷺ– وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم السنة ووجوب الأخذ بها.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالنهي عن الابتداع في الدين.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتصحيح اعتقادات خاطئة حول البدعة.

الخاتمة: وتحتها أهم نتائج البحث وأهم التوصيات.

منهج البحث:

أولاً/ المنهج الاستقرائي القائم على استقراء خطب النبي ﷺ– من الكتب الستة.

ثانياً/ المنهج التحليلي القائم على تحليل ما تم استقراؤه من الخطب واستخراج ما فيها من مسائل عقدية.

منهجي في كتابة الرسالة:

منهجي في بيان مقصود الرسالة جعلته في النقاط التالية:

١/ جمت خطب النبي ﷺ– من خلال الكتب الستة.

٢/ اقتصرت على الثابت من الأحاديث صحيحاً كان أو حسناً.

٣/ اقتصرت على المسائل العقدية دون غيرها سواء كانت هذه المسائل متعلقة بالعقيدة أصالة، أو أُدخلت في العقيدة لسبب من الأسباب.

٤/ مصدري في جمع المادة العلمية كتب العقيدة المسندة وغير المسندة، وكتب التفسير، وشروح الحديث، وكتب، اللغة، والتراجم، وكتب التخريج، وكل ما وجدته مظاناً لبحثي.

٥/ فسرت الألفاظ الغريبة.

٦/ ترجمت للأعلام باختصار.

٧/ عزوت الآيات في المتن.

٨/ عزوت الأحاديث والمصادر في الحاشية.

٩/ عزوت الأحاديث إلى مصادرها الأصلية.

وأسأل الله – جَلَّوَعَلَا– بأسمائه الحسنى وصفاته العليا التوفيق والسداد في الدارين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تمهيد. وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخطبة لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني: بيان ضابط الخطبة وأنها لا تستلزم صعود المنبر.

المبحث الثالث: تعريف المسائل العقدية.

المبحث الرابع: تعريف الكتب الستة في اصطلاح المحدثين.

المبحث الخامس: أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في خطبه ومدى تأثيرها في تقرير الاعتقاد.

المبحث السادس: شبهة أن خطب النبي– صلى الله عليه وسلم– مفقودة، والرد عليها .

المبحث الأول: **تعرف الخطبة لغة واصطلاحاً**.

الخطبة لغة: بضم الخاء هي الكلام بين اثنين، قال ابن فارس [(١)]: «الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا، والخطبة من ذلك، والخطبة الكلام المخطوب به»[(٢)].

وقال الأزهري [(٣)]: «الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب»[(٤)].

وقال الكفوي [(٥)]: «الخطبة: هي كلمات تتضمن طلب شيء لكنها في طلب النساء بالكسر، وفي غيرها بالضم، والفعل في الكل من حد (طلب)»[(٦)].

وقال صاحب القاموس: «هي الكلام المنثور المسجع»[(١)].

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن مُحَمَّد بن حبيب الرازي المالكي اللغوي المحدِّث، كان رأساً في الأدب بصيراً بفقه مالك، من مصنفاته: كتاب المجمل، معجم مقاييس اللغة، وحلية الفقهاء، توفي سنة(٣٩٥هـ). انظر: «وفيات الأعيان»، لابن خلكان (١١٨/١)، و «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١٠٣/١٧).

(٢) «معجم مقاييس اللغة» (١٩٩/٢).

(٣) هو مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة، أبو منصور الهروي الأزهري النحوي اللغوي الشافعي، كان راساً في اللغة والفقه، كثير العبادة والمراقبة، متحرياً في دينه، ومن مصنفاته: كتاب التقريب في التفسير، وكتاب تفسير ألفاظ المزني، وكتاب علل القراءات، وكتاب الروح وما ورد فيها من الكتاب والسنة، وكتاب تفسير الأسماء الحسنى، وتفسير إصلاح المنطق، وتفسير السبع الطول، وتفسير ديوان أبي تمام، توفي سنة (٣٧٠هـ). انظر: «معجم الأدباء»، لياقوت الحموي (٢٣٢٢/٥)، و«وفيات الأعيان» (٣٣٤/٤)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٣١٥/١٦)، و«طبقات الشافعية الكبرى»، للسبكي (٦٤/٣).

(٤) «تهذيب اللغة» (١١٢/٧).

(٥) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، من مصنفاته: الكليات، وله كتب أخرى بالتركية، توفي سنة (١٠٩٤هـ). انظر: «الأعلام»، للزركلي (٣٨/٢).

(٦) «الكليات» (ص٤٣٣).

ويمكن جمع أركان الخطبة من خلال ما سبق بأنها ثلاثة أركان:

- الخطيب.

- والكلام المتكلم به.

-والمخاطب بهذا الكلام.

الخطبة اصطلاحاً: هي قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعله الخطباء والوعاظ(٢).

وعرفت بأنها كلامٌ منثور مؤلف به التخاطب مشتملٌ على البسملة والحمدلة والثناء على الله تعالى والصلاة على النبي - ﷺ - وغير ذلك، وخُطبةُ المنابر تشتمل أيضاً على الوصية بالتقوى والوعظِ والتذكير والدعاء وغير ذلك(٣).

وقيل هي: مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته(٤).

---

(١)«القاموس المحيط» للفيروزآبادي (١/٨١).

(٢) «التعريفات»، للجرجاني (ص٩٩).

(٣) «التعريفات الفقهية»، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي (ص٨٧).

(٤) خطب مختارة، ص١٤ من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية

المبحث الثاني: **بيان ضابط الخطبة وأنها لا تستلزم صعود المنبر**.

سبق في المبحث المتقدم بيان الخطبة في اللغة والاصطلاح، ومن خلال ما سبق يمكن وضع حد وضابط للخطبة التي يصح أن يُقال عنها خطبة في مجال بحثنا، وهي خطب النبي ﷺ: وهي كل كلام بديء بحمد الله والثناء عليه على خلاف العادة أحياناً من غير استلزام لصعود منبر ونحوه، وأصرح ألفاظه: خطبنا، وقام فينا خطيباً، على المنبر، ثم قام فينا، ووعظنا، وأن يأتي بعد جملة: أما بعد.

وكون الخطبة لا تستلزم صعود المنبر نبه عليه غير واحدٍ من أهل العلم، فمن ذلك قول الحافظ ابن رجب ﷺ: «الخطب كلها، سواء كانت للجمعة أو لغيرها، وسواء كانت على المنبر أو على الأرض، وسواء كانت من جلوس أو قيام، فإنها تبتدأ بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، ثم يذكر بعد ذلك ما يحتاج إلى ذكره من موعظة أو ذكر حاجة يحتاج إلى ذكرها»[١].

فقوله: «وسواء كانت على المنبر أو على الأرض» واضحٌ في جعله للخطبة غير مستلزمة للمنبر.

---

(١) «فتح الباري» (٨/٢٦٠).

المبحث الثالث: تعريف المسائل العقدية.

يمكن تعريف المسائل العقدية بأنها المسائل المشتملة على أصول الاعتقاد من أركان الإيمان الستة ومايتفرع عنها.

المبحث الرابع: تعريف الكتب الستة في اصطلاح المحدثين.

الكتب الستة في اصطلاح المحدثين تطلق ويُراد بها صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي وجامع الترمذي وسنن النسائي الصغرى وسنن ابن ماجه.

وكانت تطلق ويراد بها الخمسة الأُوَل عدا سنن ابن ماجه وكان بدلا منه موطأ الإمام مالك، وأول من ألحق سنن ابن ماجه بالكتب الخمسة هو مُحَمَّد بن طاهر المقدسي [1] في كتابه شروط الأئمة الستة[2].

---

(١) هو أبو الفضل مُحَمَّد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الحافظ المعروف بابن القيسراني، وكان له انحراف عن السنة إلى تصوف غير مرضي، من تصانيفه: «أطراف الكتب الستة»، و «كتاب الأنساب»، مات سنة ٥٠٧هـ. انظر: «وفيات الأعيان» (٤/٢٨٧)، و «ميزان الاعتدال»، للذهبي (٣/٥٨٧).

(٢) انظر تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري ص١٤٤

مُحَمَّد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني

المبحث الخامس: **أساليب النبي ﷺ في خطبه ومدى تأثيرها في تقرير الاعتقاد**.

لقد كان النبي ﷺ حريصاً أشد الحرص على تبليغ ما أُوحي إليه، وكان هناك أساليب متنوعة في خطبه ﷺ لتقرير أمور الدين بصفة عامة، وأمور الاعتقاد بصفة خاصة على أتم وجه، وأكمل بيان، فمن تلكم الأساليب:

أسلوب الترغيب والترهيب، فتارة يرغب ﷺ، كما في الخطب التي فيها حث على الصدقة، والخطب التي فيها ذكر الجنة، وتارة يرهب حسب ما يقتضيه الحال، كما في خطب الاستسقاء، والكسوف، والخطب التي فيها ذكر النار، وغير ذلك.

ومن تلك الأساليب أيضاً: أسلوب البشارة والنذارة، فتارة يبشر من فعل كذا فله كذا، وتارة ينذر.

أسلوب الرفق في خطبه ﷺ، والرفق هو أن تكون الشدة في موضعها، واللين في موضعه، فإن الله ﷻ قال لموسى وهارون عندما أرسلهما إلى فرعون قال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة طه: ٤٤]، فكان مما قالا له ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة طه ٤٨]، فكان ذلك منهما من القول اللين الذي أمرا بقوله.

وكذلك كان النبي ﷺ لا يطيل الخطبة، وإنما هي كلمات يسيرات، فعن جابر بن سمرة، قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة، إنما هن كلمات يسيرات)(١).

وغير ذلك من الأساليب الكثيرة والتي ليست مجال البحث هنا.

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، باب إقصار الخطب) (١ / ٤٣٢) برقم: (١١٠٧)، وإسناده حسن. انظر: «صحيح أبي داود»، للألباني (٤/٢٧٠).

المبحث السادس: شبهة أن خطب النبي- ﷺ-مفقودة، والرد عليها.

وقبل البدء في صلب الموضوع تجدر الإشارة إلى أن هناك شبهة مطروحة حول خطب النبي ﷺ فرأيت عرضها والرد عليها.

الشبهة مفادها أن كثيراً من خطب النبي ﷺ مفقودة؛ لأن ما وصل إلينا من خطب مقارنة بما عاشه بالمدينة ﷺ يُعد قليلاً جداً.

الجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

الأول/ من الأصول المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة أن النبي ﷺ بلغ دين الله كاملاً ولم يكتم منه شيئاً كما قال الله ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [سورة المائدة ٣].

ووصل إلينا كاملاً، فلم يحرف منه شيءٌ، ولم يُفقد منه شيءٌ؛ فإذا تقرر هذا فإن خطبه ﷺ وصلت إلينا كاملة؛ لأنها من الدين، ولكن هل كل خطبة لابد أن يذكر الصحابي فيها أن هذا الكلام كان في خطبة، بيان ذلك في الوجه التالي.

الثاني/ أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ كانوا يهتمون بنقل الوحي إلينا وما تضمنه من مسائل وأحكام، ولم يكن من كبير اهتمامهم ذكرهم أن ذلك كان في خطبة أو في غيرها (١).

الثالث/ أن هناك من الخطب ما ألقي على جمع كبير من الصحابة ومع ذلك لم ينقله لنا إلا النفر اليسير، وبقية من سمعوه لم ينقلوه أصلاً.

قال الشيخ حمود التويجري(١): « أن صدور الحديث عن النبي ﷺ على المنبر وفي حشد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ لا يلزم منه التواتر في النقل، وكم من خطبة خطبها النبي

---

(١) انظر «المرويات عن النبي ﷺ في خطب الجمعة والعيدين والمناسبات الإسلامية» (ص٨)، للباحث /عبدالملك بن سالم بن حمود السيابيي، وهي رسالة ماجستير في قسم الحديث بالجامعة الأردنية.

ﷺ على المنبر وفي حشد عظيم من الصحابة ومع ذلك لم يروها أو يرو البعض منها إلا الواحد أو الاثنان أو أكثر من ذلك ممن لا يبلغ عددهم شرط التواتر؟! وقد خطب النبي ﷺ في حجة الوداع عدة خطب في أعظم حشد كان في حياة النبي ﷺ، ومع ذلك لم ينقل خطبة إلا العدد القليل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد روى الإمام أحمد ومسلم عن أبي زيد وعمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه؛ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا». وقد كانت هذه الخطبة العظيمة الطويلة جدًا على المنبر، وفي حشد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومع ذلك لم ينقل شيء منها بالتواتر»[2].

من خلال ما سبق يتبين أن قول القائل: إن كثيراً من خطب النبي ﷺ مفقودة؛ لأن الصحابي لم يقل: قال النبي ﷺ كذا على المنبر، أو في خطبة الجمعة، أو في خطبة من الخطب-أن هذا القول مجانب للصواب كل المجانبة؛ لما سبق بيانه.

---

(١) هو الشيخ حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري من آل جبارة، بلغت مؤلفاته أكثر من خمسين مؤلفا، توفي: سنة١٤١٣هـ. انظر: «موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية»، لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي (١٠/٢٣٠).

(٢) «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (٢/٣٣٨).

الباب الأول : المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الله في خطب النبي- صلى الله عليه وسلم-.

وتحته ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الربوبية في خطب النبي– صلى الله عليه وسلم– .

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية في خطب النبي– صلى الله عليه وسلم– .

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات في خطب النبي –صلى الله عليه وسلم– .

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الربوبية في خطب النبي- صلى الله عليه وسلم-.

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: انفراد الله بالخلق.

المبحث الثاني: فطر الله الخلق على التوحيد .

المبحث الثالث: انفراد الله ﷻ- بالملك.

المبحث الرابع: انفراد الله- ﷻ -بالتدبير.

المبحث الخامس: انفراد الله -عز وجل- بالرزق.

المبحث الأول: انفراد الله ﷻ بالخلق.

من أعظم دلائل توحيد الربوبية، ومظاهره: انفراد الله ﷻ بالخلق، يعرف ذلك الناس كلهم مسلمهم وكافرهم، ومعرفة ذلك مستقرة في أصل الفطرة عند جميع الخليقة.

قال تعالى مخاطباً الكفار بما هو مستقرٌ في فطرهم؛ لإلزامهم بما تقتضيه هذه المعرفة من إفراد الله بالعبادة ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة العنكبوت ٦١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٨].

فخاطبهم الله جَلَّ وَعَلَا بما يقرون به من خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم، توبيخاً لهم؛ إذ صرفوا العبادة لغيره وأشركوا معه غيره، بل إن الله قد حصر الاحتمالات العقلية في مسألة الخلق حتى يبين لهم شناعة شركهم، وعظيم جرمهم، فقال تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [سورة الطور: ٣٥]، «وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: من غير خالق، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال.

أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضاً محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم.

فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث أن الله هو الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى». (١)

---

(١) انظر «تفسير السعدي» (ص٨١٦).

فالله ﷻ يخاطبهم بإقرارهم بالربوبية، والتي من أظهر دلائلها الخلق؛ لإلزامهم بتوحيد القصد والطلب لمن يقرون بأنه هو الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض وما فيهن وما بينهما(١).

وبالتأمل في خطب النبي ﷺ نجد أن النبي ﷺ قرر هذا المعنى–وهو انفراد الله عز وجل بالخلق – على أوجه بليغة متنوعة، ومما ثبت عم النبي ﷺ في ذلك:

١/ عن أبي بكرة(٢) ﷺ أن النبي ﷺ خطب في حجته فقال «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر(٣) الذي بين جمادى وشعبان» (٤).

وجه الدلالة فيه: التنصيص على أن الله ﷻ منفرد بخلق السماوات والأرض، وهما من أعظم المخلوقات، فانفراد الله ﷻ بخلق ما دونهما أولى وأحرى، كما قال ﷻ:

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (٤٠٤/٢-٤٠٦)، و«مجموع رسائل الحافظ ابن رجب، استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» (٢٩٢/٣)

(٢) هو الصحابي الجليل نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة، الثقفي، مولى النبي ﷺ، وكان من فقهاء الصحابة، روى له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٥١هـ)، وقيل (٥٢هـ)، في خلافة معاوية ﷺ انظر: «سير أعلام النبلاء» (٥/٣)، و «تهذيب الكمال»، للمزي (١٦١/٣٣).

(٣) قوله: (ورجب مضر) إلى آخره، هو ايضاح له؛ لأن غير مضر كانوا ينقلونه عنه إلى شهر غيره كما فعلوه في النسيء، وكانت مضر تحافظ على تحريم رجب وشعبان من أجله، وربيعة تجعل منها رمضان. انظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح»، لابن الملقن (٤١٤/٢٢).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين) (٤ / ١٠٧) برقم: (٣١٩٧)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال) (٥ / ١٠٧) برقم: (١٦٧٩)، وأبو داود في "سننه" (كتاب المناسك، باب الأشهر الحرم) (٢ / ١٤٠) برقم: (١٩٤٧) واللفظ له، وقدمته على لفظ الشيخين؛ لأن فيه التصريح بأن ذلك الكلام كان في خطبة وهي خطبة الوداع التي رواها عدد من الصحابة، وأخرجها جمع من الأئمة المتقدمين والمتأخرين، ولكن آثرت تقطيعها حسب موطن الشاهد.

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة غافر: ٥٧].

٢/ وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال «.... والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال الله ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾»[(١)].

وجه الدلالة فيه: التنصيص على وجه من أوجه انفراد الله جل جلاله بالخلق، وهو خلق الناس.

٣/ عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم... الحديث»[(٢)].

وجه الدلالة فيه كسابقه (خلقت عبادي).

٤/ عن ابن عباس [(٣)] رضى الله تعالى عنهما قال: خطب النبي ﷺ فقال:

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٥ / ٣٠٩) برقم: (٣٢٧٠) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة الحجرات) وقال "هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر إلا من هذا الوجه عبد الله بن جعفر يضعف ضعفه يحيى بن معين وغيره وعبد الله بن جعفر هو والد علي بن المديني" ا هـ، وعبد الله بن جعفر وإن كان ضعيفاً فقد تابعه موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار به، وموسى بن عبيدة ضعيف أيضاً، فلعل أحدهما يتقوى بالآخر. وللحديث شاهد آخر من حديث أبي هريرة مرفوعا نحوه مثل حديث ابن عمر، دون الخطبة والآية. انظر السلسلة الصحيحة برقم(٢٧٠٠)و (٢٨٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٥)

(٣) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي.

يكنى أبا العباس الصحابي الجليل، ابن عم النبي ﷺ، حبر هذه الأمة، وترجمان القرآن، مات بالطائف سنة (٦٨هـ). انظر: «الاستيعاب»، لابن عبدالبر (٩٣٣/٣).

«إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً[1] ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين﴾... الحديث»[2].

وجه الدلالة فيه الإشارة إلى انفراد الله ﷻ بخلق بني آدم على هذه الصفة الدقيقة، وهم حفاة عراة غرلاً غير مختونين.

٥/ عن أبي أمامة الباهلي[3] ﵁ قال خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله أن قال« إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ[4] الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال.... فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة[5] فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله.... »[6].

---

(١) غرلاً: الغرل: جمع الأغرل، وهو الأقلف. والغرلة: القلفة، يعني: غير مختونين. انظر: «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير (٣/٣٦٢).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: التفسير، باب ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا﴾، ح(٤٤٦٣)، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ح(٢٨٦٠)

(٣) هو الصحابي الجليل صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، غلبت عليه كنيته، وهو آخر من بقى بالشام من أصحاب رسول الله ﷺ، مات سنة(٨١هـ)، وقيل (٨٦هـ). انظر: «الاستيعاب» (٢/٧٣٦).

(٤) ذرأ: ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءاً إذا خلقهم، وكأن الذرء مختص بخلق الذرية. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير (٢/١٥٦).

(٥) هو ضرب من شجر العضاه وشجر الشوك، والجمع منه غرقد. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير (٣/٣٦٢).

(٦) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الملاحم، باب خروج الدجال) (٤ / ٢٠٠) (بدون ترقيم)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج) (٥ / ١٩٧) برقم: (٤٠٧٧)، واللفظ له، والحديث بهذا السياق إسناده ضعيف، لكن لكل فقرة منه ما يشهد لها من الأحاديث الصحيحة، إلا القليل، وقد خرجه موسعاً الشيخ الألباني، وقسمه إلى فقرات ورقمها، وأتى لكل فقرة بما يشهد لها من الأحاديث الصحيحة، وخرج كل شاهد منها، وثمة فقرات يسيرة لم يجد ما يشهد

وجه الدلالة فيه: التنصيص على خلق الله ﷻ لبني آدم في قوله: (ذرأ الله ذرية آدم)، وخلقه ﷻ للأشجار والأحجار، والحوائط والدواب، فهو ﷻ المنفرد بخلقها.

٦/ عن عبد الله بن أبي أوفي[١] رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيبا «قال أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم» [٢].

فقوله ﷺ: (مجري السحاب)، فيه دلالة واضحة على انفراد الله ﷻ بالخلق، وذلك أنه لما عُلم أن الله ﷻ وحده هو الذي يجري هذه السحاب، وذلك من تدبيره؛ ثبت أنه لا خالق لها إلا هوﷻ كما لا مجري لها إلا هو.

لها، انظر: «قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، على سياق رواية أبي أمامة ﷺ، مضافاً إليه ما صحَّ عن غيره من الصحابة ﷺ».

(١) هو أبو معاوية عبد الله بن علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم الأسلمي الفقيه، المعمر، صاحب النبي ﷺ، كان من أصحاب الشجرة، وقد فاز عبد الله بالدعوة النبوية حيث أتى النبي ﷺ بزكاة والده، فقال النبي -ﷺ-: (اللهم صل على آل أبي أوفى)، وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة، توفيﷺ سنة ٨٦، وقيل سنة٨٨هـ. انظر: «الاستيعاب» (٨٧٠/٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٤٢٨/٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو) (٤ / ٦٣) برقم: (٣٠٢٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) (٥ / ١٤٣) برقم: (١٧٤٢)

٧/ وعن جرير بن عبدالله[١] - رضي الله عنهما -قال «كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي[٢]

(١) هو الصحابي الجليل جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي ابن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف، الأمير، النبيل، الجميل، أبو عمرو البجلي، القسري، وكان عمر رضي الله عنه يقول: جرير بن عبد الله يوسف هذه الأمة، مات سنة(٥١هـ). انظر: «الاستيعاب» (٢٣٦/١)، و «سير أعلام النبلاء» (٥٣٠/٢).

(٢) مجتابي أي لابسي. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير (٣١٠/١).

النمار[1] أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾.... الحديث»[2].

وجه الدلالة فيه التنصيص على خلق الناس.

٨/ عن أبي بن كعب[3] رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الجمعة تبارك وهو قائم فذكرنا بأيام الله... الحديث»[4].

ووجه الدلالة في الحديث على انفراد الله جل جلاله بالخلق في كونه ﷺ قرأ سورة الملك على المنبر يوم الجمعة، وسورة الملك فيها التنصيص انفراد الله جل جلاله بالخلق في مواضع عدة، منها:

والشواهد في السورة على انفراد الله عزوجل بالخلق كثيرة منها:

التنصيص على خلق الموت والحياة في قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سورة الملك: ٢].

---

(١) النمار: كل شملة مخططة من مآزر الأعراب فهي نمرة.. كأنها أخذت من لون النمر؛ لما فيها من السواد والبياض. وهي من الصفات الغالبة، أراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف. «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير (١١٨/٥).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) (٣ / ٨٦) برقم: (١٠١٧).

(٣) هو الصحابي الجليل أبو منذر أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري ابن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، سيد القراء، الأنصاري، النجاري، المدني، المقرئ، البدري، ويكنى أيضاً: أبا الطفيل، شهد العقبة، وبدرا، وجمع القرآن في حياة النبي -ﷺ- وعرض على النبي ﷺ وحفظ عنه علما مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل رضي الله عنه، مات سنة (٢٢هـ) بالمدينة. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣٨٩/١).

(٤) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في الاستماع للخطبة والإنصات لها، ح(١١١١) وصححه الألباني.

التنصيص على خلق السماوات في قوله:
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [سورة الملك: ٣].

التنصيص على خلق الناس، وذلك في قوله تعالى:
﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الملك: ٢٣].

وقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الملك: ٢٤].

فيتبين مما سبق أن تنوع هذه المخلوقات تدل على انفراد الله ﷻ بخلقها، وملكها، وتدبيرها، وهذه ضرورة من أوضح الأمور، ولا يحتاج في إثباتها إلى أدلة نظرية، ولكنه أمر فطري عند أصحاب العقول السليمة.

ولو ضربنا مثالاً بخلق السماوات والأرض باعتبارهما من أعظم المخلوقات المشاهدة لبيان انفراد الله ﷻ بالخلق، وأن المقصود من هذا إفراده سبحانه بالعبادة لانفراده بالخلق.

«فالسماوات كل الناس يرون ارتفاعها، واتساعها، وإحكامها، وإتقانها، وما جعل الله فيها من شمس وقمر ونجوم، وجريانها بانتظام عجيب لا خلل فيه؛ لمصالح العباد.

والأرض كذلك جعلها الله مهادا للخلق يمكنهم القرار عليها، والانتفاع بما عليها والاعتبار؛ فكل ذلك يدل دلالة واضحة بينة على انفراد الله بالخلق والتدبير، وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها، وحكمته التي بها أتقنها وأحسنها ونظمها، وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع فيها من منافع الخلق ومصالحهم وضروراتهم وحاجاتهم؛ وفي ذلك أبلغ دليل وبرهان على كماله من كل وجه، وأنه مستحق للعبادة الحقة دون سواه؛ لأن هذا فرع عن انفراده بالخلق والتدبير والقيام بشؤون عباده»(١).

---

(١) انظر «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن»، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ص٢٩)، و«مذكرة التوحيد»، الشيخ /عبد الرزاق عفيفي ص١٩

ولما عرَّف العلماء توحيد الربوبية، جعلوا من أخص أوصافه: إفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالخلق، والملك، والتدبير(١).

فتبين مما سبق أوجه دلالة خطب النبي ﷺ على إفراد الله ﷻ بالخلق، وما يترتب علي ذلك من إفراد هذا الرب العظيم الخالق المدبر القاهر الرزاق -الذي ما من شيء إلا وهو ملك له، وهو آخذ بناصيته- إفراده بالعبودية دون سواه، وتعلق القلب به وحده في جلب المنافع ودفع المضار؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلا هو جل في علاه، فيثمر ذلك كله إجلال الله ﷻ في القلب ومحبته ورجاءه وخوفه؛ فيتحقق للعبد من جراء ذلك سعادته في الدارين.

وبالرغم من أن مسألة انفراد الله بالخلق أمر فطري يعرفه الناس في فطرهم، ولا ينكرونه إلا كبراً وعناداً، إلا أن هناك من انتكست فطرهم، وتلوثت عقيدتهم، فأصبحوا في ضلالهم مسودة وجوههم، مؤصدة قلوبهم، ليلهم كنهارهم سواء في الضلال والبهتان، لا يحنف عن طريقتهم إلا ناجٍ-«اعتقدوا في شيوخهم، ومن يعظمونهم: الخلق والرزق والتدبير، وهؤلاء خرجوا عن مقتضى الشرع والعقل والفطرة»(٢).

وأضل من هؤلاء طائفة تزعم أن الكون لا خالق له، وأن جميع المخلوقات وجدت بالصدفة، وهم الملاحدة العصريون، وهم مع ذلك يكابرون عقولهم وفطرهم، والشواهد الشرعية والحسية تؤيد هذا، وتؤكده.

قال ﷻ ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النمل: ١٤].

---

(١) انظر منهاج السنة (٢٨٩/٣)و (٣١١/٥)، و«الاستقامة» (٣٢/٢)، و«اقتضاء الصراط المستقيم» ص٤٠٩، «الفتاوى الكبرى» (١١٧/١)، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص٢٣٩، و«بيان تلبيس الجهمية» (١٢٥/٢)، «وشرح الأصبهانية» ص١٧٥ كلها لابن تيمية، و«الصواعق المرسلة» (١٤٦٢/٤)، و«طريق الهجرتين»(٢٤٦/١)، لابن القيم، و«مذكرة التوحيد» للشيخ /عبد الرزاق عفيفي (ص٢٧).

(٢) انظر: «الاستغاثة في الرد على البكري»، لابن تيمية (ص: ٣٥١).

وبناءً على هذا فلا يوجد على وجه الأرض، ملحد حقيقي، بحيث إنه يعتقد عدم وجود إله خالق، عن اقتناع وطمأنينة لما يعتقده، وهذا مطرد في الرؤوس والأتباع، وإنما الإلحاد الموجود، إنما هو كبرٌ ومعاندة، دخل فيه أهله بسبب مصيبة أصابتهم، أو شهوة أرّقتهم أرادوا أن ينفلتوا من كل قيدٍ يمنعهم منها.

وإلا فكيف تكون هذه القضية-قضية الخلق-غامضة حتى عند بعض شباب المسلمين، الذين أرخوا لأنفسهم العنان في الاستماع لهؤلاء الملاحدة الذين يبغونها عوجاً!

فنحن نرى أن كل شيء في هذا الكون مخلوقاً متغيراً متأثراً، فإذا ثبت هذا؛ ثبت أن هناك خالقاً لهذه المخلوقات، يؤثر ولا يتأثر، وهذا الخالق هو الله ﷻ(١).

---

(١) انظر في الرد على الإلحاد بشكله العصري: «الإلحاد، وثوقية التوهم، وخواء العدم»، د/ حسام الدين حامد، فإنه كتاب نفيس في بابه، أتى على أصول شبهات الملاحدة في العصر الحديث، وفندها ورد عليها، وذلك أنهم يقدسون العلم التجريبي، والطبيعة، فنقل عن أساطين العلماء التجريبيين، وعلماء الطبيعة- نقل عنهم طبيعة هذا العلم، والخلل الواقع فيه، وأن أصول العلم التجريبي ترجع إلى مسلمات غيبية، ومع ذلك يقبلونها، فهل يعقل ذلك الملحدون الذين لا يؤمنون إلا بالتجربة والمشاهدة!

المبحث الثاني: فطر الله الخلق على التوحيد.

لقد تنوعت الأدلة من القرآن والسنة في إثبات فطر الله ﷻ للخلق على التوحيد، بمعنى أن فطرهم تقر بالربوبية لله ﷻ، والتي من مقتضياتها معرفة دين الإسلام ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم إفراد الله ﷻ بالعبادة دون سواه، ولو سلمت هذه الفطرة من المعارضات والاجتيالات لم تعدل عن توحيد الله ﷻ؛ ولذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لمخاطبة العباد بأصل الفطرة، وهو شيء مستقر في النفوس، مركوز في الجبلة، وإلزامهم بمقتضاها وهو إفراده بالعبادة.

قال ابن رجب(١) رحمه الله: «فإن العباد وإن كانوا مفطورين عَلَى معرفة الله ومحبته وتألهه فإن كل مولود يولد عَلَى الفطرة، وهي سلامة القلب، وقبوله وإرادته للحق الَّذِي هو الإسلام، وتهيؤه له، لكنهم محتاجون أشد الحاجة إِلَى ما يحمل به قوتهم العلمية والعملية، وهو العِلْم النافع والعمل الصالح، وبذلك يصيرون مسلمين بالفعل، بعد أن كانوا مسلمين بالقوة، فلذلك أرسل الله الرسل وأنزل معهم الكتب؛ ليرشدوا الخلق إِلَى ما فيه سعادتهم، وفلاحهم في دنياهم وآخرتهم، وضمن لهم أن من اتبع هداه الَّذِي أرسل به رسله فلا يضل ولا يشقى، وأنه عَلَى هدًى من ربه، وأنه من المفلحين، فالهدى ضد الضلال، والفلاح ضد حال أهل الشقاء، وكذلك الغي، كما نفى الله تعالى عن نبيه – ﷺ – أن يكون ضل أو غوى، فَإِذَا جمع بين الضلال والغي، فالضلال من الجهل وعدم العلم، والغي من اتباع الهوى، ذاك فساد في القوة العلمية، وهذا فساد في القوة العملية.

---

(١) هو الإمام الحافظ الفقيه الواعظ عبد الرحمن بن أحمد بن حسن بن رجب أبو الفرج البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الشيخ زين الدين المعروف بابن رجب الحنبلي، صاحب التصانيف البديعة، والآداب الرفيعة، من تصانيفه: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، وشرح علل الترمذي، توفي سنة (٧٩٥هـ). انظر: «طبقات الحفاظ»، للسيوطي (ص٥٤٠).

ولن ينجو من ذلك إلا أهل الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين»[1].

وقد جاء هذا المعنى بينا واضحاً في القرآن والسنة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم: ٣٠].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه[2] أن النبي ﷺ قال: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ". ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾ الآية). [3]

ومن الخطب التي جاءت عن النبي ﷺ في بيان هذا المعنى وتقريره ما رواه عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلتُه[4] عبداً حلالٌ، وإني

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، مقدمة تشتمل على أن جميع الأنبياء كان دينهم الإسلام، (٢/٥٥٥-٥٥٦).

(٢) هو عبد الرحمن بن صخر الإمام، الفقيه، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله -ﷺ- الدوسي، اليماني، سيد الحفاظ الأثبات، أكثر الصحابة حديثاً على الإطلاق، مختلف في اسمه على أقوال كثيرة، توفي سنة ٥٧، وقيل: ٥٨، وقيل: ٥٩هـ. انظر: «الاستيعاب» (١٧٦٨/٤)، و «سير اعلام النبلاء» (٥٧٨/٢).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه) (٢ / ٩٤) برقم: (١٣٥٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (٨ / ٥٢) برقم: (٢٦٥٨).

(٤) النُّحْلُ: العَطِيَّة وَالْهِبَةُ ابتِداءً مِنْ غَيْرِ عِوَض وَلَا اسْتِحْقاق، فنحلته، أي أعطيته. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢٩/٥).

خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[1] عن دينهم... الحديث). [2]

والشاهد من الحديث على مقصود المبحث قول الله ﷻ (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم)

ووجه الدلالة ظاهر؛ إذ نص الحديث على أن الله ﷻ خلق عباده كلهم، وفطرهم على الإقرار بربوبيته المستلزمة لألوهيته وعبادته وحده دون سواه، وأن الانحراف الحاصل في هذا الباب ليس أمراً مركوزاً في أصل الفطرة، وإنما هو لمؤثرات خارجية، من اجتيال الشياطين كما في هذا الحديث، أومن تلويث الأبوين لهذه الفطرة بما يناقض أصلها من تهويد أو تنصير أو تمجيس أو غيرها كما في حديث أبي هريرة ﷺ الآنف الذكر.

قال القرطبي[3]: «قوله: (وإني خلقت عبادي كلهم حنفاء) هو جمع حنيف، وهو: المائل عن الأديان كلها إلى فطرة الإسلام، وهذا نحو قوله ﷺ: " كل مولود يولد على الفطرة"»[4]

وقال النووي[1]: «قوله تعالى: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم) أي: مسلمين، وقيل: طاهرين من المعاصي، وقيل: مستقيمين منيبين لقبول الهداية، وقيل: المراد حين أخذ عليهم العهد في الذر، وقال: ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾[2]

---

(١) اجتالتهم: أي استخفتهم فجالوا معهم في الضلال. يقال جال واجتال: إذا ذهب وجاء. ومنه الجولان في الحرب. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣١٧/١).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٥)

(٣) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر، أبو العباس القرطبي، من مؤلفاته: «المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم»، «مختصر الصحيحين»، توفي سنة: ٦٥٦هـ. انظر: «الوافي بالوفيات»، للصفدي (١٧٣/٧)، و«شذرات الذهب» (٤٧٣/٧)، «معجم المؤلفين» (٢٧/٢).

(٤) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٧١١/٦).

وعند التأمل تجد أن هذه الأقوال متقاربة وترجع إلى معنى واحد: ألا وهو: الربوبية المستلزمة للألوهية؛ ولذلك فسر كثير من السلف الفطرة في حديث أبي هريرة بالإسلام(٣)،

وثمة أقوال أخرى في تفسير الفطرة غير ما ذُكر أوردها أهل العلم في مصنفاتهم، وفندوها ووجهوا ما يمكن توجيهه، وردوا ما يلزم رده (٤).

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعيّ، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث، من مصنفاته، «شرح صحيح مسلم» مات سنة: ٦٧٦هـ. انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٣٩٥/٨)، و«طبقات الحفاظ»، للسيوطي(ص٥١٣).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٩٧/١٧).

(٣) وهو مروي عن عكرمة ومجاهد والحسن وإبراهيم والضحاك وقتادة، وغيرهم أنهم قالوا في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾ قالوا: "فطرة الله دين الله الإسلام لا تبديل لخلق الله قالوا لدين الله".

(٤) انظر تفصيل هذه الأقوال: «التمهيد» (٧٣/١٨-٧٤)، «الاستذكار» لابن عبدالبر (١٠٣/٣-١٠٤)، «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية (٣٥٩/٨-٣٩٩) «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، لابن القيم ص(٧٠٣-٧١٢)، تحت الباب: الثلاثين بعنوان: في ذكر الفطرة الأولى ومعناها واختلاف الناس في المراد بها وأنها لا تنافي القضاء والقدر بالشقاوة والضلال، وهو مبحث نفيس جدا أتى على الكلام في هذه المسألة وذكر الاختلاف في تفسير الفطرة وتوجيهه و«فتح الباري»، لابن حجر(٢٤٨/٣-٢٥١).

المبحث الثالث: انفراد الله ﷻ- بالملك.

سبق في المبحث الأول بيان انفراد الله ﷻ بالخلق، وذكر أدلة ذلك ووجهه.

والكلام في هذا المبحث، وفي مبحث: انفراد الله ﷻ بالتدبير الذي سيأتي –إن شاء الله– وثيق الصلة بالمبحث الأول؛ (لأن أصل الربوبية قائم على هذه الأركان الثلاثة: الخلق، والملك والتدبير.)(١)

ولذلك يمكن القول بأن كل دليل ثبت به انفراد الله ﷻ بالخلق، فهو دليل على انفراده بالملك والتدبير، سواء أكانت هذه الأدلة من الخطب أو من غيرها. (٢)

والملك في لغة العرب أصله يرجع إلى قوة في الشيء وصحة.

قال ابن فارس: «الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة»(٣).

والملك صفة من صفات الله ﷻ الذاتية؛ إذ ملكه تام لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهو من لوازم الإقرار بربوبيته ﷻ، فمن أقر بأن الله الخالق المنفرد بالخلق، لابد وأن يقر بأنه جَلَّ وَعَلَا يملك ما خلق، منفرد بملكه، ويدبر لهم مصالحهم، منفرد بتدبيره.

---

(١)انظر: «شرح الواسطية»، لابن عثيمين(٢١/١)، و«معنى الربوبية وأدلتها، وأحكامها، وإبطال الإلحاد فيها، للدكتور/محمد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني ص(٤-٥)

(٢) لذلك لو أوردت الأدلة التي جاءت في مبحث: «انفراد الله بالخلق» في مبحثي: «الملك» و «التدبير» لما كان هذا بعيداً في الدلالة؛ لأن الخلق مستلزم للملك والتدبير، ولكن هذا سيطيل الرسالة، ومباحث الرسالة بينها تداخل وليس كل مبحث أجنبي عن الآخر تماما؛ فلذلك سأشير فيما تأخر من مباحث على بعض ما تقدم؛ إكمالاً للفائدة، ومنعاً للتكرار والإطالة.

(٣) «معجم مقاييس اللغة»، لابن فارس (٣٥١/٥-٣٥٢).

ومما جاء من خطب النبي ﷺ لتقرير انفراد الله ﷻ بالملك ما يلي:

١/ عن عائشة رضي الله عنها[(١)] قالت: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوما يخرجون فيه، قالت عائشة: فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر، وحمد الله ﷻ، ثم قال: إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله ﷻ أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني، ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة، وبلاغا إلى حين، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره، وقلب أو حول رداءه، وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس، ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت، وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه، فقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله »[(٢)].

---

(١) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديقة بنت الصديق التيمية، أم عبد الله، زوجة النبي ﷺ، وأفقه نساء الأمة على الإطلاق، صاحبة المناقب الجمة، الطاهرة المطهرة، والتي برأها الله من فوق سبع سماوات، وأنزل فيها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، ماتت رضي الله عنها سنة ٥٨هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣٥/٢) و «الإصابة» (٢٣١/٨).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء) (١ / ٤٥٥) برقم: (١١٧٣)، بإسناد حسن، وقال: هذا حديث غريب، إسناده جيد، أهل المدينة يقرءون ﴿ ملك يوم الدين ﴾ وإن هذا الحديث حجة لهم. ا هـ، وصححه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، «المستدرك على الصحيحين»: (١ / ٣٢٨) برقم: (١٢٢٩)، ووافقه الذهبي، وتعقب الشيخ الألباني تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي بأن في إسناده: خالد بن نزار، والقاسم بن مبرور، وهما ثقتان إلا أن الأول منهما فيه كلام يسير لا ينزل بحديثه عن رتبة الحسن

، انظر: «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»(١٣٦/٣) برقم: (٦٦٩)، وللحديث شواهد كثيرة عن عدد من الصحابة مخرجة في كتب الصحاح، والمسانيد.

فقوله ﷺ: (ملك يوم الدين) فيه نصٌ على ملك الله ﷻ، وهو وإن كان مضافً ليوم الدين فلا يختص به، وليس محصوراً فيه، ولكنه خصه بالذكر لظهور ملكه لجميع الخلائق في ذلك اليوم ظهوراً تنقطع معه أملاك الخلائق.

قال البغوي(١) رحمه الله: «وإنما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للأيام كلها لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له»(٢).

وقال السعدي(٣) رحمه الله: «وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها، لأن في ذلك اليوم، يظهر للخلق تمام الظهور، كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق. حتى إنه يستوي في ذلك اليوم، الملوك والرعايا والعبيد والأحرار، كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين ولغيره من الأيام»(٤).

وكذلك قوله ﷺ (رب العالمين) ووجه الدلالة فيه أن الرب هو من اتصف بالخلق والملك والتدبير فملكه من لوازم ربوبيته، قال شيخ الإسلام(٥). «الله هو رب كل شيء

---

(١) هو أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي الفراء، الشافعي، المفسر المشهور، من مصنفاته: معالم التنزيل، والجمع بين الصحيحين، وشرح السنة، توفي سنة ٥١٦هـ. انظر: «طبقات الشافعية» (٧/٧٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٩/٤٣٩)، و«طبقات المفسرين»، للداوودي (١/١٦١).

(٢) «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، للبغوي (١/٥٣).

(٣) هو العلامة الورع الزاهد، الفقيه الأصولي المحقق المدقق الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، من مؤلفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، توفي سنة ١٣٧٦هـ. انظر: «الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة» (ص١٣).

(٤) «تفسير السعدي» (ص٣٩).

(٥) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، أبو العباس، الإمام العالم المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدِّث، مصنفاته كثيرة جدا، منها: درء التعارض، والاستقامة، والنبوات،

وعالم بكل شيء ومليكه لا يخلق ولا يرزق إلا هو ولا يعطى ولا يمنع إلا هو لا مانع لما أعطى ولا مطعي لما منع»(١).

وكذلك قوله ﷺ (أنت الغني): ووجه الدلالة فيه أن غناه الكامل الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه مستلزم لملكه التام الكامل الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

٢/ ما ثبت عن أبي حميد الساعدي ﷺ(٢) قال: «استعمل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** رجلاً على صدقات بني سليم، يدعى ابن اللُّتْبِيِّة، فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم وهذا هدية. فقال رسول الله ﷺ: فهلا جلست في بيت أبيك وأمك، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا. ثم خطبنا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولَّاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء(٣)، أو بقرة لها خوار(٤)، أو شاة تيعر(١)، ثم رفع يده حتى رئي بياض إبطه، يقول: اللهم هل بلغت» (٢).

ومنهاج السنة، مات سنة ٧٢٨هـ. انظر: «تذكرة الحفاظ»، للذهبي (١٩٢/٤)، و «الدرر الكامنة» (١٦٨/١)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٤٩٣/٤).

(١) «الاستقامة» لابن تيمية(٣٢/٢)، وانظر «منهاج السنة» له أيضاً (٣١١/٥)، و«مذكرة التوحيد»، للشيخ /عبد الرزاق عفيفي ص٢٧

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو بن سعد، وقيل: المنذر بن سعد بن المنذر الأنصاري المدني، من فقهاء الصحابة ﷺ، توفي سنة ٦٠هـ. انظر: «الاستيعاب» (١٦٣٣/٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٤٨١/٢).

(٣) الرغاء: صوت الإبل. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢٤٠/٢).

(٤)الخوار: صوت البقر. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٨٧/٢).

فقوله ﷺ (مما ولَّاني الله)، فيه دلالة على أن ما هو فيه ﷺ من الولاية إنما هي من تولية الله ﷻ له، فهو سبحانه يهب الملك لمن يشاء وينزعه عمن يشاء بيده الملك كله يعطي من يشاء منه وفق حكمته.

٣/ ومن الخطب أيضاً في ذلك ما ثبت عن أبي بن كعب رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الجمعة ﴿ تبارك ﴾ وهو قائم، فذكرنا بأيام الله»(٣).

والشاهد من حديث أبي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ تبارك على المنبر، ووجه الدلالة من السورة على انفراد الله ﷻ بالملك في قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ حيث فيه نص على أن الله ﷻ بيده الملك التام الكامل الذي لم يسبقه عدم، ولا يلحقه زوال بخلاف ملك المخلوق، فإنه مسبوق بعدم، وملحوق بزوال الملك، أو بزواله هو عن الملك، وكل ما يملكه المخلوقون فهو الذي وهبهم إياه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة المؤمنون: ٨٨].

وقال جل شأنه: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة يس: ٨٣].

والواجب المسلكي على من عرف أن الله بيده ملكوت كل شيء، أن يعلق قلبه به وحده سواء في دفع ضر أو جلب نفع؛ لأنه هو الذي يملك ذلك وحده، وملكه

---

(١) يقال: يعرت العنز تيعر، بالكسر، يعارا، بالضم: أي صاحت، وأكثر ما يقال لصوت المعز، انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢٩٧/٥).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحيل، باب احتيال العامل ليهدى له) (٩ / ٢٨) برقم: (٦٩٧٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال) (٦ / ١١) برقم: (١٨٣٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الاستماع للخطبة والإنصات لها) (٢ / ٢٠٣) برقم: (١١١١)، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد(١٩٠/٢).

نافذ ﷻ وتام لا نقص فيه، فينبغي على العبد أن يستمطر ما عند الملك ﷻ مما يرجوه ويتمناه، وأن يحبه لما يرى من آثار ملك الله ﷻ من إيصال الإحسان إليه، ودفع المكروه عنه، وما يقع من المصائب العظام التي هي واقعة بحكمته، فهو يتصرف في ملكه كيف يشاء بمقتضى حكمته ﷻ، لا يُسأل عما يفعل، وهم يُسالون.

والمقصود من هذا كله إفراد الله ﷻ بالتأله ظاهراً، وباطناً.

المبحث الرابع: انفراد الله - ﷻ- بالتدبير.

إن من الأمور المستقرة والقضايا المسلمة كما سبق بيانه انفراد الله ﷻ بالربوبية على الخلق أجمعين، ومعنى هذا أنه خالقهم، ورازقهم، ومدبر أمورهم؛ إذ إن (ربوبية الله على خلقه تجتمع في ثلاثة أصول: الخلق، والملك، والتدبير، وأدلة الكتاب والسنة شاهدة بهذا، ومن الآيات التي جمعت هذه الأصول قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة المائدة: ١٧].

فالخلق في قوله ﴿يخلق ما يشاء﴾، والملك في قوله﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾، والتدبير في قوله﴿والله على كل شيء قدير﴾ [(١)] فهو ﷻ المنفرد بالتدبير وحده دون سواه، يدبر أمر من في السماوات والأرض.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة البقرة: ١٦٤].

«وهذه الآية، وإن سيقت للاستدلال على توحيد الألوهية الذي تقدم قبلها في قوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾، إلا أنها تدل دلالة قاطعة على توحيد الربوبية، فإن استحقاقه -تعالى- للعبادة، واختصاصه بها فرع عن وجوده، وانفراده بالخلق، والتدبير، والتصريف، والتقدير»[(٢)].

وقد أثبت الله ﷻ لبعض المخلوقات تدبيرا، ومنهم الملائكة في قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [سورة النازعات: ٥].

---

(١) «معنى الربوبية وأدلتها، وأحكامها، وإبطال الإلحاد فيها، د. مُحَمَّد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني ص(٤-٥)، بتصرف يسير.

(٢) «مذكرة التوحيد»، للشيخ عبدالرزاق عفيفي (ص١٩).

ولكن هذا التدبير هو تدبير مكلفون به، والله ﷻ هو الذي أقدرهم عليه، ولا يقومون به إلا بعد إذنه —سبحانه-.

قال الراغب(١). «يدبر الأمر وحده لا ثاني له في فصل الأمر إلا أن يأذن للمدبرات، والمقسمات من الملائكة فيفعلون ما يفعلونه بعد إذنه»(٢).

وقد ورد تدبير الله ﷻ للأمور في النصوص الشرعية على أوجه متنوعة، تارة بلفظ التدبير، وتارة بما يدل عليه ذلك اللفظ،، فمن ذلك ذكر الله ﷻ لتدبيره أمر العالم العلوي والسفلي عقيب ذكره الاستواء على العرش كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة يونس: ٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الرعد: ٢].

قال ابن جرير(٣)رحمه الله: «وقوله: (يدبر الأمر) يقول تعالى ذكره: يقضي الله الذي رفع السموات بغير عمد تروها أمور الدنيا والآخرة كلها، ويدبر ذلك كله وحده،

---

(١) هو الحسين بن مُحَمَّد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب متكلم، من مؤلفاته: المفردات في غريب القرآن، و تحقيق البيان، توفي سنة ٥٠٢هـ. انظر: «الوافي بالوفيات» (٢٩/١٣)، و«طبقات المفسرين» (٣٢٩/٢)، و«بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»، للسيوطي (٢٩٧/٢)، و«الأعلام» (٢٥٥/٢)،

(٢) «المفردات في غريب القرآن»، ص٤٥٨.

(٣) هو مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، من أهل آمُل طبرستان، شيخ المفسرين، كان رأساً في التفسير، إماما في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة، وغير ذلك. مات سنة ٣١١ هـ. انظر: ©طبقات المفسرين»، للداوودي (٢/ ١١٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٦٧).

بغير شريك ولا ظهير ولا معين سبحانه»(١).

وقال ابن كثير(٢). «يدبر الأمر أي: يدبر أمر الخلائق، ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلظه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا يلهيه تدبير الكبير عن الصغير، في الجبال والبحار والعمران والقفار، ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾. ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ »(٣).

ومن تدبيره للأمور ﷻ: ذكر إقرار المشركين بأن الله هو المدبر وحده؛ لإلزامهم بعبادته وحده، كما في قوله تعالى﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة يونس: ٣١].

«فبنى سبحانه الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب إلى المسؤولين ليكون أبلغ في إلزام الحجة، وأوقع في النفوس» (٤).

ومن ذلك، ذكر عظمة تدبير الله ﷻ كما في قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة السجدة: ٥].

---

(١) «جامع البيان في تأويل القرآن» (٣٩٦/١٦)، وانظر: «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، للبغوي (١٢٠/٤)، و(٢٩٣/٤).

(٢) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي، الإمام الحافظ المفسّر المؤرّخ الكبير، من مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، توفي سنة ٧٧٤هـ. انظر: «طبقات المفسرين» (١١١/١)، و «طبقات الحفاظ» (ص٥٣٣).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢٤٧/٤)، وانظر: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ص(٣٥٧، ٣٦٣، ٤١٢).

(٤) انظر: «فتح القدير»، للشوكاني (٥٠٤/٢)

ويظهر ذلك من وجهين:

الأول: ببيان عظم خلق الملائكة الذين يعرجون إليه بما وكلهم به من تدبير في مدة لو قدر أن أحدا من البشر يقطعها، فإنه يقطعها في ألف سنة، والملائكة يقطعونها في يوم واحد، فكيف بمن خلقهم، وأقدرهم على ذل! (١).

الثاني: بالنسبة لتدبير المخلوقين، باعتبار أن الضمير في قوله ﴿مقداره﴾ راجع للتدبير، فيكون المعنى: «أي كان مقدار التدبير المنقضي في يوم ألف سنة لو دبرها البشر» (٢).

وبناءً على ما تقدم فإن كل دليل ورد في انفراد الله ﷻ بالخلق، والملك، فإنه يكون دليلاً على انفراده ﷻ بالتدبير، ووجه الدلالة في ذلك ظاهر؛ فإن من خلق مالك لما خلق، ومحال أن يترك خلقه بدون تدبير-هذا محال في العقول، والله ﷻ منزه عن ذلك، فهو سبحانه «يدبر الأمور في العالم العلوي والسفلي، فيخلق ويرزق، ويغني ويفقر، ويرفع أقواما ويضع آخرين، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، ويقيل العثرات، ويفرج الكربات، وينفذ الأقدار في أوقاتها التي سبق بها علمه، وجرى بها قلمه، ويرسل ملائكته الكرام لتدبي ر ما جعلهم على تدبيره»(٣).

المبحث الخامس: انفراد الله –عز وجل– بالرزق.

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم»(٣٥٩/٦).

(٢) وهذا على قولٍ في تفسير الآية كما حكاه الطبري رحمه الله عن مجاهد رحمه الله، انظر «تفسير الطبري»(١٦٩/٢٠)

(٣) انظر «تفسير السعدي»، (ص٤١٢).

تواترت نصوص القرآن والسنة على تقرير، انفراد الله ﷻ بالرزق، وتذكير من ضل في توحيد الله ﷻ بإقراره أنه لا رازق له إلا هو ﷻ.

قال شيخ الإسلام: «الله هو رب كل شيء وعالم بكل شيء ومليكه لا يخلق ولا يرزق إلا هو ولا يعطى ولا يمنع الا هو لا مانع لما اعطى ولا مطعي لما منع»[(١)].

وتقرير انفراد الله ﷻ بالربوبية في النصوص الشرعية بأفرادها-والتي منها الرزق-، وتنوع الدلالة عليه؛ إنما سيق من أجل توحيد الله ﷻ، (الذي قامت به السموات والأرض وما بينهما وعليه قام العالم ولأجله خلقت الجنة والنار ولأجله أرسل رسله وأنزل كتبه ولأجله هلك القرون التي خرجت عنه وآثرت غيره)(٢)

وقال ﷻ في شأن الرزق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة فاطر: ٣].

فذكر ﷻ من أفراد الربوبية: الخلق، والرزق؛ نصاً، والملك والتدبير؛ ضمناً؛ ليلزمهم بإفراده بالألوهية.

قال البِقاعي[(٣)]: «﴿يرزقكم﴾ أي وحده. ولما كانت كثرة الرزق كما هو مشاهد مع وحدة المنبع أدل على العظمة قال: ﴿من السماء والأرض﴾ بالمطر والنبات وغيرهما. ولما بين أنه الرزاق وحده انقطع أمل كل أحد من غيره حتى من نفسه فحصل الإخلاص فتعين أنه سبحانه الإله وحده فقال: ﴿لا إله إلا هو﴾ فتسبب الإنكار على من عبد غيره ظاهراً أو باطناً فقال: ﴿فأنى﴾ أي فمن أيّ وجه وكيف ﴿تؤفكون﴾ أي

---

(١) «الاستقامة»، لابن تيمية(٣٢/٢)

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»، لابن القيم (٨٧/٢).

(٣) هو أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُبَاط بن علي بن أبي بكر البِقاعي: مؤرخ أديب، من مصنفاته: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، توفي: سنة ٨٨٥هـ. انظر: «الأعلام» (٥٦/١)، و«شذرات الذهب» (٥٠٩/٩).

تصرفون وتقلبون عن وجه السداد في التوحيد بهذه الوجوه الظاهرة إلى الشرك الذي لا وجه له»(١).

والرزق فرع عن أصلٍ من أصول الربوبية – ألا وهو التدبير، والكلام في الرزق فرع عن الكلام في التدبير؛ لأن من جملة تدبير الله لأمر خلقه رزقه إياهم، بشتى أنواع الأرزاق، سواء ما حلّ منها وما حرم.

ومما جاء من خطب عن النبي ﷺ في تقرير انفراد الله ﷻ بالرزق ما يلي:

١/ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوما يخرجون فيه، قالت عائشة: فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر، وحمد الله عز وجل، ثم قال: إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان(٢) زمانه عنكم، وقد أمركم الله عز وجل أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني، ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة، وبلاغاً إلى حين، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره، وقلب أو حول رداءه، وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس، ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت، وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن(٣) ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه، فقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله»(٤).

---

(١) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٦/٢٠٣).

(٢) إبان زمانه: أي وقت زمانه. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/١٧).

(٣) الْكِنُّ: مَا يَرُدُّ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ مِنَ الْأَبْنِيَةِ وَالْمَسَاكِنِ. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/٢٠٦).

(٤) سبق تخريجه

٢/ عن أبي هريرة قال: (خرج رسول الله ﷺ يوما يستسقي، فصلى بنا ركعتين بلا أذان ولا إقامة، ثم خطبنا ودعا الله وحول وجهه نحو القبلة رافعاً يديه، ثم قلب رداءه، فجعل الأيمنَ على الأيسر، والأيسرَ على الأيمن)[١].

٣/ وعن عبد الله بن أبي أوفي رضي الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيبا قال أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم»[٢].

٤/ وعن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ؛ فقال: يا رسول الله، لقد جئتك من عند قوم ما يتزود لهم راع ولا يَخطِرُ[٣] لهم فحل. فصعد المنبر فحمد الله ثم

---

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الاستسقاء) (٢ / ٣١٩) برقم: (١٢٦٨)، وهو بهذا الإسناد ضعيف؛ لأن في سنده النعمان بن راشد الجزري، ضعفه غير واحد من أهل العلم، منهم أحمد والبخاري. انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (٥٦٣٠)، ولكن للأحاديث شواهد أخري تقويه، منها: حديث عائشة ررضي الله عنها المتقدم.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو) (٤ / ٦٣) برقم: (٣٠٢٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) (٥ / ١٤٣) برقم: (١٧٤٢)

(٣) أي ما يحرك ذنبه هزالا لشدة القحط والجدب. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤٦/٢).

قال: (اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً طبقاً[1] مريعاً[2] غدقاً[3] عاجلاً غير رائث، ثم نزل فما يأتيه أحد من وجه من الوجوه إلا قالوا: قد أحيينا)[4].

٥/ عن أبي بن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الجمعة ﴿ تبارك ﴾ وهو قائم، فذكرنا بأيام الله.. الحديث»(٥)

والشواهد من الأحاديث على مقصود المبحث كالآتي:

في الحديث الأول، والثاني، والرابع: استسقاء النبي ﷺ والصحابة، ووجه الدلالة في ذلك: أن المطر رزق وقد طلبوه من الله ﷻ؛ لأنه منفرد به.

والحديث الثالث: في قوله ﷺ (مجري السحاب)، ووجه الدلالة أن الله ﷻ تفرد بإجرائها، وذلك من تدبيره لعباده، فيرزق منها المطر من يشاء ويصرفه عمن يشاء.

---

(١) طبقا. أي: مالئا للأرض مغطيا لها. يقال: غيث طبق. أي: عام واسع. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١١٣/٣).

(٢) المريع: المخصب الناجع. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣٢/٤).

(٣) الغدق بفتح الدال: المطر الكبار القطر. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣٤٥/٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فِي الدعاء فِي الاستسقاء)

(٢ / ٣٢١) برقم: (١٢٧٠)، رجاله ثقات، ولكن قيس بن أبي ثابت، مع كونه ثقة، إلا إنه كثير التدليس والإرسال، وقد عنعنه، وأخرجه أيضاً أبو عوانة وسكت عنه الحافظ في التلخيص وقد رويت بعض ألفاظ الحديث، وبعض معانيه عن جماعة من الصحابة مرفوعة، انظر: «نيل الأوطار»، للشوكاني(١٣/٤-١٤)، و«إرواء الغليل»، للألباني(١٤٦/٢).

(٥) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فِي الاستماع للخطبة والإنصات لها) (٢ / ٢٠٣) برقم: (١١١١)، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد(١٩٠/٢).

وأدعية الاستسقاء التي ثبتت كثيرة متنوعة، ولكن تجتمع معانيها على التضرع والرغبة فيما عند الله من الرزق(١).

والحديث الخامس: في قراءة النبي ﷺ لسورة تبارك، والشواهد من السورة على تفرد الله بالرزق متعددة، منها:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الملك: ١٥].

ووجه الدلالة في الآية إضافة الرزق إليه ﷻ، وطلب العباد أن يأكلوا منه ويسعوا في تحصيله، مع تعلق قلوبهم به وحده في جلبه؛ لأنه هو المنفرد برزق جميع الخلق.

وقوله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الملك: ٢١]

ووجه الدلالة في الآية: إقرار المشركين بتفرد الله بالرزق، وأنه لا أحد يرزقهم من دون الله إن أمسك رزقه عنهم.

قال الرازي رحمه الله(٢): «والمعنى: من الذي يرزقكم من آلهتكم إن أمسك الله الرزق عنكم، وهذا أيضاً مما لا ينكره ذو عقل، وهذا أنه تعالى لو أمسك أسباب الرزق كالمطر والنبات وغيرهما لما وجد رازق سواه»(٣).

وقال السعدي رحمه الله: «الرزق كله من الله، فلو أمسك عنكم رزقه، فمن الذي يرسله لكم؟ فإن الخلق لا يقدرون على رزق أنفسهم، فكيف بغيرهم؟

---

(١) انظر: «التمهيد»، لابن عبدالبر (٤٣٢/٢).

(٢) هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، الشافعي، الملقب بفخر الدين، متكلمٌ أصوليٌ مفسر، من مصنفاته: مفاتيح الغيب في التفسير، توفي سنة ٦٠٦هـ. انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٨١/٨)، و «وفيات الأعيان» (٢٤٨/٤).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٥٩٤/٣٠).

فالرزاق المنعم، الذي لا يصيب العباد نعمة إلا منه، هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة»(١).

وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الملك: ٣٠].

ووجه الدلالة في الآية: إقرار المشركين بأنه لا يقدر على إظهار الماء إن غار–أي ذهب في باطن الأرض– إلا الله ﷻ؛ وذلك حتى يتبين قبح شركهم.

قال الرازي: «والمقصود أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه ليريهم قبح ما هم عليه من الكفر، أي أخبروني إن صار ماؤكم ذاهبا في الأرض فمن يأتيكم بماء معين، فلا بد وأن يقولوا: هو الله، فيقال لهم حينئذ: فلم تجعلون من لا يقدر على شيء أصلا شريكا له في العبودية»(٢).

وقد انحرف قوم في هذا الباب فجعلوا ممن يعظمونهم أرباباً يرزقون من دون الله، فتوجهوا لهم بالطلب والتضرع والدعاء رغبة ورهبة؛ فكان شركهم في الربوبية والألوهية.

وإذا كان الرسول ﷺ الذي هو أكرم الخلق على الله لا يملك لنفسه، فضلاً عن الناس نفعاً ولا ضراً، فكيف بغيره؟!

قال شيخ الإسلام ؒ: «والرسول ﷺ لم يضمن للخلق أن يرزقهم ويحاسبهم ولا يجيب دعاءهم، بل هذا كله أخبر أنه لله وحده»(٣).

فالمقصود أن يتيقن العبد أن له رازقاً كتب له ما قدر له من الرزق، وهو آتيه لا محالة، وإذا علم العبد ذلك فيجب عليه أن يطلب هذا الرزق ممن هو بيده ﷻ، ويقبح به أن يتعلق قلبه بغير الله ﷻ في جلب هذا الرزق، فمن المؤسف أن تجد بعض

---

(١) «تفسير السعدي»، ص٨٧٧

(٢) «مفاتيح الغيب» (٣٠/٥٩٧).

(٣) «الاستغاثة في الرد على البكري» (ص٣٥٠).

المسلمين ممن غلت في بلادهم الأسعار-تجدهم هلوعين من رزق مضمونٍ لهم بيد رازقهمﷻ، لا يتخلف عنهم، ولا يتخلفون عنه، أو تجد من تعسر عليه أمرٌ من زواجٍ أو وظيفةٍ أو ذرية، أو أي شيءٍ من رزق الله ﷻ-تجده يذهب إلى عرَّافٍ أو كاهنٍ أو دجَّال حتى يجلب -في زعمه-له هذه الأشياء، وأقبح منهم من يذهبون إلى قبور الموتى يسألونهم الحاجات، ويستغيثون بهم في تفريج الكربات!

فكيف سيقابل اللهَ ﷻ من هذه حاله؟

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة العنكبوت: ١٧].

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية في خطب النبي- صلى الله عليه وسلم-.

وتحته عشرة مباحث:

المبحث الأول: ماجاء في النهي عن الشرك.

المبحث الثاني: ماجاء في التبرك.

المبحث الثالث: ماجاء في الاستغاثة.

المبحث الرابع: ماجاء في التوسل.

المبحث الخامس: ماجاء في سد الذرائع المؤدية للشرك.

المبحث السادس: ماجاء في الفأل.

المبحث السابع: ماجاء في الإخلاص.

المبحث الثامن : ما جاء في الحلف بالله.

المبحث التاسع: ما جاء في الدعاء .

المبحث العاشر : ماجاء في تعظيم شعائر الله.

المبحث الأول: ما جاء في النهي عن الشرك.

النهي عن الشرك، والأمر بالتوحيد متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، وهو مقتضى شهادة التوحيد؛ إذ هي مشتملة على نفي وإثبات، نفي العبادة عمن سوى الله، وإثباتها لله وحده، وقد كثر التحذير من الشرك في النصوص الشرعية، بل وسد الذرائع المؤدية إليه.

قال تعالى ناهياً إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام الذي حطم الأصنام بيده-: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الحج: ٢٦].

والشرك أمره عظيم، وخطره جسيم؛ وكفى بشناعته وجرمه، والخوف منه، أنه الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله جل جلاله إن مات صاحبه عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النساء: ٤٨]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [سورة النساء: ١١٦].

ومن الخطب التي جاءت عن النبي ﷺ في التحذير من الشرك، ما رواه عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلتُه عبداً حلالٌ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلَّهم، وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمَتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظانَ، وإنَّ الله أمرني أن أُحرِّقَ قريشاً، فقلت رب إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خُبزةً. قال استخرجهم كما استخرجوك، واغزُهُم نُغزِكَ، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثلَه، وقاتل بمن أطاعَك من عصاك. قال وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق

موفَّق، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيفٌ متعففٌ ذو عيال. قال وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ[١] لهُ الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالاً، والخائنُ الذي لا يخفى له طمع وإن دقَّ إلا خانه، ورجلٌ لا يصبحُ ولا يمسي إلا وهو يُخادِعُكَ عن أهلك ومالك. وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش[٢] »[٣].

والشاهد من الحديث على مقصود المبحث:

قوله تعالى: [وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب] واجتالوهم: أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه، من الفطرة الأصلية وجالوا معهم في الباطل؛ [٤] لأنهم تركوا ما خُلقوا له فتسلطت عليهم.

قال ابن القيم[٥]: «فلما لم يفعلوا ما خلقوا له وفطروا عليه من محبة الله وعبوديته والإنابة إليه، عوقبوا على ذلك بأن زين لهم الشيطان ما يفعلونه من الشرك والمعاصي»[١].

---

(١) لَا زَبْرَ لَهُ أَيْ: لَا عَقْلَ لَهُ يَزْبُرُهُ وَيَنْهَاهُ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَى ما لَا يَنْبَغِي. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/٢٩٣).

(٢) الشنظير الفحاش: هو السيىء الخلق. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/٥٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها فِي الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٥)

(٤) انظر: «شرح مسلم»، للنووي(١٧/١٩٧)، و «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»، لأبي العباس القرطبي(٢٢/٦٦).

(٥) هو أبو عبدالله شمس الدين مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسر النحوي الأصولي، الشهير بابن قيم الجوزية، له مؤلفات كثيرة منها: إعلام الموقعين، والصواعق المرسلة، والكافية الشافية، توفي ٧٥١هـ. انظر: «طبقات المفسرين» (٢/٩٤)، و«بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» (١/٦٢).

ووجه الدلالة فيه في موضعين:

الأول: الإخبار عن اجتيال الشياطين لبني آدم على وجه العموم، ثم فصل بعض أفراد هذا الاجتيال، فمنه تحريم الحلال؛ «لأن الشرك وتحريم الحلال قرينان»(٢).

ومن اجتيال الشياطين لهم أمرهم بالشرك الذي لم يدل عليه دليل عقلي ولا نقلي ولا فطري، بل هو من أعظم السفه. وتقيد ذلك بعدم إنزال السلطان من الله–قيد لا مفهوم له(٣).

الثاني: الوعيد الشديد على الشرك بالمقت من الله ﷻ؛ لأن قوله: (فمقتهم)أي: «فأبغضهم بسوء صنيعهم وخبث عقيدتهم واتفاقهم قبل بعثة مُحَمَّد ﷺ على الشرك، وانغماسهم في الكفر، قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كفروا بعيسى، وعبدوا عزيرا، وذهبوا إلى أنه ابن الله، وقوم عيسى ذهبوا إلى التثليث، أو إلى أنه ابن الله وغير ذلك»(٤).

وبهذا يتبين وجه الدلالة من الحديث على النهي عن الشرك.

---

(١) «مختصر الصواعق»، للموصلي ص٢٤١، بتصرف يسير.

(٢) ©إغاثة اللهفان»، لابن القيم(١/١٥٨).

(٣) انظر«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، للملا علي القاري(٨/٣٣٦٧)، و «الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، لمحمد الأمين الهرري الشافعي(٢٦/١٦).

(٤)انظر«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، للملا علي القاري(٨/٣٣٦٨).



المبحث الثاني: ما جاء في التبرك.

التبرك هو طلب البركة، والبركة في لغة العرب، تُطلق على معان منها:

الخير والنماء والزيادة، ومنها: الثبوت، وقد تأتي بمعنى السعادة، كما جاء في التشهد (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)؛ لأن من أسعده الله بما أسعد به النبي صلى الله عليه وآله فقد نال السعادة المباركة الدائمة، وتبرك به، أي: تيمن به، والمبارك: ما يأتي من قبله الخير الكثير، والباء والراء والكاف في لغة العرب أصل واحد، وهو ثبات الشيء، فكأن البركة هي ثبات هذا الخير والنماء والسعادة، كما في الحديث: وبارك على مُحَّد، وعلى آل مُحَّد، أي: أدم له ما أعطيته من التشريف والكرامة(١).

ويتناول أهل العلم مبحث التبرك على وجهين: مشروع وممنوع، ويذكرون تحت كل نوعٍ أقساما، وتفريعات(٢)، والمعنيُّ هنا نوعاً من أنواع التبرك المشروع، وهو التبرك بذكر اسم الله ﷻ؛ لأنه الوارد في خطب النبي ﷺ -موضوع البحث-؛ لما صح عن جندب بن سفيان البجلي ﵁(٣): أنه شهد النبي ﷺ يوم النحر صلى ثم خطب، فقال: (من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى، ومن لم يذبح فليذبح باسم الله)(٤).

(١) انظر: «تهذيب اللغة»، للأزهري (١٠/١٣٠-١٣١)، و «الصحاح»، للجوهري(٤/١٥٧٥)، و «مقاييس اللغة»، لابن فارس(١/٢٣٠)، و «القاموس المحيط»، للفيروزآبادي، ص٩٣٢

(٢) وهناك رسالة علمية جمعت شتات هذا الموضوع، وبينت أقسامه، مع الرد على الشبه المتعلقة به، وهي بعنوان: «التبرك-أنواعه، وأحكامه»، للدكتور/ ناصر بن عبدالرحمن الجديع، وهي رسالة دكتوراة نوقشت في جامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلامية، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

(٣) هو أبو عبد الله جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي الإمام، العَلَقي، صاحب النبي -ﷺ -.

نزل الكوفة والبصرة، توفي سنة ٧٠هـ تقريباً. انظر: «أسد الغابة» (١/٥٦٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/١٧٤).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" في عدة مواضع، والدال على مقصود المبحث منها موضعان، الأول: (كتاب الذبائح والصيد، باب قول النبي ﷺ فليذبح على اسم الله) (٧ / ٩١) برقم: (٥٥٠٠)، والثاني: (

فقوله ﷺ: (فليذبح باسم الله)، فيه دلالة على أن ذكر اسم الله على الذبيحة إنما هو تبركاً بذكره ﷻ (١)؛ حتى ينال الذابح بركة دينية، ودنيوية، دينية: بذكر اسم الله، ودنيوية: حتى تكون ذبيحته مباركة-كثير خيرها ونفعها.

وينبغي أن يُعلم أن باب البركة والتبرك هو باب توقيفي، لا يسوغ فيه الاجتهاد بقياس ولا بذوق، وإنما هو الاتباع وحسب، وقد ظن كثير من الناس أن التبرك بالشيء، مرادفاً للتمسح به-لا يعرفون من التبرك غير هذا -، وهذا النوع لم يثبت في نصوص الشريعة إلا في حق النبي ﷺ، وما انفصل من جسده الشريف، ودليل ذلك سنة النبي ﷺ التقريرية، وما عدا ذلك فلم يثبت، لشخص، ولا لبقعة، بل حتى تقبيل الحجر الأسود، والمسح عليه؛ إنما لثبوت ذلك عن النبي ﷺ، وليس لبركة في ذات الحجر، كما قال عمر رضي الله عنه عندما قبَّل الحجر: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك)(٢).

قال النووي رحمه الله: «وأما قول عمر - رضي الله عنه -: [لقد علمت أنك حجر وإني لأعلم أنك حجر وأنك لا تضر ولا تنفع] فأراد به بيان الحث على الاقتداء برسول الله ﷺ في تقبيله، ونبه على أنه لولا الاقتداء به لما فعله، وإنما قال: وإنك لا تضر ولا تنفع؛ لئلا يغتر بعض قريبي العهد بالإسلام الذين كانوا ألفوا عبادة الأحجار وتعظيمها رجاء نفعها، وخوف الضرر بالتقصير في تعظيمها، وكان العهد قريبا بذلك، فخاف عمر -

---

كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها) (٩ / ١٢٠) برقم: (٧٤٠٠)، وأخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الأضاحي، باب وقتها) (٦ / ٧٣) برقم: (١٩٦٠).

(١) هذا وجه من الأوجه التي فُسر بها الحديث، وهناك أوجه أخرى ذكرها الحافظ في «فتح الباري» (٢١/١٠)، والعيني في «عمدة القاري»(٣٠٥/٦)،

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود) (٢ / ١٤٩) برقم: (١٥٩٧)، و (كتاب الحج، باب تقبيل الحجر)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الْأسود فِي الطواف) (٤ / ٦٦) برقم: (١٢٧٠).

رضي الله عنه – أن يراه بعضهم يقبله، ويعتني به، فيشتبه عليه، فبين أنه لا يضر ولا ينفع بذاته، وإن كان امتثال ما شرع فيه ينفع بالجزاء والثواب، فمعناه أنه لا قدرة له على نفع ولا ضر، وأنه حجر مخلوق كباقي المخلوقات التي لا تضر ولا تنفع، وأشاع عمر هذا في الموسم؛ ليشهد في البلدان، ويحفظه عنه أهل الموسم المختلفوا الأوطان»(١).

وقد جاءت الأدلة الشرعية ببيان ما يُشرع من التبرك، معنىً، وكيفاً؛ فدل ذلك على بطلان ما سوى ذلك وعدم مشروعيته، وإن استحسنه بعض أهل الدين والعلم.

وهناك من انحرف في باب التبرك، وسلك فيه غير سبيل المؤمنين، فأصبح يطلب البركة من غير الله؛ فكان تبركه شركياً، ومنهم من التمس البركة بطرق لم يرد في الشرع التماس البركة من خلالها؛ فكان تبركه بدعياً، ووقع في الأخير جملة من أهل الفضل والعلم بنوع اجتهاد في غير محله؛ إذ الباب توقيفي، والعبرة في دلالات الكتاب والسنة، وليست في أقوال الناس، وإنما تُعظَّم أقوال الناس وتوضع؛ تبعاً لتعلقها بنور الوحي قرباً وبعداً، وليست لذوات أشخاصها، والنصوص الشرعية مشحونة بهذا المعنى، والشواهد على هذا أكثر من أن تُحصى.

ألم تر إلى ارتفاع قدر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم ممن اتبع سبيلهم ونهج منهجهم، وسار على طريقتهم؛ لقرب أقوالهم وأفعالهم من نور الوحي.

وكل من غلط، أو ضل في باب التبرك اتحد مقصدهم في بعض المعنى اللغوي، وهو طلب

الخير والنماء والسعادة، وكذلك اجتمعوا في مجانبة المعنى الشرعي، ومن أكبر أسباب الانحراف في هذا الباب هو الغلو.

وكذلك التبرك بالآثار فإنما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم مع النبي **صلى الله عليه وسلم** ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ببعض ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم.

(١) ©شرح النووي على مسلم» (١٦/٩-١٧)، وانظر: «فتح الباري» (٤٦٣/٣).

فدل على أن هذا لا يفعل إلا مع الرسول ﷺ مثل التبرك بوضوئه ﷺ وشعره، وشرب فضل شرابه وطعامه.

وفي الجملة فهذه الأشياء فتنة للمعظَّم، وزلة للمعظِّم لما يخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة، وربما يترقى إلى نوع من الشرك. كل هذا إنما جاء من التشبه بأهل الكتاب والمشركين الذي نهيت عنه هذه الأمة)(١).

والمقصود من هذا المبحث هو تجلية مسألة التبرك، وبيان المشروع منه، والممنوع من خلال ما ثبت من خطب النبي ﷺ، فينبغي للخطيب، والداعية بيان هذا الأمر للناس، وتفنيد الشبه المتعلقة به؛ إذ الانحراف في هذا الباب من أكبر أسباب الوقوع في الشرك بنوعيه، فليس الخطأ فيه كالخطأ في غيره من الأبواب، حتى وإن أخطأ فيه بعض أهل الفضل والعلم؛ إذ الواجب التمسك بما جاء به صاحب الشريعة ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى.

---

(١) «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، الحكم الجديرة بالإذاعة» (٢٥٢/١).

المبحث الثالث: ما جاء في الاستغاثة.

الاستغاثة هي طلب الغوث، والغوث في لغة العرب يدل على النصرة عند الشدة(١)، وقد جاء المعنى الشرعي للاستغاثة مطابقاً للمعنى اللغوي، ولكن يختلف حكمها باختلاف متعلقها، فقد تكون الاستغاثة مشروعة، وقد تكون ممنوعة، وكل منهما يندرج تحته أنواع(٢) فالمشروعة: منها: الاستغاثة بالله، ومنها: الاستغاثة بالمخلوق الحي القادر.

والاستغاثة المنفية نوعان:

أحدهما: الاستغاثة بالميت مطلقًا في كل شيء.

والثاني: الاستغاثة بالمخلوق الحي فيما لا يقدر عليه إلا الخالق.

فليس لأحد أن يسأل غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله لا نبيًا ولا غيره، ولا يستغيث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، وليس لأحد أن يسأل ميتًا؛ أو يستغيث به في شيء من الأشياء؛ سواء كان نبيًا أو غيره (٣).

ومما ورد في خطب النبي ﷺ في الاستغاثة:

١/ عن عبد الله بن أبي أوفي رضى الله تعالى عنهما (إن رسول الله **صلى الله عليه** وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة»، لابن فارس(٤/٤٠٠)، و «المفردات»، للراغب، ص٦٣٥.

(٢) من أراد الاستزادة في موضوع الاستغاثة فلينظر: «الاستغاثة في الرد على البكري»، لابن تيمية؛ فإنه العمدة في هذا الباب فقد أتى على كل ما يتعلق بالاستغاثة، تعريفها، وبيان أنواعه، وتقرير الحق فيها، وتفنيد شبهات أهل الباطل، والرد عليها، وكذلك ينظر شروحات كتاب التوحيد، في معرض كلامهم على قول المؤلف رحمه الله " باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره "، وكذلك كتاب كشف الشبهات، وشروحاته، فقد تناول الشبهات المتعلقة بالاستغاثة، والرد عليها، فجزاهم الله خيراً على ما وضحوا وبينوا، فهم ورثة الأنبياء، والأنبياء إنما ورّثوا العلم.

(٣) «الاستغاثة في الرد على البكري»، لابن تيمية، ص٢٣٩.

خطيباً قال أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم)(١).

والشاهد من الحديث قول النبي ﷺ (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم)، ووجه الدلالة فيه أن هذا كان في وقت لقاء العدو وهو وقت شدة، وقد طلب النبي ﷺ من الله ﷻ إزالتها، وهذا هو معنى الاستغاثة، يوضحه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الأنفال: ٩].

فسمى دعائهم في هذا الموطن استغاثة؛ لأنه طلب زوال شدة.

وقد ترجم عدد من الأئمة ممن أخرجوا حديث عبدالله بن أبي أوفى على موطن الشاهد منه ما يدل على مقصود المبحث(٢)، فنصوا في تبويبهم على الدعاء، والدعاء في هذا الموطن استغاثة؛ لأنه طلب زوال شدة.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو) (٤ / ٦٣) برقم: (٣٠٢٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) (٥ / ١٤٣) برقم: (١٧٤٢).

(٢) فمن ذلك: البخاري رحمه الله في صحيحه فقال: (كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة)، (٤ / ٤٤) برقم: (٢٩٣٣)، وقال في موطنٍ آخر: (كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين) (٨ / ٨٣) برقم: (٦٣٩٢)، والنووي في تبويبه لصحيح مسلم قال: (كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو) (٥ / ١٤٣) برقم: (١٧٤٢)، والنسائي في السنن الكبرى، قال: (كتاب السير، الدعاء إذا خاف قوما) (٨ / ٢٩) برقم: (٨٥٧٨)، والترمذي في جامعه، قال: (أبواب الجهاد عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء في الدعاء عند القتال) (٣ / ٣٠٤) برقم: (١٦٧٨)، وسعيد بن منصور في "سننه" قال: (كتاب الجهاد، باب من قال لا تتمنوا لقاء العدو والدعاء عند لقيهم) (٧ / ٢٤٥) برقم: (٢٥٢٧)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" قال: (كتاب الدعاء، ما كان النَّبِيّ صَلَّى اللهُ ﷺ يدعو به إذا لقي العدو) (١٥ / ٢٩٩) برقم: (٣٠٢٠٢)،

وقال ابن علان الشافعي(١) في تعليقه على هذا الحديث: «وفي الحديث الدعاء حال الشدائد والخروج من الحول والقوة وذلك من أعظم الأسباب لبلوغ ألمارب ونيل المطالب»(٢).

٢/ وكذلك ما رواه أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ في حديث الدجال الطويل وفيه: (...... وإن من فتنته أن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستغث بالله) (٣)

فقوله ﷺ (فمن ابتلى بناره فليستغث بالله) بيِّن الدلالة؛ إذ نص على الاستغاثة بالله من الدجال، بمعنى الدعاء بكشف هذه الشدة وزوالها.

والثمرة العملية في هذا المبحث هو أن يحرص الخطيب في خطبه على تعليق القلوب بالله حال الشدائد، لا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه الشدائد والفتن على المسلمين، فتجدهم يبحثون عن عدة مسالك للخروج من هذه الشدائد، وأغلب هذه المسالك يصدق عليها المثل القائل: (كالمستجير من الرمضاء بالنار)، فتشتد الحاجة حينئذ لتعليم الناس من خلال الخطب سواء كانت خطب جمعة أو استسقاء، أو غيرها، الاستغاثة بربهم خالقهم، ومدبر أمورهم، ويكون ذلك من الخطيب قولاً، وفعلاً، مقتدياً في ذلك بالنبي ﷺ -خير من استغاث بربه.

---

(١) هو مُحَمَّد علي بن مُحَمَّد علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعيّ: مفسر، عالم بالحديث، من مؤلفاته: دليل الفالحين، توفي سنة ١٠٥٧هـ. انظر: «الأعلام» (٢٩٣/٦).

(٢) ©دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٢٠٦/١).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الملاحم، باب خروج الدجال) (٤ / ٢٠٠) (بدون ترقيم)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج وماجوج) (٥ / ١٩٧) برقم: (٤٠٧٧)، واللفظ له، والحديث بهذا السياق إسناده ضعيف، لكن لكل فقرة منه ما يشهد لها من الأحاديث الصحيحة، إلا القليل، وقد خرجه موسعاً الشيخ الألباني، وقسمه إلى فقرات ورقمها، وأتى لكل فقرة بما يشهد لها من الأحاديث الصحيحة، وخرج كل شاهد منها، وثمة فقرات يسيرة لم يجد ما يشهد لها، انظر: «قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، على سياق رواية أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مضافاً إليه ما صحَّ عن غيره من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ»

المبحث الرابع: ما جاء في التوسل.

التوسل هو التقرب، وهو من الوسيلة، والوسيلة في لغة العرب تطلق على المنزلة، والدرجة، والقربة، والذي يعنينا هنا في هذا المبحث هو القربة.

جاء في الصحاح: « الوَسيلَةُ: ما يتقرَّب به إلى الغير، والجمع الوَسيلُ والوَسائِلُ. والتوسيل والتَوَسُّلُ واحد. يقال: وَسَّلَ فلانٌ إلى ربّه وَسيلَةً، وتوَسَّلَ إليه بوَسيلَةٍ، أي تقرَّب إليه بعمل»(١).

فإذا تقرر هذا فالتوسل في الشرع حقيقته، ولُبُّه: هو القيام بالدين ظاهراً، وباطناً.

قال الراغب: «وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، والواسل: الراغب إلى الله تعالى»(٢).

وهو معنى قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة ألمائدة: ٣٥].

قال الطبري: « واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه»(٣).

وقال الشنقيطي رحمه الله(٤): « اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة إلى الله تعالى، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه على وفق ما جاء به مُحَمَّد ﷺ

---

(١) «الصحاح»، للجوهري (١٨٤١/٥)، وانظر: «لسان العرب»، لابن منظور(٧٢٤/١١-٧٢٥)، و«تهذيب اللغة»، للأزهري (١١٤/٤)، و «القاموس المحيط»، للفيروزآبادي، ص(١٠٦٨).

(٢) «المفردات»، للراغب الأصبهاني، ص٨٧١.

(٣) انظر: «تفسير الطبري»(٢٩٠/١٠-٢٩١)، ونقل هذا المعنى عن: أبي وائل، وعطاء، والسدي، وقتادة، ومجاهد، والحسن، وعبدالله بن كثير، وابن زيد.

(٤) هو مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر، لُغَويٌّ، فقيه، من مؤلفاته: أضواء البيان، ومنع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، توفي سنة ١٣٩٣هـ. انظر: «الأعلام» (٤٥/٦)، و ترجمة الشيخ في مقدمة أضواء البيان بقلم تلميذه عطية مُحَمَّد سالم.

بإخلاص في ذلك لله تعالى ؛ لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلى رضى الله تعالى، ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة.

وأصل الوسيلة: الطريق التي تقرب إلى الشيء، وتوصل إليه، وهي العمل الصالح بإجماع العلماء ؛ لأنه لا وسيلة إلى الله تعالى إلا باتباع رسوله - ﷺ -»[١].

فهذه هي حقيقة التوسل شرعاً.

وقد قسم العلماء التوسل إلى: توسل مشروع، وتوسل ممنوع، والممنوع قد يكون شركياً، وقد يكون بدعياً.

فالمشروع: ما كان توسلاً بأسمائه الله وصفاته، أو توسلاً بالعمل الصالح، أو بدعاء الرجل الصالح. [٢]

والممنوع الشركي: ما كان تقرباً لأصحاب القبور، أو غيرهم ممن يعظمونهم بأنواع العبادات المختلفة، من ذبح ونذر ودعاء وغيرها من أنواع العبادات؛ إما لجلب نفع، أو دفع ضر.

والبدعي: ما كان توسلاً بذوات المخلوقين، وجاههم، مما لم يرد بذلك دليل صحيح صريح من كتاب ولا سنة، بل أدلة الكتاب والسنة متضافرة على تعليق القلوب بخالقها، ورازقها، ومدبر أمورها، في جلب النفع، ودفع الضر[٣].

---

(١) «أضواء البيان» (٤٠٢/١)، وانظر: «تفسير السعدي»، ص٢٣٠.

(٢) انظر: «التوصل إلى حقيقة التوسل - المشروع والممنوع»، لمحمد نسيب الرفاعي، ص(٢٢-١٧٧)، و «التوسل أنواعه وأحكامه»، لمحمد ناصر الدين الألباني، ص (٢٩-٣٨).

(٣) وللاستزادة في مبحث التوسل، انظر: «التوسل والوسيلة»، لابن تيمية، والمطبوع ضمن مجموع الفتاوي، بداية من(١٤٢/١-٣٦٨)، و «الاستغاثة في الرد على البكري» له أيضاً، وشروحات كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن سليمان التميمي، عند الكلام على قول المؤلف رحمه الله: (باب قول الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون في أسمائه) الآية، حيث قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن، في «قرة عيون الموحدين»، ص٢٢٥-قال: (أراد - رحمه الله - بهذه الترجمة الرد على من يتوسل بذوات الأموات، وأن

قال شيخ الإسلام: «فأما قول القائل عند ميت من الأنبياء والصالحين: اللهم إني أسألك بفلان أو بجاه فلان أو بحرمة فلان، فهذا لم يُنقل عن النبي – ﷺ – ولا عن الصحابة ولا عن التابعين»(١).

وهذا ليس تنقيصاً للنبي ﷺ، ولا لأحد له عند الله جاه، فإن النزاع ليس في كونهم أصحاب جاه عند الله، ولكن المنازعة في كيفية الانتفاع بهذا الجاه انتفاعاً شرعياً.

قال ابن تيمية: « فإذا كان النبي والرجل الصالح له عند الله من الجاه والقدر والحرمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فهذا لا ينتفع المتوسل به إلا بأحد وجهين:

إما أن يتوسل المتوسل بما أمر الله به من الإيمان به ومحبته وطاعته وموالاته والصلاة عليه والسلام ونحو ذلك، فهذه هي الوسيلة التي أمر الله بها في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.

فالوسيلة تجمعها طاعة الرسول؛ فكل وسيلة طاعة للرسول، وكل طاعة للرسول وسيلة، و ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾.

الوجه الثاني: أن يدعو له الرسول، فهذه أيضاً مما يتوسل به إلى الله –تعالى–، فإن دعاءه وشفاعته عند الله من أعظم الوسائل، فأما إذا لم يتوسل العبد بفعل واجب ولا مستحب ولا الرسول دعا له؛ فليس في عظم قدر الرسول ما ينفعه»(١).

المشروع هو التوسل بالأسماء والصفات والأعمال الصالحة) ا هـ، و «معارج القبول»، لحافظ الحكمي، عند كلامه على زيارة القبور، وانظر كذلك: المرجعين السابقين، «التوصل إلى حقيقة التوسل – المشروع والممنوع»، لمحمد نسيب الرفاعي، و «التوسل أنواعه وأحكامه»، لمحمد ناصر الدين الألباني،

(١) «الاستغاثة في الرد على البكري»، ص ٢٢٥

بل إن الصالحين، ومقدمهم الأنبياء كانوا يتقربون إلى الله بكل ما يحبه ويرضاه قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٥٧].

وقد ورد في سبب نزول الآية: أنه كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن، فأسلم النفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم، فنزلت: ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾(٢)

وما سبق ذكره في معنى التوسل جاء واضحاً جلياً في خطب النبي ﷺ، فمن ذلك:

١/ ما ثبت عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: (أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس قال: أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. ثم قال: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم) (٣).

فقوله ﷺ: (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم) فيه توسلٌ بأفعال الله جل جلاله، وهو إنزال الكتاب، وإجراء السحاب، وهزيمة الأحزاب.

قال الحافظ: «.... وأشار بهازم الأحزاب إلى التوسل بالنعمة السابقة وإلى تجريد التوكل واعتقاد أن الله هو المنفرد بالفعل وفيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث فإن

---

(١) المرجع السابق، (ص٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"(كتاب تفسير القرآن، باب قوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة الآية) (٦ / ٨٦) برقم: (٤٧١٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب التفسير، باب فِي قوله تَعَالَى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) (٨ / ٢٤٤) برقم: (٣٠٣٠)، كلاهما عن ابن مسعود ر رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه.

بإنزال الكتاب حصلت النعمة الأخروية وهي الإسلام وبإجراء السحاب حصلت النعمة الدنيوية وهي الرزق وبهزيمة الأحزاب حصل حفظ النعمتين وكأنه قال: اللهم كما أنعمت بعظيم النعمتين الأخروية والدنيوية وحفظتهما فأبقهما.... وفي الحديث استحباب الدعاء عند اللقاء والاستنصار ووصية المقاتلين بما فيه صلاح أمرهم وتعليمهم بما يحتاجون إليه وسؤال الله تعالى بصفاته الحسنى وبنعمه السالفة ومراعاة نشاط النفوس لفعل الطاعة والحث على سلوك الأدب وغير ذلك»(١).

٢/ وكذلك ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: (شكا الناس إلى رسول الله **صلى الله عليه** وسلم قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوما يخرجون فيه، قالت عائشة: فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر، وحمد الله عز وجل، ثم قال: إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله عز وجل أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني، ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة، وبلاغا إلى حين، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره، وقلب أو حول رداءه، وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس، ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت، وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه، فقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله) (٢).

---

(١) انظر: «فتح الباري»، لابن حجر(١٥٧/٦).

(٢)(حسن) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء) (١ / ٤٥٥) برقم: (١١٧٣)، بإسناد حسن، وقال: هذا حديث غريب، إسناده جيد، أهل المدينة يقرءون ﴿ ملك يوم الدين ﴾ وإن هذا الحديث حجة لهم. ا هـ، وصححه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، «المستدرك على الصحيحين»: (١ / ٣٢٨) برقم: (١٢٢٩)، ووافقه الذهبي، وتعقب الشيخ الألباني تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي بأن في إسناده: خالد بن نزار، والقاسم بن مبرور، وهما ثقتان إلا أن الأول منهما فيه كلام يسير لا ينزل بحديثه عن رتبة الحسن

فقوله ﷺ: (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني، ونحن الفقراء)، فيه دلالة بينة على التوسل إلى الله ﷻ بأسمائه، وصفاته، ففي قوله: (لله رب العالمين): صفتي الربوبية، والألوهية، وفي قوله: (الرحمن الرحيم): صفة الرحمة، وفي قوله: (ملك يوم الدين): صفة الملك، وفي قوله: (الغني): صفة الغنى.

وفيه التوسل بالعمل الصالح، وذلك من أوجه:

الأول: الثناء على الله ﷻ بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، في قوله: (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين)، وهو من العمل الصالح.

الثاني: التوحيد، وهو من أعظم الأعمال التي يتوسل بها العبد إلى ربه، وذلك في قوله:

(لا إله إلا الله).

الثالث: الإيمان بالقدر خيره وشره، وهو من أعظم الأعمال التي يُتوسل بها إلى الله ﷻ،

و تجعل العبد راضياً عن ربه، وذلك في قوله: (يفعل مايريد).

الرابع: شكاية الحال، وإظهار الحاجة والفقر لله ﷻ، وهو عمل صالح يُتوسل به إلى الله ﷻ، كما حكى الله عن موسى قوله: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة القصص: ٢٤].

، انظر: «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»(١٣٦/٣) برقم: (٦٦٩)، وللحديث شواهد كثيرة عن عدد من الصحابة مخرجة في كتب الصحاح، والمسانيد.

«أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إلي وتيسره لي. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال» (١)

٣/ وأيضاً ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ؛ فقال: يا رسول الله، لقد جئتك من عند قوم ما يتزود لهم راع ولا يخطر لهم فحل. فصعد المنبر فحمد الله ثم قال: (اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا طبقا مريعا غدقا عاجلا غير رائث، ثم نزل فما يأتيه أحد من وجه من الوجوه إلا قالوا: قد أحيينا)(٢).

ففي الحديث التوسل بأسماء الله وصفاته، والتوسل بالعمل الصالح، في قوله: (اللهم)، والتوسل بدعاء الرجل الصالح، وذلك في مجيء الأعرابي وطلبه من النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يدعوا الله بإنزال المطر، وإقرار النبي ﷺ وهو على المنبر ذلك وهو على المنبر.

والثمرة العملية من هذا المبحث هو معرفة التوسل المشروع، فيُحرص عليه، والتوسل الممنوع، فيُجتنب؛ حتى تتعلق القلوب بفاطرها، ومدبر أمورها، فإن من فعل ذلك صرف العبادة بأفرادها لله وحده، ولم يصرف شيئاً منها لأحد سواه.

---

(١) انظر: «تفسير السعدي»، ص٦١٤.

(٢) سبق تخريجه.

المبحث الخامس: ما جاء في سد الذرائع المؤدية للشرك.

الذريعة في لغة العرب: تُطلق على الوسيلة، وعلى السبب، فتذرع بذريعة، أي: توسل بوسيلة، ويقال: فلان ذريعتي إليك أي سببي ووصلتي الذي أتسبب به إليك (١).

ولقد جاءت نصوص الوحيين بتقرير قاعدة جليلة، يترتب على مراعاتها مصالح كثيرة، وتندفع بتطبيقها مفاسد عظيمة، ألا وهي: قاعدة: «سد الذرائع»، وهي قائمة على تحريم أمورٍ، لم تكن محرمة في الأصل، بل قد يكون فيها مصلحة شرعية، فتمنع سداً للذريعة، كنهي الله ﷻ عن سب آلهة المشركين، مع أن سب آلهتهم فيه مصلحة شرعية؛ حتى لا يفضي ذلك إلى مفسدة سب الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨].

قال ابن القيم رحمه الله: « فحرم الله تعالى سب آلهة المشركين – مع كون السب غيظا وحمية لله وإهانة لآلهتهم – لكونه ذريعة إلى سبهم الله تعالى، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لآلهتهم، وهذا كالتنبيه بل كالتصريح على المنع من الجائز لئلا يكون سببا في فعل ما لا يجوز»(٢).

وقال السعدي رحمه الله: « ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزا، بل مشروعا في الأصل، وهو سب آلهة المشركين، التي اتخذت أوثانا وآلهة مع الله، التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها.

ولكن لما كان هذا السب طريقا إلى سب المشركين لرب العالمين، الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب، وآفة، وسب، وقدح -نهى الله عن سب آلهة المشركين،

---

(١) انظر: «الصحاح»، للجوهري (١٢١١/٣)، و «القاموس المحيط»، للفيروزآبادي، ص٧١٧، و «لسان العرب»، لابن منظور(٩٦/٨).

(٢) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (١١٠/٣)، وقد ذكر ابن القيم لهذه القاعدة–سد الذرائع– تسعة وتسعين دليلاً، في هذا الكتاب، انظرها: (١٠٨/٣–١٢٦)، تحت عنوان: «فصل: في سد الذرائع».

لأنهم يحمون لدينهم، ويتعصبون له. لأن كل أمة، زين الله لهم عملهم، فرأوه حسنا، وذبوا عنه، ودافعوا بكل طريق، حتى إنهم، ليسبون الله رب العالمين، الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار، إذا سب المسلمون آلهتهم»(١).

ومن ذلك سد الذرائع المؤدية إلى الشرك، فقد سد النبي ﷺ كل سبيل من شأنه أن يوقع في هاوية الشرك، ومستنقع الكفر، فهذه السبل محرمة، وإن زعم فاعلها أنه يجوز فعلها عند أمن الفتنة! ألا في الفتنة سقطوا.

قال ابن تيميةرحمه الله: « فهذه المفسدة -التي هي مفسدة الشرك، كبيره وصغيره- هي التي حسم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد الثلاثة، ونحو ذلك كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس واستوائها وغروبها؛ لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها فينهى المسلم عن الصلاة حينئذ - وإن لم يقصد ذلك - سدا للذريعة»(٢).

ولذلك نرى النبي ﷺ في خطبه يقرر هذه القاعدة العظيمة-قاعدة سد الذرائع-، فمن ذلك:

١/ ما ثبت عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه(٣) قال: (إن علي بن أبي طالب(١)

---

(١) «تفسير السعدي»، ص٢٦٨.

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١٩٣/٢)، وانظر: (٤٥/١)، و (٢٢٠/١)، و (١٧٩/٢) من نفس المصدر، و«إعلام الموقعين عن رب العالمين» (١١٢/٣).

(٣) هو أبو عبدالرحمن، وقيل أبو عثمان المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ القرشيّ الزهريّ، الصحابي الجليل، معدود في صغار الصحابة، توفي رضي الله عنه سنة ٦٤هـ. انظر: «الإصابة» (٩٣/٦)، و «سير أعلام النبلاء» (٣٩٠/٣).

خطب بنت أبي جهل على فاطمة(٢)، فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم، فقال: إن فاطمة مني، وإني أتخوف أن تفتن في دينها. قال: ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن، قال: حدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي، وإني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراما، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكاناً واحداً أبدا)(٣).

والشاهد من الحديث هو نهي النبي ﷺ عن الجمع بين ابنته، وابنة أبي جهل تحت علي رضي الله عنه، واختلف أهل العلم في علة ذلك، وكلها راجعة إلى باب سد الذرائع.

قال ابن حجر رحمه الله(٤): «وفيه حجة لمن يقول بسد الذريعة، لأن تزويج ما زاد على الواحدة حلال للرجال ما لم يجاوز الأربع، ومع ذلك فقد منع من ذلك في الحال

---

(١) هو أمير المؤمنين أبو الحسن، وأبو تراب علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ، وصاحبه، رابع الخلفاء الراشدين، توفي سنة ٤٠هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٢٥) مجلد الخلفاء الراشدين، و «الإصابة» (٤/٤٦٤).

(٢) هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين رضي الله عنها، تكنى بأم أبيها، الهاشمية القرشية، وأمها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، توفيت سنة١١هـ. انظر: «الاستيعاب» (٤/١٨٩٣).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر أصهار النبي ﷺ) (٥ / ٢٢) برقم: (٣٧٢٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام) (٧ / ١٤١)، واللفظ له.

(٤) هو الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن علي بن محمود بن أحمد الكناني، ابن حجر العسقلاني، المصري، الشافعي، متبحرٌ في أنواع العلوم، من مصنفاته: فتح الباري، ونزهة النظر، والنكت على ابن الصلاح، توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر: «طبقات الحفاظ» (٥٥٢)، و«شذرات الذهب» (٧٤/١)، وقد أفرد له تلميذه السخاوي كتاباً في ترجمته بعنوان «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر».

لما يترتب عليه من الضرر في المال........... وفيه أن الغيراء إذا خشي عليها أن تفتن في دينها كان لوليها أن يسعى في إزالة ذلك»(١).

٢/ وكذلك ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ، فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فقام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى، ثم انصرف، وقد انجلت الشمس، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا، وصلوا وتصدقوا". ثم قال: يا أمة مُحَمَّد، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته، يا أمة مُحَمَّد، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)(٢).

والشاهد من الحديث، قوله ﷺ عن خسوف الشمس والقمر: (لا يخسفان لموت أحد، ولا لحياته)، ووجه الدلالة أن النبي ﷺ نهاهم عن اعتقاد اعتقده بعضهم عندما خسفت الشمس، وهو أن ذلك الخسوف كان بسبب موت إبراهيم؛ حتى لا يكونوا مشابهين لأهل الجاهلية في اعتقادهم أن الشمس والقمر ينخسفان عند موت عظيم(٣).

---

(١) «فتح الباري، لابن حجر(٩/٢٣٨)، وانظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم»، للقاضي عياض (٧/٤٧٣)، و«المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للقرطبي(٦/٣٥٠)، و«الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (١٣/٨٨)، و«شرح النووي على صحيح مسلم، (١٦/٣)، و «روضة المحبين، ونزهة المشتاقين»، لابن القيم، (ص٤٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الكسوف، باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته) (٢ / ٣٨) برقم: (١٠٥٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب صلاة الاستسقاء، باب صلاة الكسوف) (٣ / ٢٧) برقم: (٩٠١).

(٣)كما جاء عند أحمد في المسند (٨ / ٤١٧٤) برقم: (١٨٦٤٢) ، والنسائي في المجتبى" (١ / ٣١٦) برقم: (١٤٨٤ / ١) (كتاب الكسوف ، باب نوع آخر) وابن ماجه في السنن (٢ / ٣١٢) برقم: (١٢٦٢) (أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء فِي صلاة الكسوف) وصححه ابن خزيمة في صحيحه (٢

قال ابن تيمية رحمه الله: «هذا قاله ردا لما قاله بعض الناس: إن الشمس كسفت لموت إبراهيم بن النبي – ﷺ –، فإنها كسفت يوم موته، وظن بعض الناس لما كسفت أن كسوفها كان لأجل موته، وأن موته هو السبب لكسوفها، كما قد يحدث عن موت بعض الأكابر مصائب في الناس، فبين النبي – ﷺ – أن الشمس والقمر لا يكون كسوفهما عن موت أحد من أهل الأرض ولا عن حياته، ونهى أن يكون للموت والحياة أثر في كسوف الشمس والقمر، وأخبر أنهما من آيات الله، وأنه يخوف عباده. فذكر أن من حكمة ذلك تخويف العباد، كما يكون تخويفهم في سائر الآيات، كالرياح الشديدة والزلازل، والجدب، والأمطار المتواترة ونحو ذلك من الأسباب التي قد تكون عذاباً، كما عذب الله أمما بالريح والصيحة والطوفان»(١)

وقال الحافظ: « وفي هذا الحديث إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض وهو نحو قوله في الحديث الماضي في الاستسقاء يقولون مطرنا بنوء كذا قال الخطابي: كانوا في الجاهلية يعتقدون أن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض من موت أو ضرر فأعلم النبي ﷺ أنه اعتقاد باطل وأن الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة على الدفع عن أنفسهما»(٢).

/ ٥٢٨) برقم: (١٤٠٣) (كتاب الصلاة ، باب ذكر علة لما تنكسف الشمس إذا انكسفت) من حديث النعمان بن بشير قال: «كسفت الشمس على عهد رسول الله – ﷺ –، فخرج فزعا يجر ثوبه حتى أتى المسجد، فلم يزل يصلي حتى انجلت، فلما انجلت قال: إن الناس يزعمون أن الشمس والقمر لا ينكسفان إلا لموت عظيم من العظماء وليس كذلك» الحديث، وانظر: «فتح الباري»، لابن حجر(٢/٥٢٨)، و «نيل الأوطار» (٣/٣٨٨).

(١) «الفتاوى الكبرى» (١/٥٨-٥٩)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٥/١٩١).

(٢) «فتح الباري»، (٢/٥٢٨)، وانظر: «نيل الأوطار» (٣/٣٨٨).

وتأكيداً على سد هذا الباب نص النبي ﷺ على أن القمران لا يخسفان لحياة عظيم، كما لا يخسفان لموته؛ بالرغم من أن الكلام في الأصل لدفع توهم خسوفهما لموت عظيم، وذلك عند موت إبراهيم بن النبي ﷺ.

قال الحافظ: «قوله: (ولا لحياته) استشكلت هذه الزيادة؛ لأن السياق إنما ورد في حق من ظن أن ذلك لموت إبراهيم ولم يذكروا الحياة والجواب: أن فائدة ذكر الحياة دفع توهم من يقول لا يلزم من نفي كونه سببا للفقد أن لا يكون سببا للإيجاد فعمم الشارع النفي لدفع هذا التوهم(١)

والثمرة العملية من هذا المبحث، هو منع كل ما من شأنه أن يكون ذريعة للشرك بنوعيه، أو البدع بأنواعها، فإذا عرفنا أن معظم الشرك الواقع في هذه الأمة قديما، وحديثاً من الذبح، والنذر، واعتقاد النفع، والضر في غير الله، والطواف بالأضرحة، بسبب الغلو في تعظيم الصالحين، وتشييد قبورهم، والبناء عليها، عرفنا أهمية هذا الباب، وضرورة العناية به، تعلما، وتعليما؛ نصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

فيُعرض على العامة تاريخ شرك الأمم(٢)، وأسبابه، بداية من شرك قوم نوح، الذي هو أول شرك وقع في تاريخ البشرية، وكان سببه: الغلو في الصالحين!!

قال ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه عن سؤال الصالحين: «.... لكن في مسألتهم أنواع من المفاسد منها إيذاؤهم له بالسؤال، ومنها إفضاء ذلك إلى الشرك، وهذه المفسدة توجد مع الموت دون الحياة، فإن أحدًا من الأنبياء والصالحين لم يُعبد في حياته، إذ هو ينهى عن ذلك، وأما بعد الموت فهو لا ينهى، فيفضي ذلك إلى اتخاذ

(١) «فتح الباري»، (٢/٥٢٨).

(٢) وللاستزادة في موضوع تاريخ الشرك هناك رسالة علمية بعنوان: «الشرك في القديم والحديث»، لأبي بكر محمد زكريا، وهي رسالة ماجستير، نُوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

قبره وثنًا يعبد، ولهذا قال النبي – ﷺ –: "لا تتخذوا قبري عيدًا"، وقال: "اللهم لا تجعل قبري وثنًا... »[(١)]

وذلك العرض يكون بأسلوب سهل يفهمونه، مدعما بنصوص الوحيين؛ حتى يدركوا خطر هذا الباب، وأن التساهل في الأسباب المؤدية إليه–الذرائع– هو الذي هوى بأصحابه في سحيق الكفر والبدعة.

(١) «الاستغاثة في الرد على البكري»، ص ٢٢٤.

المبحث السادس: ما جاء في الفأل.

الفأل عند العرب: هو ما يتفاءل به، ويكون في الأصل متعلقاً بالمحبوبات، كأن يكون الرجل مريضا فيسمع رجلاً يقول: يا سالم؛ أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد؛ فيتوجه له في ظنه، لما سمعه، أنه يبرأ من مرضه، أو يجد ضالته. وضده الطيرة.

ومن العرب من يجعل الفأل فيما يكره أيضاً(١).

قال ابن الأثير رحمه الله(٢): «الفأل.. فيما يسر ويسوء»(٣).

وقال النووي رحمه الله: «الفأل فيما يسر وفيما يسوء والغالب في السرور والطيرة لا يكون إلا فيما يسوء قالوا وقد يستعمل مجازا في السرور»(٤).

ويؤيد هذا-أن الفأل قد يجعل في المكروهات- ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح. والفأل الصالح: الكلمة الحسنة)(٥)، وهذا يدل على أن من الفأل ما يكون صالحا ومنه ما يكون غير صالح. (٦)

---

(١) «تهذيب اللغة» (٢٧١/١٥)، و «مقاييس اللغة»، لابن فارس(٤٦٨/٤).

(٢) هو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم مُحَّد بن مُحَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب مجد الدين، عالم متفنن، من مصنفاته: جامع الأصول في أحاديث الرسول، والنهاية في غريب الحديث، توفي سنة ٦٠٦هـ. انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٣٦٦/٨)، و«إنباه الرواة على أنباه النحاة»، للقفطي (٢٥٧/٣).

(٣) «النهاية في غريب الحديث» (٤٠٥/٣).

(٤) «شرح النووي على مسلم» (٢١٩/١٤).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الطب، باب الفأل) (١٣٥/٧) برقم: (٥٧٥٦)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم) (٧/ ٣) برقم: (٢٢٢٤).

(٦) انظر: «لسان العرب»، لابن منظور(٥١٣/١١-٥١٤).

وأما في الشرع، فإن الفأل من جملة الطيرة، ولكنه استثني فقد ورد تعريف الفأل في الحديث، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: لا طيرة وخيرها الفأل، قال: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم (١)، ففي الحديث أن الفأل نوعٌ من أنواع الطيرة

وهذا من تعريف الشيء ببعض أفراده، وإلّا فقد يكون الفأل بشيء حسن يراه، أو يقع في قلبه.

وبعد هذه المقدمة، يحسن التنبيه على أن الشريعة جاءت بحثِّ الناس على التفاؤل، والذي هو بمعنى الاستبشار بالشيء يسمعه المرء أو يراه؛ شريطة ألّا يكون هذا الشيء ممضياً له أو راداً، كما جاء في الحديث: «إنما الطيرة ما أمضاك، أو ردك»(٢)، فإذا ترتب على هذا الاستبشار إمضاء أو نكوص، رجع إلى الطيرة المذمومة، والفأل الفاسد؛ لأن العلة واحدة في الإمضاء، والنكوص، وهي تعلق القلب بغير الله في جلب النفع، ودفع الضر، وهذا قدح في مقام الربوبية؛ إذ من لوازم إفراد الله بالربوبية، إفراده ﷻ بالنفع والضر، وقد جاء في الحديث «الطيرة شرك»(٣).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الطب، باب الفأل) (٧ / ١٣٥) برقم: (٥٧٥٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم) (٧ / ٣٢) برقم: (٢٢٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣٢٧/٣) برقم: (١٨٢٣)، بسند ضعيف، وله شاهد من حديث أبي أمامة الباهلي، أورده ابن حجر في "المطالب العالية" (١١ / ١٨٦) برقم: (٢٤٩٤)، وقد أورد له المحقق عدة شواهد، وضعّفها، وحكم على الحديث بأنه: «حسن لغيره»؛ وذلك بمجموع شواهده، المرفوعة والموقوفة، وقال: «ولمعنى الحديث شواهد كثيرة عن ابن عباس، وعبد الله بن عمرو، ورويفع بن ثابت، وأبي الدرداء رضي الله عنهم تدل على أن المتطير يأثم إذا ترتب على تطيره عمل» ا هـ.

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢ / ٨٥٨) برقم: (٣٧٦٢)، وأبو داود في "سننه" (كتاب الكهانة والتطير، باب في الطيرة) (٤ / ٢٤) برقم: (٣٩١٠)، والترمذي في "جامعه"(أبواب السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب ما جاء في الطيرة) (٣ / ٢٥٨) برقم: (١٦١٤) وقال: «وهذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة) (٤ / ٥٦٠) برقم:

قال النووي رحمه الله: «أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذ عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك؛ لأنهم جعلوا لها أثرا في الفعل والإيجاد»[(١)]

وإنما كان الفأل محبوباً مشروعاً؛ (لأن الإنسان إذا أمل فائدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير في الحال، وإن غلط في جهة الرجاء فالرجاء له خير وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى فإن ذلك شر له، والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلاء)[(٢)]

وكان التطير مبغوضاً ممنوعاً؛ لأن فيه تشتيتاً للقلب، وجلباً للهم، وتثبيطاً للهمة، وقدحاً في مقام الربوبية، ومقام الألوهية، فالمتطير يقف في أمره حائراً، أحير من ضب في حَمارَّة [(٣)] قيظ، لا يدري أيمضي، أم ينكص، وإن أراد الذهاب لتجارة، أو أمر من الأمور، ورأى قبل ذهابه، أو سمع ما يكره كان كالثاكل إذا فجعت بواحدها، والموتور إذا حيل بينه وبين واتره، وبالرغم من شدة احترازه، فقد يصيبه نفس ما فرَّ منه، وأضعاف أضعافه، فاللهم ارزقنا حسن التوكل عليك.

يقول ابن القيم رحمه الله في بيان شؤم التطير، وسوء عاقبته في كلام نفيس له: « واعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف وأما من لم يبال به ولم يعبأ به شيئا لم يضره البتة ولا سيما إن قال عند رؤية ما يتطير به أو سماعه اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك فالطيرة باب من الشرك وإلقاء الشيطان وتخويفه

(٣٥٣٨)، والحديث صححه الحاكم في المستدرك (١ / ١٧) برقم: (٤٣) (كِتَابُ الْإِيمَانِ ، الطيرة شرك)، ووافقه الذهبي، انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم: (٤٢٩).

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢١٩/١٤).

(٢) انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢١٩/١٤-٢٢٠)، و«النهاية في غريب الحديث» (٤٠٥/٣).

(٣) الحمارة بالتشديد شدة الحر. انظر: «مقاييس اللغة» (١٠١/٢).

ووسوسته يكبر ويعظم شأنها على من اتبعها نفسه واشتغل بها وأكثر العناية بها وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها ولا ألقى إليها باله ولا شغل بها نفسه وفكره واعلم أن من كان معتنيا بها قائلا بها كانت إليه أسرع من السيل الى منحدر فتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه وينكد عليه عيشه... وهذه حال من تقطعت به أسباب التوكل وتقلص عنه لباسه بل تعرى منه ومن كان هكذا فالبلايا إليه أسرع والمصائب به أعلق والمحن له ألزم بمنزلة صاحب الدمل والقرحة الذى يهدى إلى قرحته كل مؤذ وكل مصادم فلا يكاد يصدم من جسده أو يصاب غيرها والمتطير متعب القلب منكد الصدر كاسف البال سيء الخلق يتخيل من كل ما يراه أو يسمعه أشد الناس خوفا وأنكدهم عيشا وأضيق الناس صدرا وأحزنهم قلبا كثير الاحتراز والمراعاة لما لا يضره ولا ينفعه وكم قد حرم نفسه بذلك من حظ ومنعها من رزق وقطع عليها من فائدة»(١)

وقد جاءت خطب النبي ﷺ بالحث على الفأل في غير موضع، فمن ذلك:

١/ ما ثبت عن عبد الله بن أبي أوفي رضي الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيبا قال أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم»(٢).

والشاهد من الحديث: ذكر الجنة في موطن القتال، والاستغاثة بالله في قول النبي ﷺ: (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم)؛ ووجه الدلالة على مقصود الترجمة: أن ذكر الجنة في هذا الموضع يبعث على الفأل

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١٤٧٣/٣-١٤٧٥).

(٢) سبق تخريجه.

الحسن، وكذلك الاستغاثة بالله تدل على التفاؤل وعدم اليأس، وقد ألمح غير واحد من أهل العلم إلى هذا المعنى من هذا الحديث.

قال الحافظ: « أشار بهذا الدعاء إلى وجوه النصر عليهم، فبالكتاب إلى قوله تعالى ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ وبمجري السحاب إلى القدرة الظاهرة في تسخير السحاب حيث يحرك الريح بمشيئة الله تعالى، وحيث يستمر في مكانه مع هبوب الريح، وحيث تمطر تارة وأخرى لا تمطر فأشار بحركته إلى إعانة المجاهدين في حركتهم في القتال، وبوقوفه إلى إمساك أيدي الكفار عنهم، وبإنزال المطر إلى غنيمة ما معهم حيث يتفق قتلهم، وبعدمه إلى هزيمتهم حيث لا يحصل الظفر بشيء منهم وكلها أحوال صالحة للمسلمين، وأشار بهازم الأحزاب إلى التوسل بالنعمة السابقة، وإلى تجريد التوكل واعتقاد أن الله هو المنفرد بالفعل وفيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث فإن بإنزال الكتاب حصلت النعمة الأخروية وهي الإسلام وبإجراء السحاب حصلت النعمة الدنيوية وهي الرزق وبهزيمة الأحزاب حصل حفظ النعمتين وكأنه قال: اللهم كما أنعمت بعظيم النعمتين الأخروية والدنيوية وحفظتهما فأبقهما.... وفي الحديث استحباب الدعاء عند اللقاء والاستنصار ووصية المقاتلين بما فيه صلاح أمرهم وتعليمهم بما يحتاجون إليه وسؤال الله تعالى بصفاته الحسنى وبنعمه السالفة ومراعاة نشاط النفوس لفعل الطاعة والحث على سلوك الأدب وغير ذلك »(1).

٢/ ومن الخطب الباعثة على الفأل كذلك ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: (شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوما يخرجون فيه، قالت عائشة: فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر، وحمد الله عز وجل، ثم قال: إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله عز وجل أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني، ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا

(١) انظر: «فتح الباري»، لابن حجر(١٥٧/٦)، و «إحكام الأحكام»، لابن دقيق العيد (٣٠١/٢).

قوة، وبلاغا إلى حين، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره، وقلب أو حول رداءه، وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس، ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت، وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه، فقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله) (١).

٣/ وما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (خرج رسول الله ﷺ يوما يستسقي، فصلى بنا ركعتين بلا أذان ولا إقامة، ثم خطبنا ودعا الله وحول وجهه نحو القبلة رافعاً يديه، ثم قلب رداءه، فجعل الأيمنَ على الأيسر، والأيسرَ على الأيمن)(٢).

والشاهد من الحديثين: في قلب النبي ﷺ لرداءه في الاستسقاء، وجعل الأيمن على الأيسر، والأيسر على الأيمن، وذلك تفاؤلاً بقلب الحال، من الشدة إلى الخصب، ونزول المطر.

قال النووي رحمه الله: « والتحويل شرع تفاؤلا بتغير الحال من القحط إلى نزول الغيث والخصب، ومن ضيق الحال إلى سعته» (٣).

والثمرة العملية من هذا المبحث، هو بيان المعنى الشرعي للفأل، وحث الناس على التفاؤل، وترك الطيرة والتشاؤم، وبيان أن الخلل في هذا الباب قدح في مقام الربوبية، والألوهية، وذلك بذكر الآيات والأحاديث التي تدل على هذا.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فِي صلاة الاستسقاء) (٢ / ٣١٩) برقم: (١٢٦٨)، وهو بهذا الإسناد ضعيف؛ لأن في سنده النعمان بن راشد الجزري، ضعفه غير واحد من أهل العلم، منهم أحمد والبخاري. انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (٥٦٣٠)، ولكن للأحاديث شواهد أخري تقويه.

(٣) «شرح النووي على مسلم» (١٨٨/٦)، وانظر: «المعلم بفوائد مسلم»، للمازري(٤٨١/١)، و«فتح الباري»، لابن حجر (٥٧٧/٢)، و«عمدة القاري»، لبدر الدين العيني(٣١/٢)، و«تحفة الأحوذي»، للمباركفوري(١٠٦/٣-١٠٧)، و«حاشية السندي على سنن ابن ماجه»(٣٨٢/١-٣٨٣).

المبحث السابع: ما جاء في الإخلاص.

أصل مادة الإخلاص في لغة العرب تدل على التنقية، والتهذيب، قال ابن فارس: «الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه»(١)، وهذا المعنى قريبٌ جداً من المعنى الشرعي؛ إذ الإخلاص تنقية الأعمال والأقوال والنيات من شائبة الشرك، كبيره، وصغيره.

والإخلاص لله ﷻ هو حقيقة دين الإسلام، وغايته، ولُبُّه، وأساس دعوة الأنبياء والمرسلين، وغاية إنزال الكتب من رب العالمين، والمقصود به أن يتوجه المكلف بأعماله كلها-الظاهرة والباطنة- إلى الله وحده، دون سواه (٢).

وبهذا يكون مرادفاً لكلمة التوحيد، ومقتضياتها، قال الليث: «الإخلاص: التوحيد لله خالصا»(٣)، وقد رتب الله ﷻ على الإخلاص من الأجر، ما لم يرتبه على عمل آخر، فهو أحد شرطي قبول العمل، والذي بفقده لا يقبل العمل، قال ابن تيمية رحمه الله: « والحسنات كلها يشترط فيها الإخلاص لله وموافقة أمره كما قال الفضيل بن عياض في قوله: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ قال أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل؛ حتى يكون خالصا صوابا. والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة.

---

(١) «مقاييس اللغة»(٢/٢٠٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (١٤/١٠)، و «مقاصد المكلفين، فيما يُتعبد به لرب العالمين»، لعمر سليمان الأشقر، ص٣٥٧.

(٣) «تهذيب اللغة»، للأزهري (٦٥/٧).

وكان عمر بن الخطاب[(١)] رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئا»[(٢)]

وتوعد جل جلاله على خلافه من العقاب، مالم يتوعد على ذنب آخر، وأهل الإخلاص مدفوعٌ عنهم من البلاء ما لا يدفع عن غيرهم، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يوسف: ٢٤].

قال ابن تيمية رحمه الله: «وكلما حقق العبد الإخلاص في قول: لا إله إلا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه وتصرف عنه المعاصي والذنوب كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ ، فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين وهؤلاء هم الذين قال فيهم: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ وقال الشيطان: ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه حرمه الله على النار)[(٣)] . فإن الإخلاص ينفي أسباب دخول النار؛ فمن دخل النار من القائلين لا إله إلا الله لم يحقق إخلاصها المحرم له على

---

(١) هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله ابن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، صاحب النبي ﷺ، وأمير المؤمنين، ثاني أفضل رجل بعد الأنبياء والمرسلين، جم المناقب، تولى الخلافة بعد أبي بكر، توفي سنة ٢٣هـ. انظر: «تاريخ الإسلام» (١٣٨/٢)، و«الإصابة» (٤٨٤/٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣١٨/١٠)، و (٦٩٨/١١).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٣٧) برقم: (١٢٨) (كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٥) برقم: (٣٢) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار) بلفظ: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار).

النار؛ بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل»(١)

والإخلاص ييسر على العبد ترك المعصية، حتى وإن أَلِفها.

قال ابن القيم رحمه الله: « إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد من تركها لغير الله، فأما من تركها صادقا مخلصا من قلبه لله؛ فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة؛ ليمتحن أصادق هو في تركها أم كاذب، فإن صبر على تلك المشقة قليلا استحالت لذة، قال ابن سيرين: سمعت شريحا يحلف بالله: ما ترك عبد لله شيئا فوجد فقده، وقولهم من ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه حق، والعوض أنواع مختلفة وأجلُّ ما يعوض به الأنس بالله ومحبته وطمانينة القلب به وقوته ونشاطه وفرحه ورضاه عن ربه تعالى»(٢).

وأمر الله جل جلاله عباده بالإخلاص في غير آية من كتابه: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ [سورة الزمر: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١﴾ [سورة الزمر: ١١].

ونجد هذا المعنى واضحاً في سنة النبي ﷺ فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، (فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: لا شيء له. فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله ﷺ: لا شيء له، ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا، وابتغي به وجهه)(٣)، فرتب قبول العمل على الإخلاص، وأكّد ذلك بقوله: ابتغي به وجهه.

---

(١) «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (١٠/٢٦٠-٢٦١).

(٢) «الفوائد»، ص١٠٧.

(٣) أخرجه النسائي في "الصغرى" (كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر) (١ / ٦١٩) برقم: (٣١٤٠ / ١)، وجود إسناده الحافظ ابن حجر، في «الفتح»(٦/٣٣).

فالله ﷻ غنيٌ عزيزٌ غيورٌ لا يرضى أن يصرف لغيره مثقال ذرة من عبادة، وتوعد من فعل ذلك، بحبوط عمله، وفرط أمره، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)(١).

وقد تعددت أقوال أهل العلم، في تعريف الإخلاص، واختلفت عباراتهم في ذلك- اختلاف ألفاظ، لا اختلاف معانٍ-، ومدارها على قصد الله بالعبادة دون سواه(٢)، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [سورة البينة: ٥].

وقد جاء الحث على الإخلاص في غير خطبة من خطبه الشريفة ﷺ، فمن ذلك:

١/ ما ثبت عن أبي قتادةرضي الله عنه(٣) قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله، (أرأيت إن ضربت بسيفي في سبيل الله صابرًا محتسبًا مقبلاً غير

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله) (٨ / ٢٢٣) برقم: (٢٩٨٥)، بوَّب عليه ابن خزيمة في صحيحه بقوله: باب ذكر نفي قبول صلاة المرائي بها (٢ / ١٤١) برقم: (٩٣٨)، وابن حبان في صحيحه بقوله: ذكر الإخبار بأن من لم يخلص عمله لمعبوده في الدنيا لم يثب عليه في العقبى (٢ / ١٢٠) برقم: (٣٩٥).

(٢) انظر في معرفة أقوالهم: «مدارج السالكين»، لابن القيم، عند كلامه على منزلة(الإخلاص)(٢/٩١-٩٢)، و«مقاصد المكلفين، فيما يُتعبد به لرب العالمين»، لعمر سليمان الأشقر، ص٣٥٧.

(٣) هو الحارث، النعمان، وقيل: عمرو، وقيل: عون، وقيل: مراوح بن ربعي بن بلدمة بن خناس بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة، الأنصاري، السلمي، الخزرجي، صاحب النبي ﷺ، وفارسه، مات سنة ٤٠هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/٤٤٩)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٢/٧٤٩)، و«الاستيعاب» (١٧٣١/٤).

مدبر حتى أقتل، أيكفر الله عني خطاياي؟ قال: نعم. فلما أدبر دعاه، فقال: هذا جبريل يقول: إلا أن يكون عليك دين) (١).

٢/ عن أبي سعيد الخدري ﵁(٢) قال: كان رسول الله ﷺ عام تبوك يخطب الناس وهو مسند ظهره إلى راحلته، فقال: (ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس: إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً يقرأ كتاب الله لا يرعوي(٣) إلى شيء منه)(٤).

٣/ عن عقبة بن عامر﵁(٥)، قال: كنا مع رسول الله ﷺ خدام أنفسنا نتناوب الرعاية –رعاية إبلنا–، فكانت عليَّ رعاية الإبل فروَّحتها بالعشي، فأدركت رسول الله ﷺ يخطب الناس فسمعته يقول: (ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيركع ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا فقد أوجب.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب من قتل فِي سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين) (٦ / ٣٧) برقم: (١٨٨٥)، والنسائي في "المجتبى" (كتاب الجهاد، باب من قاتل في سبيل الله تعالى وعليه دين) (١ / ٦٢٣) برقم: (٣١٥٨)، واللفظ له.

(٢) هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج، أبو سعيد الخدري، صاحب النبي ﷺ، مفتي المدينة، توفي سنة ٦٣هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٦٨/٣)، و«الإصابة» (١٤٧/٧).

(٣) (لا يرعوي إلى شيء منه): أي لا ينكف ولا ينزجر. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢٣٦/٢).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه) (١ / ٦١٢) برقم: (٣١٠٦)، وفي إسناده أبو الخطاب المصري، قال عنه الحافظ: «مجهول»، انظر: «السلسلة الصحيحة»، برقم(٣٣٧٣).

(٥) هو أبو حماد، ويقال: أبو سعاد، ويقال: أبو عامر، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو عبس، ويقال: أبو أسد، ويقال: أبو الأسود عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة، المصري، صحابي مشهور، وكان عالماً، فقيهاً، شاعراً، توفي سنة ٥٨هـ تقريباً. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤٦٧/٢)، و«الإصابة» (٤٢٩/٤).

فقلت: بخ بخ[1] ما أجود هذه، فقال رجل بين يدي التي قبلها: يا عقبة أجود منها. فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب، قلت: ما هي يا أبا حفص؟ قال: إنه قال آنفا قبل أن تجيء: ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يقول حين يفرغ من وضوئه: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء) [2].

٤/ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه[3] قال: إن رسول الله ﷺ خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا، فقال: (إذا صليتم فأقيموا صفوفكم، ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبر فكبروا، وإذ قال: ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقولوا: آمين، يجبكم الله. فإذا كبر وركع فكبروا واركعوا؛ فإن الإمام يركع قبلكم ويرفع قبلكم. فقال رسول الله **صلى الله عليه** وسلم: فتلك بتلك. وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، يسمع الله لكم فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال على لسان نبيه ﷺ: سمع الله لمن حمده. وإذا كبر وسجد فكبروا واسجدوا فإن الإمام يسجد قبلكم ويرفع قبلكم. فقال رسول الله **صلى الله عليه** وسلم: فتلك بتلك. وإذا كان عند القعدة فليكن من أول قول أحدكم: التحيات الطيبات الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله) [4].

ووجه الشاهد من الأحاديث السابقة كالآتي:

---

(١) (بخ بخ): هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء، وتكرر للمبالغة. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١٠١/١).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء) (١ / ١٤٤) برقم: (٢٣٤)، وأبو داود في "سننه" (١ / ٦٥) برقم: (١٦٩) (كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا توضأ)، واللفظ له.

(٣) هو عبد الله بن قيس بن سُلَيم، صاحب رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري التميميّ، الفقيه المقرئ، توفي سنة ٤٤هـ. انظر: «الاستيعاب» (١٧٦٢/٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٣٨١/٢).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة) (٢ / ١٤) برقم: (٤٠٤).

الحديث الأول في قوله ﷺ (في سبيل الله) أي الجهاد، وقوله ﷺ (محتسباً).

وفي الحديث الثاني: في قوله ﷺ (في سبيل الله) أيضاً، ووجه الدلالة على الإخلاص ظاهر، ففي قوله: (في سبيل الله)، أي ليس رياءً، ولا سمعة، بل مخلصاً النية لله في جهادي، وكذلك قوله: (محتسباً)، تأكيدٌ لهذا المعنى؛ «لأن الاحتساب، طلب الأجر»[١]، أي طالباً للأجر والمثوبة لا للرياء والسمعة. [٢]

قال النووي رحمه الله معلقاً على الحديث الأول: « وفيه أن الأعمال لا تنفع إلا بالنية والإخلاص لله تعالى....... والمحتسب هو المخلص لله تعالى، فإن قاتل لعصبية أو لغنيمة أو لصيت أو نحو ذلك فليس له هذا الثواب ولا غيره»[٣]

وقال ابن عبدالبر رحمه الله: «في هذا الحديث أن الخطايا تكفر بالأعمال الصالحة مع الاحتساب والنية في العمل»[٤].

والشاهد من الحديث الثالث، قوله ﷺ (يقبل عليهما بقلبه ووجهه)، وقوله: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، ووجه الدلالة فيه على الإخلاص ظاهر؛ إذ إن هذه الشهادة هي شهادة الإخلاص، فبعدما أرشده إلى طهارة الظاهر، أرشده إلى طهارة الباطن بشهادة التوحيد[٥].

والشاهد من الحديث الرابع، قوله ﷺ: (ربنا لك الحمد)، وقوله: (التحيات الطيبات الصلوات لله)، وقوله: (أشهد أن لا إله إلا الله)، ووجه الدلالة في ذلك، أن هذه الأمور المذكورة، مصروفة لله جل جلاله، لا إلى غيره، فالحمد له جل جلاله؛ إذ هو المستحق

---

(١) انظر: «لسان العرب»، لابن منظور(١/٣١٤).

(٢) انظر: «تحفة الأحوذي»، للمباركفوري (٥/٣٠٢).

(٣) ©شرح النووي على صحيح مسلم» (١٣/٢٩).

(٤) «التمهيد»(٢٣/٢٣٢).

(٥) انظر: «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام»، لابن عثيمين(١/٢١٨).

للحمد والثناء، وحتى وإن كان هناك قدراً مشتركاً بين الخالق والمخلوق، في نسبة الحمد، إلا إن هناك نوعاً من الحمد لا ينبغي أن يصرف لغير الله ﷻ، وهو حمده على تفرده بالملك، والخلق، والتدبير، وهذا الحمد عند التحقيق، هو الإخلاص، وإفراد الله بالعبادة، وكذلك قوله: (التحيات الطيبات الصلوات لله)، أي ينبغي صرف هذا الأعمال، وغيرها لله وحده.

قال القرطبي: «وقوله: (لله) في هذا الموضع تنبيه على الإخلاص في العبادات؛ أي: ذلك كله من الصلوات والأعمال لا تفعل إلا لله تعالى»[(١)]

وقال النووي: « ومعنى الحديث أن التحيات وما بعدها مستحقة لله تعالى ولا تصلح حقيقتها لغيره»[(٢)]

وقال ابن رجب: «قال ابن قتيبة[(٣)]: إنما قيل " التحيات " بالجمع؛ لأنه كان لكل واحد من ملوكهم تحية يحيا بها، فقيل لهم: " قولوا: التحيات لله " أي: إن ذلك يستحقه الله وحده وقوله: " والصلوات " فسرت بالعبادات جميعها، وقد روي عن طائفة من المتقدمين: أن جميع الطاعات صلاة، وفسرت الصلوات هاهنا بالدعاء، وفسرت بالرحمة، وفسرت بالصلوات الشرعية، فيكون ختام الصلاة بهذه الكلمة كاستفتاحها بقول: ﴿ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

وقوله: " والطيبات "، فسرت بالكلمات الطيبات، كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ فالمعنى: إن ما كان من الكلام فإنه لله، يثنى به عليه ويمجد به.

---

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»(١٢٠/٤).

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١١٦/٤).

(٣) هو أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم ابن قُتيبة الدينوري النَّحوي اللّغوي الكاتب، من مؤلفاته: غريب الحديث، وغريب القرآن، وأدب الكاتب، توفي سنة ٢٧٦هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٩٦/١٣)، و«طبقات النحاة واللغويين»، للزبيدي (ص١٨٣).

وفسرت " الطيبات " بالأعمال الصالحة كلها؛ فإنها توصف بالطيب، فتكون كلها لله بمعنى: أنه يعبد بها ويتقرب بها إليه »(١).

والمقصود من هذا المبحث، هو بيان تجلية النبي ﷺ لمعنى الإخلاص في خطبه، والحث عليه، والترغيب فيه، بذكر الأجور المترتبة عليه، وكذلك الترهيب من ضده، وذلك بمفهوم المخالفة من الأحاديث، وأن قبول العمل، أحد ركنيه هو الإخلاص ﷻ، فينبغي للخطيب، ولغيره ممن تصدر لدعوة الناس وإرشادهم، أن يعلم الناس بأسلوب يفهمونه، أهمية هذا الأمر، وخطورة إرادة الإنسان بعمله غير الله، من رياء، وسمعة، وغيرها من نواقض الإخلاص، وذلك بذكر الآيات، والأحاديث الدالة على المقصود، وبيان معانيها.

(١) «فتح الباري»، لابن رجب (٣٢٧/٧).

المبحث الثامن: ما جاء في الحلف بالله.

إن من صور تعظيم الله ﷻ في القلوب- الحلف به، وبأسمائه وصفاته، عند وجود مقتضي الحلف، والحلف بغيره -سبحانه- منافٍ لهذا التعظيم أشدَّ المنافاة وأعظمها؛ ولهذا جاءت الشريعة بمنعه، والترهيب من فعله، كما جاء في الحديث: « من حلف بغير الله، فقد أشرك» [(١)]، قال الحافظ رحمه الله: «السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده»[(٢)].

والحلف بغير الله، دائرٌ حكمه بين الشرك الأكبر والأصغر؛ تبعاً لهذا التعظيم، فالأصل فيه أنه شرك أصغر، من جنس شرك الألفاظ، فإن اعتقد قائله تعظيم المحلوف به فوق تعظيم الله، فهذا الذي قد خرَّ من السماء فتخطفته طير الشرك، وهوت به ريح ذنبه في مكان سحيق.

والحلف في لغة العرب: هو القَسَم[(٣)]، والقسم عند الناس -في الغالب- يكون بشيء معظم عندهم، بل لا يجرؤون على الحلف بهذا المعظم، إلا عند الضرورة، فلا يجعلونه عرضة لأيمانهم، وقد لمست هذا بنفسي عند أغلب النصارى الذين رأيتهم، أنهم يحلفون في لغو أيمانهم بالأمانة، فإذا أراد أحدهم توكيد الحلف على أمر عظيم، قال: والمسيح، أو: والعذراء-مريم-.

وقل مثل هذا في عبَّاد القبور، الذين انسلخ تعظيم الله ﷻ من قلوبهم، وحلَّ محله تعظيم مشايخهم، وأربابهم، «فإذا طلبت من أحدهم اليمين بالله، أعطاك ما شئت من الأيمان صادقاً أو كاذبا، وإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته، ونحو ذلك،

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الأيمان والنذور.، باب كراهية الحلف بالآباء) (٣ / ٢١٧) برقم: (٣٢٥١)، والترمذي في "جامعه" (أبواب النذور والأيمان عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء أن من حلف بغير الله فقد أشرك) (٣ / ١٩٤) برقم: (١٥٣٥)، وإسناده صحيح، صححه الألباني، انظر: «إرواء الغليل»(١٨٩/٨)، برقم(٢٥٦١).

(٢) «فتح الباري»(٥٣١/١١).

(٣) انظر: «لسان العرب»، لابن منظور(٥٣/٩).

لم يقدم على اليمين به إن كان كاذباً. فهذا شرك أكبر بلا ريب، لأن المحلوف به عنده أخوف وأجل وأعظم من الله»(١).

وأما ما ورد عن النبي ﷺ من خطبه في أمر الحلف بالله، فهو كثير، وكله ثابت من حلفه ﷺ على المنبر؛ لأمور عظيمة تستحق الحلف، إذ لم يكن من هديه ﷺ كثرة الحلف، كيف لا، وهو أعرف الناس بقول الله ﷻ: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٨٩]

قال السعدي رحمه الله: «أي: عن الحلف بالله كاذبا، وعن كثرة الأيمان... »(٢).

وبيان هذه الخطب على النحو التالي:

١/ ما ثبت عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: (قدم النبي ﷺ صبح رابعة من ذي الحجة، مهلين بالحج لا يَخْلِطُهُمْ شيء، فلما قدمنا، أَمَرَنَا فجعلناها عمرة، وأن نَحِلَّ إلى نسائنا، ففشت في ذلك القالةُ... فقال جابر(٣): فيروح أحدنا إلى مِنى وذكره يقطر منياً، فقال جابر بكفه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام خطيباً، فقال: بلغني أن أقواما يقولون كذا وكذا، والله لأنا أبرُّ وأتقى لله منهم، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدي لأحللت، فقام سراقة بن مالك بن جعشم(٤)، فقال:

---

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ص٥١٤، بتصرف يسير.

(٢) «تفسير السعدي»، ص٢٤٢.

(٣) هو أبوعبد الله، وقيل أبوعبد الرحمن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي، الأنصاري، السلمي، المدني، صاحب رسول الله ﷺ كان مفتي المدينة في زمانه، وكان من أهل بيعة الرضوان، توفي سنة٧٨هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٨٩/٣)، و«الإصابة» (٥٤٦/١).

(٤) هو أبو سفيان سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن مالك بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكنانى ثم المدلجى، صاحب النبي ﷺ، توفي سنة٢٤هـ. انظر: «الاستيعاب» (٥٨٢/٢)، و«التاريخ الكبير»، للبخاري (٢٠٨/٤).

يا رسول الله، هي لنا أو للأبد؟ فقال: لا، بل للأبد، قال: وجاء علي بن أبي طالب، فقال أحدهما: يقول لبيك بما أهلَّ به رسول الله ﷺ، وقال: وقال الآخر: لبيك بحجة رسول الله ﷺ، فأمر النبي ﷺ أن يقيم على إحرامه، وأشركه في الهدي) (١).

٢/ وكذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمَّهم شأنُ المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبُّ رسول الله ﷺ، فأتي بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد(٢)، فتلوَّن وجهُ رسول الله ﷺ فقال: (أتشفع في حد من حدود الله! فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت مُحَمَّد سرقت لقطعت يدها. ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها) (٣).

٣/ وأيضاً ما ثبت عن عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما -أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر: (إن تطعنوا في إمارته - يريد أسامة بن زيد - فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وَايمُ الله إن كان لخليقاً لها، وايم الله إن كان لَأَحبَّ الناسِ إليَّ، وايم الله إن هذا لها

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (أبواب تقصير الصلاة، باب كم أقام النبي ﷺ في حجته) (٢/ ٤٣) برقم: (١٠٨٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران) (٤ / ٣٥) برقم: (١٢١٣).

(٢) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي الأمير، أبو مُحَمَّد و يقال أبو زيد و يقال أبو يزيد و يقال أبو حارثة، المدني، صاحب النبي ﷺ، وحبه وابن حبه، ومولاه وابن مولاه، توفي سنة٥٤هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/٤٩٦)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (١/٢٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف والسارق والزاني) (٣ / ١٧٠) برقم: (٢٦٤٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عَنْ الشفاعة فِي الحدود) (٥ / ١١٤) برقم: (١٦٨٨)، واللفظ له، وفي بعض ألفاظه عند البخاري أن القسم كان ب (وايم الله).

لخليق – يريد أسامة بن زيد – وايم الله إن كان لأحبهم إلي من بعده، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم) (١).

٤/ عن عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها (٢).

٥/ عن أبي هريرة قال: أهدى رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ ناقة من إبله التي كانوا أصابوا بالغابة، فعوضه منها بعض العوض فتسخط، فسمعت رسول الله **صلى الله عليه** وسلم على هذا المنبر يقول: (إن رجالا من العرب يهدي أحدهم الهدية، فأعوضه منها بقدر ما عندي ثم يتسخطه، فيظل يتسخط فيه علي، وايم الله لا أقبل بعد مقامي هذا من رجل من العرب هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي) (٣).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الأيمان والنذور، باب قول النبي وايم الله) (٨ / ١٢٨) برقم: (٦٦٢٧)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد ؓ) (٧ / ١٣١) برقم: (٢٤٢٦)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها) (٨ / ٩٠) برقم: (٦٤٢٦)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ ﷺ وصفاته) (٧ / ٦٧) برقم: (٢٢٩٦).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب العمرى، باب عطية المرأة بغير إذن زوجها) (١ / ٧٤٣) برقم: (٣٧٦٨ / ٤)، وأبو داود في "سننه" (كتاب الإجارة، باب في قبول الهدايا) (٣ / ٣١٤) برقم: (٣٥٣٧)، والترمذي في "جامعه" (٦ / ٢١٩) برقم: (٣٩٤٦) (أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب في ثقيف وبني حنيفة)، واللفظ له، والحديث صحيح، انظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٥٣/٤)، برقم(١٦٨٤).

٦/ عن فاطمة بنت قيس[١] في حديث الدجال الطويل وفيه: (... هذه طيبة، والذي نفسي بيده، ما فيها طريق ضيق ولا واسع، ولا سهل ولا جبل، إلا وعليه ملك شاهر سيفه إلى يوم القيامة) [٢].

٧/ وعن المسور بن مخرمة ﷺ قال: (إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم، فقال: إن فاطمة مني، وإني أتخوف أن تفتن في دينها. قال: ثم ذكر صهرا له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن، قال: حدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي، وإني لست أحرم حلالا ولا أحل حراما، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكانا واحدا أبدا)[٣].

٨/ وعن عائشة ﷺ قالت: صنع النبي ﷺ شيئا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله، ثم قال: (ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية) [٤].

---

(١) هي فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية، أخت الضحاك بن قيس، صحابية جليلة من المهاجرات الأول، توفيت سنة ٥٠هـ تقريباً. انظر: «الإصابة» (٢٧٦/٨)، و «سير أعلام النبلاء» (٣١٩/٢).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فِي خروج الدجال ومكثه فِي الْأرض ونزول عيسى وقتله إياه) (٨ / ٢٠٣) برقم: (٢٩٤٢)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج وماجوج) (٥ / ١٩٠) برقم: (٤٠٧٤)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر أصهار النبي ﷺ) (٥ / ٢٢) برقم: (٣٧٢٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام) (٧ / ١٤١)، واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم)

(٩ / ٩٧) برقم: (٧٣٠١)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب علمه صَلَّى اللهُ ﷺ بالله تَعَالَى وشدة خشيته) (٧ / ٩٠) برقم: (٢٣٥٦).

٩/ عن أبي حميد الساعدي ﷺ أن النبي ﷺ قال(... والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة... الحديث)(١).

١٠/ وعن عائشة ﷺ أنها قالت: (خسفت الشمس في عهد رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فقام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى، ثم انصرف، وقد انجلت الشمس، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا، وصلوا وتصدقوا". ثم قال: يا أمة مُحَّد، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته، يا أمة مُحَّد، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) (٢).

١١/ عن أنس بن مالك(٣) ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: (أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف، فإني أراكم أمامي ومن خلفي. ثم قال: والذي

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحيل، باب احتيال العامل ليهدى له) (٩ / ٢٨) برقم: (٦٩٧٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال) (٦ / ١١) برقم: (١٨٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الكسوف، باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته) (٢ / ٣٨) برقم: (١٠٥٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب صلاة الاستسقاء، باب صلاة الكسوف) (٣ / ٢٧) برقم: (٩٠١).

(٣) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، خادم رسول الله –ﷺ – وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتا، توفي سنة ٩٢هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣٩٥/٣).

نفس مُحَّد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا!! قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار)[١].

١٢/ عن أبي هريرة وأبي سعيد- رضي الله عنهما- قالا: خطبنا رسول الله ﷺ يوما فقال: (والذي نفسي بيده، ثلاث مرات، ثم أكب، فأكب كل رجل منا يبكي لا ندري على ماذا حلف، ثم رفع رأسه في وجهه البشرى، فكانت أحب إلينا من حمر النعم،

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ٢٨) برقم: (٤٢٦) (كتاب الصلاة، باب النهي عَنْ سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما).

ثم قال: ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة فقيل له: ادخل بسلام)(١).

١٣/ عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه(٢): أن رسول الله ﷺ أتي بمال أو سبي فقسمه، فأعطى رجالا وترك رجالا، فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله ثم أثنى عليه، ثم قال: أما بعد، (فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي، ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، فيهم عمرو بن تغلب). فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم (٣).

والشواهد من الأحاديث على مقصود المبحث ظاهرة بينة، وأوجه الدلالة فيها أظهر وأبين، ففيها حلف النبي ﷺ بالله، بصيغ متنوعة، وهي: (والله- وايم الله- والذي نفسي بيده – والذي نفس مُحَمَّد بيده)، وحلف النبي ﷺ في هذه المواطن؛ لأهمية المحلوف عليه، وشدة الحاجة إلى بيانه.

---

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة) (١ / ٤٨٧) برقم: (٢٤٣٧)، بسند ضعيف، وله شواهد من حديث معاذ بن جبل، وحديث أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنهما-، فأما حديث معاذ بن جبل، فأخرجه أحمد في "مسنده" (١٠ / ٥١٦٨) برقم: (٢٢٤٥٢)، بلفظ: «من لقي الله لا يشرك به شيئا، يصلي الخمس، ويصوم رمضان، غفر له قلت: أفلا أبشرهم يا رسول الله؟ قال: دعهم يعملوا »، وإسناده صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»، برقم(١٣١٥)، وأما حديث أبي أيوب الأنصاري، فقد أخرجه غير واحد من الأئمة، منهم: أحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٥٩٢) برقم: (٢٣٩٨٥)، وابن حبان في "صحيحه" (٨ / ٣٩) برقم: (٣٢٤٧)، والنسائي في "الكبرى" (٨ / ٤٢) برقم: (٨٦٠١) ولفظه: «ما من عبد يعبد الله لا يشرك به شيئا، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويجتنب الكبائر إلا دخل الجنة» صححه الألباني، في «إرواء الغليل» (٥/٢٥).

(٢) هو عمرو بن تغلب، النمرى و يقال العبدى صحابيٌ جليل، وكان ممن هاجر إلى النبي ﷺ، توفي بعد ٤٠هـ. انظر: «الإصابة» (٤/٥٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم) (٤ / ٩٣) برقم: (٣١٤٥).

والمقصود من هذا المبحث هو بيان مشروعية الحلف بالله، وتحريم الحلف بغيره؛ لأنه شرك أصغر، أو أكبر على ما سبق بيانه.

وينبغي للخطيب، والداعية تجلية أمر الحلف للناس؛ حتى يعرفوا صوابه من خطأه،

لا سيما مع انتشار الحلف بغير الله بكثرة في أوساط المسلمين، كالحلف بالنبي ﷺ، أو الحلف بالولي الفلاني، أو الحلف بالآب اء والأجداد، وغيرها. (١)

(١) للاستزادة في هذا الباب، انظر: «جواب في الحلف بغير الله والصلاة إلى القبور، ويليه: فصل في الاستغاثة»، لابن تيمية، و «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي، في معرض حديثه عن الشفاعة، و «شروح كتاب التوحيد، للشيخ مُحَمَّد بن سليمان التميمي» باب: (قول الله: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾)، وباب: (ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله)، وباب: (ما جاء في كثرة الحلف)، و «معارج القبول»، لحافظ حكمي، عند قوله: ومنه إقسام بغير الباري... كما أتى في محكم الأخبار، و «معجم المناهي اللفظية»، للشيخ /بكر أبو زيد.

المبحث التاسع: ما جاء في الدعاء.

من أنواع العبادة التي أمر الله بها عباده المؤمنين، ورغبهم فيها، ورهبهم من تركها- عبادة الدعاء، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦]، وبين النبي ﷺ أهمية الدعاء فقال: «الدعاء هو العبادة، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾»(١).

وهذا من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، والذي هو الاشتغال بطاعة الله وذكره وما يجب من عبده أن يفعله وهذا ودعاء المسألة، وهو الدعاء بالسؤال من الله ﷻ والابتهال إليه كقول الداعي: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني ووعدهم أن يستجيب لهم (٢).

والدعاء من أعظم العبادات التي يتجلى فيها الذل والانكسار للعزيز الغفار؛ لذلك يحب الله ﷻ من عباده أن يسألوه حوائجهم كلها، كبيرها وصغيرها، ويلحوا عليه فيها، ويغضب على من لم يسأله؛ لأن في ذلك الاعتراف بقدرته ﷻ على جلب المنافع، ودفع المضار، والمخلوق بعكس ذلك، يكره أن يسأل، ويحب أن لا يسأل، لعجزه وفقره وحاجته، ولهذا قال طاووس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ويجعل دونها حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تسأله، ووعدك أن يجيبك(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، باب الدعاء) (١ / ٥٥١) برقم: (١٤٧٩)، والترمذي في "جامعه" (أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ.، باب منه) (٥ / ٣٨٦) برقم: (٣٣٧٢)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الدعاء، باب فضل الدعاء) (٥ / ٥) برقم: (٣٨٢٨)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي وغيرهم، انظر: «أحكام الجنائز»، للألباني، ص١٩٤.

(٢) انظر: «فتح الباري»، لابن رجب (٢٠/١)، و«تفسير السعدي»، (ص٧٤٠).

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» (٤٨١/١).

ولما كان دعاء الله ﷻ بهذه المكانة العالية من الشريعة، كان سؤال غيره من أقبح الشرك، وأشنعه؛ إذ هو مستلزمٌ للخضوع والذل والانكسار لمن يدعوه، ومستلزمٌ لرجائه وخوفه (١).

ومبحث الدعاء وثيق الصلة بمبحث الاستغاثة؛ إذ الاستغاثة نوع من أنواع الدعاء، ولتمام الفائدة يراجع ما ورد هناك(٢).

ولقد تجلت أهمية الدعاء في خطب النبي ﷺ، فكان يكثر من الدعاء، والابتهال، ويحث الناس عليه؛ لما فيه من تعليق القلوب بالله ﷻ، وجاء ذلك بأساليب متنوعة بليغة.

فتارة يدعو النبي ﷺ على المنبر والصحابة يشاهدون، وقد ورد ذلك في خطب الاستسقاء، والكسوف، والخطب التي دعا فيها لأعيان من الصحابة، وتارة يحث أصحابه على الدعاء.

فمن خطب الاستسقاء:

١/ ما ثبت عن أبي هريرة ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺيوما يستسقي، فصلى بنا ركعتين بلا أذان ولا إقامة، ثم خطبنا **ودعا الله** وحول وجهه نحو القبلة **رافعاً يديه،** ثم قلب رداءه، فجعل الأيمن على الأيسر والأيسر على الأيمن (٣).

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب (٤٨١/١).، و «مجموع رسائل ابن رجب» (٣٠٦/١) و (١٢٣/٣)، و «تيسير العزيز الحميد»، (ص١٧٩).

(٢) وللاستزادة في هذا المبحث الجليل، ينظر كتاب «تصحيح الدعاء»، للشيخ/بكر أبو زيدرحمه الله، فإنه كتاب نفيس في بابه، حيث تكلم في الفصل الأول عن حقيقة الدعاء ومنزلته وآدابه وإجابته، ثم تكلم عن قواعد في باب الذكر والدعاء، وكذلك في باب التصحيح لما ورد من بدع في شأن الدعاء، و«الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية»، لجيلان بن خضر العروسي، وهي رسالة نال بها الباحث درجة الماًجستير من الجامعة الإسلامية.

(٣) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الاستسقاء) (٢ / ٣١٩) برقم: (١٢٦٨)، وهو بهذا الإسناد ضعيف؛ لأن في سنده النعمان بن راشد الجزري، ضعفه غير

٢/ وكذلك ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (خرج رسول الله **صلى الله عليه** وسلم-في الاستسقاء- متبذلاً متواضعاً متضرعاً حتى أتى المصلى، فرقى على المنبر، فلم يخطب خطبكم هذه، ولكن **لم يزل في الدعاء والتضرع** والتكبير، ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد)(١).

٣/ عن عائشة قالت: شكا الناس إلى رسول الله ﷺقحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوما يخرجون فيه، قالت عائشة: فخرج رسول الله ﷺحين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر، وحمد الله ﷻ، ثم قال: (إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله ﷻ أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال: **الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني، ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة، وبلاغا إلى حين، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه،** ثم حول إلى الناس ظهره، وقلب أو حول رداءه، وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس، ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت، وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك ﷺحتى بدت نواجذه، فقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله) (٢).

واحد من أهل العلم، منهم أحمد والبخاري. انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (٥٦٣٠)، ولكن للأحاديث شواهد أخري تقويه، منها: حديث عائشة ررَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المتقدم.

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الاستسقاء، باب الحال التي يستحب للإمام أن يكون عليها إذا خرج) (١ / ٣٢٢) برقم: (١٥٠٥)، وأبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها)، والسياق له (١ / ٤٥٣) برقم: (١١٦٥)، والترمذي في "جامعه" (أبواب السفر، باب ما جاء في صلاة الاستسقاء)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، (١/ ٥٥٩) برقم: (٥٥٨)، انظر: «إرواء الغليل» (١٣٣/٣) برقم(٦٦٤).

(٢) سبق تخريجه.

٤/ عن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ؛ فقال: يا رسول الله، لقد جئتك من عند قوم ما يتزود لهم راع ولا يَخطِرُ لهم فحل. فصعد المنبر فحمد الله ثم قال: (**اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا طبقا مريعاً غدقاً عاجلاً غير رائث**، ثم نزل فما يأتيه أحد من وجه من الوجوه إلا قالوا: قد أحيينا)(١).

فكل هذه الأحاديث في الاستسقاء فيها دلالةٌ واضحة على عناية النبي ﷺ بهذه العبادة العظيمة في كل أحيانه، وفي ذلك من الدروس العظيمة لنا ما لا يخفى، بحيث يكون الواحد منا دائم الصلة بربه وخالقه ومدبر أموره، لا يستنكف أن يسأله حاجة، وإن دقت، وأنه ينبغي على العبد أن يكون وجلاً من ربه مكثراً من أنواع العبادات، والتي من أعظمها الدعاء بتفريج الكربات، وإقالة العثرات، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ، وجد هذا الأمر فيها واضحاً جلياً، فصلوات الله وسلامه وبركاته عليه، ما أنصحه لأمته.

ومن خطب الكسوف:

٥/ ما صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ، فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فقام فأطال القيام، **ثم ركع فأطال الركوع**، ثم قام فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، **ثم ركع فأطال الركوع**، وهو دون الركوع الأول، **ثم سجد فأطال السجود**، ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى، ثم انصرف، وقد انجلت الشمس، فخطب الناس، **فحمد الله وأثنى عليه**، ثم قال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك **فادعوا الله** وكبروا، وصلوا وتصدقوا)(٢).

ووجه الدلالة في ذلك أن إطالته ﷺ للركوع والسجود كان يطيل فيهما الدعاء، وكذلك حمه لله جل جلاله، وثنائه عليه هو من دعاء العبادة، وأيضاً حثه على الدعاء عند رؤية

---

(١) سبق تخريجه.

(٢)أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الكسوف، باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته) (٢ / ٣٨) برقم: (١٠٥٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب صلاة الاستسقاء، باب صلاة الكسوف) (٣ / ٢٧) برقم: (٩٠١).

الكسوف بقوله: (فادعوا الله)، وكذلك ربط الدعاء بالصلاة والصدقة، حريٌ بأن يُستجاب.

ومن خطبه ﷺ في الدعاء لقوم والدعاء على آخرين:

٦/ ما ثبت عن جابر قال: خطبنا رسول الله ﷺفقال: (مهل أهل المدينة من ذي الحليفة، ومهل أهل الشام من الجحفة، ومهل أهل اليمن من يلملم، ومهل أهل نجد من قرن، ومهل أهل المشرق من ذات عرق، ثم أقبل بوجهه الأفق، ثم قال: **اللهم أقبل بقلوبهم**)[(١)].

ففي قوله ﷺ: (اللهم أقبل بقلوبهم) بيان لافتقار النبي ﷺ لله ﷻ الذي بيده الهداية والإضلال، فهو يسأله أن يقبل بقلوب أهل المشرق؛ لأن الفتن تخرج من قبلهم[(٢)]، وفيه أيضاً كمال شفقته ﷺ.

٧/ عن عبدالله بن عمر - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا-: أن رسول الله ﷺقال على المنبر: «**غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله**، وعصية عصت الله ورسوله»[(٣)].

وفي الحديث الدعاء للمؤمنين بالمغفرة وإنما اختصت القبيلتان بهذا الدعاء؛ لأن غفاراً أسلموا قديماً، وأسلم سالموا النبي ﷺ[(٤)].

ومن الخطب التي فيها حثه ﷺ الصحابة على الدعاء:

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب مواقيت الحج والعمرة) (٤ / ٧) برقم: (١١٨٣) دون قوله: ومهل أهل المشرق إلى آخره، وابن ماجه في "سننه" (أبواب المناسك، باب مواقيت أهل الآفاق) (٤ / ١٥٥) برقم: (٢٩١٥)، والسياق له، وصححه الألباني في «إرواء الغليل»(٤/١٧٥-١٧٦).

(٢) انظر: «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (٢/٢١٥).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع) (٤ / ١٨١) برقم: (٣٥١٣)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب دعاء النبي صَلَّى اللهُ ﷺ لغفار وأسلم) (٧ / ١٧٨) برقم: (٢٥١٨).

(٤) انظر: «شرح البخاري»، لابن بطال (٧/٣)، و«فتح الباري»، لابن حجر(٢/٤٩٣).

٨/ عن أبي بكر ﵁ قال: قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر، ثم بكى، فقال: **اسألوا الله العفو والعافية**، فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية (١).

٩/ عن عبد الله بن أبي أوفي رضى الله تعالى عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيباً قال: (أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو **وسلوا الله العافية** فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال **اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم)** (٢).

ووجه الدلالة من الحديثين السابقين هو حثه ﷺ الصحابة على سؤال الله العافية، وفي قوله ﷺ: (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم) فيه الجمع بين نوعي الدعاء دعاء العبادة والمسألة، وفيه استحباب الدعاء عند لقاء الأعداء(٣).

فتبين مما سبق عناية النبي ﷺ في خطبه بهذا الباب العظيم، باب الدعاء، في نفسه، وحث الصحابة عليه، على أوجه متنوعة، في مناسبات مختلفة، فينبغي للخطباء والدعاة إلى الله بيان أمر الدعاء للناس، وتعليق قلوبهم بخالقهم ﷻ، وذلك بسؤاله في كل كبيرة وصغيرة، دقيقة وجليلة، كما قالت عائشة﵂: «سلوا الله كل شيء حتى

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ.، باب) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه عن أبي بكر، (٥ / ٥٢٢) برقم: (٣٥٥٨)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية) (١٩/٥) برقم: (٣٨٤٩)، وصححه الحاكم، والألباني، انظر: «صحيح الترغيب والترهيب»(٣٢٤/٣) برقم(٣٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو) (٤ / ٦٣) برقم: (٣٠٢٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) (٥ / ١٤٣) برقم: (١٧٤٢)

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٤٧/١٢)،

الشسع، فإن الله إن لم ييسره لم يتيسر»(١)، وكما قال أنس ﷺ: « ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح، وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع»(٢).

(١) أخرجه أبو يعلى في "مسنده" (٨ / ٤٤) برقم: (٤٥٦٠) (مسند عائشة أم المؤمنين ررَضِيَٱللَّهُعَنْهَا،)، وأورده ابن حجر في "المطالب العالية" (١٣ / ٨٦٩) برقم: (٣٣٥٨) (كتاب الأذكار والدعوات، باب الأمر بالاسترجاع في كل شيء وسؤال الله ? كل شيء)، وهو موقوف على عائشة ﷺ انظر: «السلسة الضعيفة»(٥٤٠/٣) برقم (١٣٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٥ / ٥٦٠) برقم: (٣٦٠٤) (أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ.، باب)، وابن حبان في "صحيحه" (كتاب الرقائق، ذكر استحباب تفويض المرء للأمور كلها إلى بارئه مع سؤاله إياه الدق والجل من أسبابه) (١٤٨/٣) برقم: (٨٦٦).

المبحث العاشر: ما جاء في تعظيم شعائر الله.

وتحته تمهيد: ومطلبان:

المطلب الأول: ما جاء في تعظيم البيت الحرام.

المطلب الثاني: ما جاء في تعظيم يوم الجمعة.

تمهيد.

جاءت الشريعة وحثَّت على تعظيم الله ﷻ في قلوب عباده، ومن تعظيمه تعظيم شعائره وحرماته، وهي كل ما له حرمة، وأشعر الله بالوحي أنه معظَّم محترم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [سورة الحج: ٣٠]، وقال جل شأنه ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [سورة الحج: ٣٢]

وقد كان النبي ﷺ يعتني بهذا الباب عناية بالغة في خطبه وفي غيرها، فكان ﷺ أفضل من عظم ربه، وعظم شعائره وحرماته، وكان يحث الناس على ذلك في المناسبات المختلفة، والتي منها الخطب.

المطلب الأول: ما جاء في تعظيم البيت الحرام.

«الكعبة بيت بناه إبراهيم عليه السلام لعبادة الله وحده دون شريك فيأوي إليه من يدين بالتوحيد **ويطوف به من يقصد تعظيم الله تعالى**»(١).

وفضائل البيت الحرام وتعظيمه في القلوب، أشهر من أن يستدل عليها، والناس قاطبة يعظمون هذا البيت، حتى إن الرجل كان في الجاهلية يرى قاتل أبيه، أو ابنه عند الكعبة فما يتعرض له بشيء، وذلك كله؛ لأنهم كانوا يعظمونه جداً، وهذا التعظيم الذي جعله الله في قلوبهم لهذا البيت، هو من رحمة الله بهم؛ إذ لولا ذلك لما استقامت أمورهم الدينية ولا الدنيوية(٢).

وقد ورد في النصوص الشرعية ما يدل على هذا المعنى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٩٧].

ومن تعظيم هذا البيت الحرام أيضاً أنه ثبت النهي عن استقباله، أو استدباره ببول، أو غائط؛ كل ذلك من أجل تعظيمه(٣)، وكان النبي ﷺ في خطبه يبرز تعظيم هذا البيت الحرام للناس، ولذي بتعظيمه يعظم الله جل جلاله، فمن ذلك ما ثبت عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، عن النبي ﷺ قال: (حرم الله مكة، فلم تحل لأحدٍ قبلي ولا لأحد بعدي، أحلت لي ساعة من نهار، لا يختلى خلاها(٤)،

---

(١) «التحرير والتنوير»، للطاهر بن عاشور (٧٠٨/١).

(٢) انظر: «مفاتيح الغيب»(٤٣٩/١٢-٤٤١).

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، لعلي الملا قاري(٣٩٢/١)، و «تيسير العلام شرح عمدة الأحكام»، للبسام، ص٣٨.

(٤) لا يختلى خلاها، الخلا مقصور: النبات الرطب الرقيق ما دام رطبا، واختلاؤه: قطعه. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٧٤/٢).

ولا يعضد شجرها[١]، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف". فقال العباس[٢] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إلا الإذخر[٣] لصاغتنا وقبورنا؟ فقال: إلا الإذخر)[٤].

ففي قوله ﷺ: (حرم الله مكة....) أن مكة حُرمت من أجل الكعبة، والتي بزوال تعظيمها تزول الدنيا بأسرها، وتقوم الساعة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت)، أخرجه البخاري في «صحيحه»[٥]، وترجم له بقوله: (كتاب الحج، باب قول الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس)، وهو كما سبق بيانه، أي سبب لقيام مصالحهم الدينية والدنيوية، فإن زال تعظيمها، وهدمت، لم تكن قياماً للناس.

---

(١) يعضد شجرها أي: يقطع. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/٢٥١).

(٢) هو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عم النبي ﷺ، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، توفي سنة ٣٢هـ. انظر: «الاستيعاب» (٢/٨١٠)، و «تاريخ الإسلام»، للذهبي (٢/٢٠٢).

(٣) الإذخر بكسر الهمزة: حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحج، باب فضل الحرم) (٢ / ١٤٧) برقم: (١٥٨٧)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها) (٤ / ١٠٩) برقم: (١٣٥٣)، وله شواهد، وقد رواه غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم بلفظ الخطبة، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: (لما فتح الله عز وجل على رسول الله ﷺ مكة قام في الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي، وإنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد بعدي فلا ينفر صيدها، ولا يختلى شوكها، ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يفدى، وإما أن يقتل، فقال العباس: إلا الإذخر يا رسول الله؛ فإنا نجعله في قبورنا وبيوتنا، فقال رسول الله ﷺ: إلا الإذخر، فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: اكتبوا لأبي شاه. قال الوليد: فقلت للأوزاعي: ما قوله: اكتبوا لي يا رسول الله؟ قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم)، أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب في اللقطة، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة) (٣ / ١٢٥) برقم: (٢٤٣٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها) (٤ / ١١٠) برقم: (١٣٥٥).

(٥) (٢ / ١٤٩) برقم: (١٥٩٣).

فأخبر النبي ﷺ في هذه الخطبة العظيمة أن مكة حرمٌ، من أجل تعظيمها وتعظيم البيت الذي كان سبباً في تعظيمها، وأكد ذلك بأنواع من المؤكدات، فمنها أن من كل من دخلها فإنه آمن، حتى إن الصحابة كانوا يعرفون هذا، فعن أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ: دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: (إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه)(١).

قال البسام ﷺ في معرض سرده لبعض فوائد الحديث: « ويؤخذ من الحديث... تعظيم البيت الحرام عند الله تعالى، وعند رسوله ﷺ، وفي صدور الناس، فالكافر تعلق بأستاره، والصحابة هابوا قتله في هذه الحال»(٢).

وامتد هذا الأمن ليشمل النبات في الأرض، فلا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، وامتد أيضاً إلى الطير في السماء، فلا ينفر، وإلى الصيد فلا يقتل، وإلى المال الضال فلا يلتقط إلا لمنشد، كل هذا تعظيماً لله ﷻ ولحرماته، ولشعائره، فصلوات الله وسلامه عليه ما أبلغ بيانه، ونصحه لأمته.

وما قرره النبي ﷺ في خطبه عن تعظيم البيت الحرام، جاء القرآن ببيانه في غير آية، فقال الله ﷻ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٩٧].

قال الرازي ﷺ في التعليق على هذه الآية مبيناً أوجه دلالتها على تعظيم هذا البيت الحرام–قال: « وقوله: (قياما للناس)... هو ما يستقيم به الأمر ويصلح، وكون الكعبة سببا لقوام مصالح الناس من أربعة أوجه:

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (باب جزاء الصيد ونحوه، باب دخول الحرم ومكة بغير إحرام) (٣ / ١٧) برقم: (١٨٤٦)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام) (٤ / ١١١) برقم: (١٣٥٧).

(٢) «توضيح الأحكام من بلوغ المرام» (٣٨٧/٦).

الأول: أن أهل مكة كانوا محتاجين إلى حضور أهل الآفاق عندهم ليشتروا منهم ما يحتاجون إليه طول السنة، فإن مكة بلدة ضيقة لا ضرع فيها ولا زرع، وقلما يوجد فيها ما يحتاجون إليه، **فالله تعالى جعل الكعبة معظمة في القلوب** حتى صار أهل الدنيا راغبين في زيارتها، فيسافرون إليها من كل فج عميق لأجل التجارة ويأتون بجميع المطالب والمشتهيات، فصار ذلك سببا لإسباغ النعم على أهل مكة.

الثاني: أن العرب كانوا يتقاتلون ويغيرون إلا في الحرم، فكان أهل الحرم آمنين على أنفسهم وعلى أموالهم حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو ابنه في الحرم لم يتعرض له، ولو جنى الرجل أعظم الجنايات ثم التجأ إلى الحرم لم يتعرض له ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾[سورة العنكبوت: ٦٧].

الثالث: أن أهل مكة صاروا بسبب الكعبة أهل الله وخاصته وسادة الخلق إلى يوم القيامة وكل أحد يتقرب إليهم ويعظمهم.

الرابع: أنه تعالى جعل الكعبة قواما للناس في دينهم بسبب ما جعل فيها من المناسك العظيمة والطاعات الشريفة، وجعل تلك المناسك سببا لحط الخطيئات، ورفع الدرجات وكثرة الكرامات.

ولا يبعد حمل الآية على جميع هذه الوجوه، وذلك؛ لأن قوام المعيشة إما بكثرة المنافع وهو الوجه الأول الذي ذكرناه، وإما بدفع المضار وهو الوجه الثاني، وإما بحصول الجاه والرياسة وهو الوجه الثالث، وإما بحصول الدين وهو الوجه الرابع، فلما كانت الكعبة سببا لحصول هذه الأقسام الأربعة، وثبت أن قوام المعيشة ليس إلا بهذه الأربعة ثبت أن الكعبة سبب لقوام الناس.

والآية دالة على أنه تعالى جعل أربعة أشياء سبباً لقيام الناس وقوامهم.

الأول: (الكعبة)، والثاني: فهو (الشهر الحرام)، -أي جنس الأشهر الحرم- ومعنى كونه سببا لقيام الناس، هو أن العرب كان يقتل بعضهم بعضا في سائر الأشهر، ويغير بعضهم على بعض، فإذا دخل الشهر الحرام، زال الخوف وقدروا على الأسفار

والتجارات، وصاروا آمنين على أنفسهم وأموالهم، وكانوا يحصلون في الشهر الحرام من الأقوات ما كان يكفيهم طول السنة، فلولا حرمة الشهر الحرام لهلكوا وتفانوا من الجوع والشدة فكان الشهر الحرام سببا لقوام معيشتهم في الدنيا أيضاً، فهو سبب لاكتساب الثواب العظيم بسبب إقامة مناسك الحج..... والثالث: فهو (الهدي) وهو إنما كان سببا لقيام الناس، لأن الهدي ما يهدى إلى البيت ويذبح هناك ويفرق لحمه على الفقراء فيكون ذلك نسكاً للمهدي وقواما لمعيشة الفقراء، وأما الرابع: فهو (القلائد)، والوجه في كونها قياما للناس أن من قصد البيت في الشهر الحرام لم يتعرض له أحد، ومن قصده من غير الشهر الحرام ومعه هدي، وقد قلده وقلد نفسه من لحاء شجرة الحرم لم يتعرض له أحد، حتى إن الواحد من العرب يلقى الهدي مقلدا، ويموت من الجوع فلا يتعرض له البتة، ولم يتعرض لها صاحبها أيضاً، **وكل ذلك إنما كان؛ لأن الله تعالى أوقع في قلوبهم تعظيم البيت الحرام**، فكل من قصده أو تقرب إليه صار آمنا من جميع الآفات والمخافات، فلما ذكر الله تعالى أنه جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس ذكر بعده هذه الثلاثة، وهي الشهر الحرام والهدي والقلائد، **لأن هذه الثلاثة إنما صارت سببا لقوام المعيشة؛ لانتسابها إلى البيت الحرام، فكان ذلك دليلاً على عظمة هذا البيت وغاية شرفه**»(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [سورة البقرة: ١٢٥].

«والمراد بالمثابة أنه يقصده الناس **بالتعظيم** ويلوذون به»(٢).

فتبين مما سبق دلالة الخطب على تعظيم الله ﷻ من خلال تعظيم بيته الحرام.

---

(١) «مفاتيح الغيب»(٤٣٩/١٢-٤٤١)، بتصرف واختصار يسيرين، وانظر: «تفسير السعدي» (ص٢٤٤).

(٢) «التحرير والتنوير»، للطاهر بن عاشور (٧٠٨/١).

المطلب الثاني: ما جاء في تعظيم يوم الجمعة.

يوم الجمعة، وهو يوم عظيمٌ يجتمع فيه المسلمون، فيتجدد إيمانهم، ويزداد تآلفهم، وتقوى آصرتهم، وهو من الشعائر العظيمة في دين الإسلام -والتي هي من خصائص هذه الأمة-، والتي جاء الشرع بالحثِّ على تعظيمها، في مواضع كثيرة-، ولما له من هذه المكانة العالية، والمنزلة السامية؛ رغَّب الشرع في تعظيم هذا اليوم بطرق متنوعة، فمن ذلك الحث على ترك البيع والشراء إذا نودي للصلاة لها، وجعل ذلك من علامات الإيمان، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الجمعة: ٩].

ومن ذلك الإخبار بأنه يوم تقوم فيه الساعة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عرضت علي الأيام فرأيت يوم الجمعة، فأعجبني بهاؤه ونوره، ورأيت فيه كهيئة نكتة سوداء، فقلت: ما هذه؟ فقيل: فيه تقوم الساعة)

وبوَّب عليه عبد الرزاق في «مصنفه»[1] بقوله: (باب عظم يوم الجمعة)، وجاء هذا التعظيم ليوم الجمعة واضحاً جلياً في خطب النبي ﷺ على أوجه بليغة متنوعة، فمن ذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمر، وأبي هريرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: على أعواد منبره «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات. أو ليختمن الله على قلوبهم. ثم ليكونن من الغافلين »[2].

ووجه الدلالة في الحديث على تعظيم يوم الجمعة، أن الترهيب والوعيد على ترك الجمعة بالختم على القلب، والمصير إلى الغفلة؛ مؤذن بنقصان تعظيم شعائر الله–ومنها الجمعة– من القلب، أو هو نتيجة له.

---

(١) (٣ / ٢٥٦) برقم: (٥٥٥٩)، والحديث له شواهد كثيرة عن عدد من الصحابة، وصححه الألباني، في «الصحيحة»، برقم(١٩٣٣)، ومن تعظيمه أيضاً، الإخبار بأنه خير يوم طلعت عليه الشمس؛ لأن فيه خلق آدم، وفيه دخوله إلى الجنة، وفيه خروجه منها، وفيه تيب عليه، وفيه ساعة مستجابة، لا يوفق لها عبد، فيسأل ربه من خيري الدنيا والآخرة، إلا أعطاه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله ￼ حاجة إلا أعطاه إياها، قال كعب: ذلك في كل سنة يوم، فقلت: بل في كل جمعة، قال: فقرأ كعب التوراة فقال: صدق رسول الله ﷺ، قال أبو هريرة: ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أية ساعة هي، قال أبو هريرة فقلت له: فأخبرني بها، فقال عبد الله بن سلام: هي آخر ساعة من يوم الجمعة، فقلت: كيف هي آخر ساعة من يوم الجمعة، وقد قال رسول الله ﷺ: لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها، فقال عبد الله بن سلام: ألم يقل رسول الله ﷺ: من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي، قال: فقلت: بلى، قال: هو ذاك» أخرجه وأبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الجمعة باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة) (١/ ٤٠٤) برقم: (١٠٤٦) واللفظ له، والترمذي في "جامعه" (أبواب الجمعة، باب في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة) (١ / ٥٠١) برقم: (٤٩١)، وقال: «هذا حديث صحيح»، وأصله مخرجٌ في الصحيحين، والحديث صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، انظر تخريجه: «صحيح أبي داود»، للألباني، (٤/٢١٢).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب التغليظ فِي ترك الجمعة) (٣ / ١٠) برقم: (٨٦٥).

قال البيضاوي رحمه الله: «فإن اعتياد ترك الجمعة يغلب الرين على القلوب، ويزهد النفوس في الطاعة، وذلك يؤدي بهم إلى أن يكونوا من الغافلين»(١).

وذلك أن خطبة الجمعة يشهدها المسلمون كل أسبوع؛ ليجددوا الإيمان في قلوبهم، وقد غشي هذه القلوب ما غشيها من الغفلة والران بسبب الانهماك في مشاغل الحياة الدنيا وملذاتها، فتأتي خطبة الجمعة مذكرة للغافل، مبشرة للطائع، محذرة للعاصي، تعالج الأمراض التي تفشت في المجتمع بسبب بعد أكثر الناس عن دينهم، فينصرف المصلون وقد حييت قلوبهم، وزكت أخلاقهم، وازدادوا علما يدفعهم للعمل؛ فتكون سبباً لصلاح الفرد والمجتمع، فإذا اعتاد الفرد تركها، فإنه يحرم من هذه الخيرات العظيمة، فيزداد غفلة إلى غفلته، ويتحول الران قفلاً، فيصبح القلب خرباً أسود مرباداً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه، وبخراب القلب يخرب الجسد كله، فيصبح عضواً خرباً في المجتمع، فمن هذا الوجه كان ترك الجمعة إما دالاً على عدم تعظيم الله جل جلاله في القلب، أو مؤدياً إليه، فاللهم ارزقنا تعظيمك في قلوبنا.

ومن الخطب التي أوضح فيها النبي ﷺ ضرورة تعظيم يوم الجمعة، ما رواه عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما-قال: سمعت النبي ﷺ يخطب على المنبر فقال: «من جاء إلى الجمعة فليغتسل»(٢)، وما روته عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ خطب الناس يوم الجمعة، فرأى عليهم ثياب النمار، فقال رسول الله ﷺ: «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته»(٣).

---

(١) «تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة» (٣٨٦/١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر) (٩/٢) برقم: (٩١٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة) (٣ / ٢) برقم: (٨٤٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة) (٢ / ١٩٥) برقم: (١٠٩٦)، وله شواهد من حديث: محمد بن يحيى بن حبان، وعبد الله بن سلام بن الحارث، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويوسف بن عبد الله بن سلام، والحديث صححه الألباني، انظر: «صحيح وضعيف سنن ابن ماجة»(٩٦/٣).

ووجه الدلالة من الحديثين على تعظيم يوم الجمعة أن الاغتسال فيه، واتخاذ ثيابٍ مخصوصة له، مشعرٌ بتعظيم هذا اليوم، والذي هو معظم عند الله وعند رسوله، وهكذا كانت حال النبي ﷺ وحال أصحابه ﷺ مع هذا اليوم العظيم، فكان النبيﷺ يتطيب ويلبس أحسن ما يجد في الجمعة والعيد وفيه الأسوة الحسنة وكان يأمر بالطيب والسواك والدهن[1] وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى[2]: «أدركت أصحاب مُحَمَّد ﷺ من أصحاب بدر، وأصحاب الشجرة إذا كان يوم الجمعة لبسوا أحسن ثيابهم وإن كان عندهم طيب مسوا منه، ثم راحوا إلى الجمعة»[3].

والمقصود من هذا المبحث، بيان أن تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، وعدم تعظيمها من مرض القلوب ورينها، وأن من أعظم هذه الشعائر: البيت الحرام، ويوم الجمعة؛ ليكون هذان الأمران مثالين؛ للتنبيه على غيرهما من الشعائر التي يجدر بكل مسلم تعظيمها، وقد بين النبي ﷺ هذا الأمر وجلَّاه في خطبه؛ حتى يعظم الناس ربهم، وإن كان أصل هذا التعظيم لله ﷻ مرتكز في الفطرة؛ لأن الإقرار بربوبيته فطريٌ؛ إذ من المحال أن يقر أحد بأن هذا الكون وما فيه مخلوق لخالق واحد هو الذي يدبر أمره، ولا يعظِّمون هذا الخالق ذو القدرة النافذة، وشاهد ذلك أن تعظيم الناس بعضهم لبعض، إن كان المعَّظم عنده نوع ملك أو جاهٍ، أو قوةٍ- أمر ظاهر، فتجد المعظِّم لا يجرؤ على فعل ما يقبح فعله أمام من يعظمه، ويسعى جاهداً ناصباً لنيل رضاه؛ وذلك كله لما معه من ملك أو جاه أو قوة مسبوقة بعدم، ملحوقة بزوال، إما زواله هو، أو زوال ما عُظِّم من أجله، وهذا كله تعظيم مخلوق لمخلوق لسببٍ يلزم من وجوده وجود التعظيم، ومن زواله زواله، فكيف بتعظيم الخلق للخالق ﷻ، الذي استقرت في الفطر ربوبيته، ورسخت في النفوس عظمته، فتجد كل واحد يجد من نفسه تعظيما لهذ الرب الجليل،

---

(١) انظر: «الاستذكار»، لابن عبدالبر (٤٨/٢).

(٢) هو أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصارى الأوسى المدنى الكوفى، من كبار التابعين، توفي سنة ٨٣هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٦٢/٤).

(٣) ©شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٤٨٦/٢).

قلَّ ذلك أم كثُر، بحسب طهارة الفطرة، أو تلوثها، بأنواع الاجتيالات من شرك، وبدعة، ومعصية.

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات في خطب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وتحته أربعة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: استحقاق الله- ﷻ – للحمد والثناء .

المبحث الثاني: ماجاء في صفة الرحمة لله- ﷻ- .

المبحث الثالث: ماجاء في صفة الحياء لله- ﷻ- .

المبحث الرابع: ماجاء في صفة الكلام لله- ﷻ- .

المبحث الخامس: ماجاء في صفة العلو لله- ﷻ- .

المبحث السادس: ماجاء في صفة الستر لله- ﷻ- .

المبحث السابع: ماجاء في صفة الكرم لله- ﷻ- .

المبحث الثامن: ماجاء في صفة الوجه لله- ﷻ- .

المبحث التاسع: ماجاء في المقت صفة لله- ﷻ- .

المبحث العاشر: ماجاء في صفة القدرة لله- ﷻ- .

المبحث الحادي عشر: ماجاء في صفة الغيرة لله- -.

المبحث الثاني عشر: ما جاء في إثبات قيومية الله عز وجل ونفي النوم

تمهيد

الله ﷻ خلق الخلق ليعرفوه، ويعبدوه، وأجلُّ الطرق إلى معرفته جل وعلا هو معرفة أسمائه وصفاته، والتعبد بها، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وصف لنا نفسه في كتابه، ووصفه لنا رسوله ﷺ في سنته، فتحصل من هذا، أنه ليس لنا طريقٌ لمعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته إلا الكتاب والسنة.

وهذا النوع من التوحيد من أشرف العلوم، وبمعرفته يتم إيمان العبد. وهو مستلزم لتوحيد الألوهية؛ فإذا أخبرنا الله بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، وبأنه الخالق والرازق، والمعطي والمانع فهذا يستلزم أن لا نصرف شيئاً من العبادة إلا إليه، وأن لا نشرك به أحداً سبحانه.

وكذلك فإن الناظر إلى معاني أسماء الله وصفاته، يجد أن الله جل وعلا يتعرف إلى العبد بصفات إلهيته تارة، وبصفات ربوبيته تارة؛ فيوجب له شهود صفات الإلهية المحبة الخاصة، والشوق إلى لقائه، والأنس والفرح به والسرور بخدمته، والمنافسة في قربه، والتودد إليه بطاعته، واللهج بذكره، والفرار من الخلق إليه، ويصير هو وحده همه دون ما سواه، ويوجب له شهود صفات الربوبية؛ التوكل عليه، والافتقار إليه، والاستعانة به، والذل والخضوع والانكسار له، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضي الأسماء والصفات(١).

وتتجلى أهمية معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته في آثارها التي يجنيها العبد في العاجل والآجل، من تعظيم الله وخشيته ومحبته، والفوز في الآخرة بجنته.

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله مبيناً أثر الأسماء والصفات على العبد في إجلاله لله ﷻ ومحبته له–قال: « والعلم النافع يدل على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته، ومهابته ومحبته.. »(٢).

---

(١) انظر: «الفوائد» (ص٦٩–٧١)، و«مفتاح دار السعادة» (١٠٨٥/٢–١٠٨٧)، كلاهما لابن القيم.

(٢) «مجموع الرسائل، فضل علم السلف على علم الخلف» (٢٦/٣)، بتصرف يسير.

ولما كانت هذه المعرفة لا غنى للعبد عنها، وحاجته إليها أشد من حاجته للنفس، والطعام، والشراب؛ كانت السبيل إليها من أيسر السبل، وأخصرها (١)، فنجد أن النبي ﷺ كان يقرأ على الصحابة آيات الصفات، ويخبرهم بصفات الله ﷻ، والصحابة يفهمون هذا بكل سهولة ويسر؛ لأنهم وحدوا منهج التلقي، وهو أخذهم عن الصادق المصدوق ﷺ بدون تكلف أو تقعر، فمن رام سلامة كسلامتهم، فليسلك سبيلهم، لاسيما في مثل هذه الأبواب التي وقع فيها خلاف ونزاع بين طوائف الملة؛ بسبب البعد عن مصدر التلقي.

وقد بيَّن النبي ﷺ في خطبه الشريفة هذا المعنى، فكان ﷺ يخبر الصحابة وهو على المنبر بصفات ربهم وخالقهم بأسلوب عربي مبين يفهمونه، من غير سؤال منهم عن الكيفية، فأثبتوا لله ﷻ الصفات إثباتاً بلا تشبيه، ونزهوه سبحانه تنزيهاً بلا تعطيل.

وفيما يلي عرضٌ لجملة من الصفات التي وردت في خطب النبي ﷺ، وبيان شيءٍ من معانيها.

---

(١) انظر: «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» (١/٣٦٥-٣٦٧).

المبحث الأول: استحقاق الله- ﷻ - للحمد والثناء.

الحمد لغة: ضد الذم.

وشرعاً هو: «إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه»(١)، والله ﷻ منفردٌ بالخلق والملك والتدبير، وذلك مستلزمٌ لإفراده بالعبودية دون سواه؛ لأنه الإله الحق الذي يستحق الحمد والثناء من كل وجه ﷻ؛ إذ له أحسن الأسماء، وأكمل النعوت والصفات، «فكونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أهلاً أن يعبد ويحب ويحمد ويثني عليه أمرٌ ثابت له لذاته، فلا يكون إلا كذلك كما أن الغنى القادر الحي القيوم السميع البصير فهو سبحانه الإله الحق المبين»(٢).

ولما كان الحمد لله والثناء عليه بما هو أهله بهذه المكانة العظيمة، فلا غرو أن يبدأ النبي ﷺ به في كل خطبه، فما من خطبة من خطب النبي ﷺ إلا ويبدأ فيها ﷺ بالحمد والثناء على الله ﷻ-والذي هو نوع من الشكر الذي يكون باللسان- فيدخل- وفقاً لذلك- جميع الخطب في الاستدلال بها على هذا المبحث.

يقول شيخ الإسلام: «الحمد لله أحق ما قاله العباد، ولهذا أوجب قوله في كل صلاة وأن تفتتح به الفاتحة، وأوجب قوله في كل خطبة وفي كل أمر ذي بال»(٣).

ولم يبدأ النبي ﷺ خطبة من خطبه بغير الحمد والثناء، وما ذاك إلا لأهميته، وعظيم منزلته، «فالحمد أَوسع الصفات وأَعم المدائح، والطرق إِلى العلم به في غاية الكثرة، والسبيل إِلى اعتباره في ذرّات العالم وجزئياته وتفاصيل الأَمر والنهى واسعةٌ جداً، لأَن جميع أَسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حمد، وصفاته حمد وأَفعاله حمد، وأَحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أَعدائه حمد، وفضله في إحسانه إلى أَوليائه حمد والخلق والأَمر إِنما قام بحمده ووجد بحمده وظهر بحمده وكان الغاية هي حمده فحمده سبب ذلك وغايته

---

(١) «بدائع الفوائد»، لابن القيم (٥٣٦/٢)، وانظر: «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (٣١٢/١٤).

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»، لابن القيم (٨٧/٢-٨٩).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣١٢/١٤).

ومظهره وحامله فحمده روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات وظهور آثاره فيه أَمر مشهود بالأَبصار والبصائر»(١).

فتبين مما سبق أن الله ﷻ مستحقٌ للحمد والثناء من كل وجه من الوجوه؛ لأنه الإله الحق؛ ولذلك كان النبي ﷺ يبدأ به في كل خطبة من خطبه الشريفة، ثم يقول أما بعد؛ إشعاراً منه ﷺ «بأن الأمور كلها، وإن جلَّت وعظمت فهي تابعة لحمد الله والثناء عليه»(٢).

قال ابن رجب ؒ: «الخطب كلها، سواء كانت للجمعة أو لغيرها، وسواء كانت على المنبر أو على الارض، وسواء كانت من جلوس أو قيام، فإنها تبتدأ بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، ثم يذكر بعد ذلك ما يحتاج إلى ذكره من موعظة أو ذكر حاجة يحتاج إلى ذكرها»(٣).

---

(١) «طريق الهجرتين»، لابن القيم (٢٦٤/١).

(٢) «فتح الباري»، لابن رجب (٢٦١/٨).

(٣) «فتح الباري» (٢٦٠/٨).

المبحث الثاني: ما جاء في صفة الرحمة لله- ﷻ-.

صفة الرحمة من الصفات الثابتة لله ﷻ ثبوتاً يليق به سبحانه وتعالى، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، والله جل وعلا أرحم راحم بخلقه؛ إذ يرحمهم رحمة لا يتراحمون بها فيما بينهم، فيجازي محسنهم، ويغفر لمسيئهم(١).

وقد تواردت نصوص الكتاب والسنة على ثبوت هذه الصفة لله جل وعلا، فمن ذلك:

١/ قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۝٥٨﴾ [سورة الكهف: ٥٨].

٢/ وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [سورة البقرة: ١٦٣].

٣/ وقول النبي ﷺ: (لله أرحم بعباده من هذه بولدها)(٢).

وغيرها من النصوص الدالة على عظيم رحمة الله عز وجل بعباده.

وقد بين النبي ﷺ هذه الصفة في خطبه الشريفة، بياناً شافياً فمن ذلك ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: (شكا الناس إلى رسول الله ﷺقُحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوماً يخرجون فيه، قالت عائشة رضي الله عنها: فخرج رسول الله ﷺحين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر، وحمد الله ﷻ، ثم قال: إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله ﷻ أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال: الحمد لله رب العالمين **الرحمن الرحيم** ملك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني، ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة، وبلاغا إلى حين، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/١٦١)، و«فتح القدير»، للشوكاني (٣/٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته) (٨ / ٨) برقم: (٥٩٩٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب التوبة، باب فِي سعة رحمة الله تَعَالَى وأنها سبقت غضبه) (٨ / ٩٧) برقم: (٢٧٥٤).

إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره، وقلب أو حول رداءه، وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس، ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت، وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك ﷺحتى بدت نواجذه، فقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله) (١).

فقوله ﷺ (الرحمن الرحيم)، بين الدلالة على إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، وإثبات الرحمن، والرحيم اسمين له ﷻ، وهناك دلالة أخرى من الحديث على هذه الصفة، وهو أن نزول الغيث إنما نزل برحمة الله، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [سورة الشورى: ٢٨].

فتكون خطب الاستسقاء كلها شاهداً لإثبات صفة الرحمة لله ﷻ، وأيضاً خطب الكسوف، من جهة كون دفع النقم من رحمة الله ﷻ بالعباد.

ورحمة الله ﷻ تكون عامة تشمل جميع المخلوقات، وهذا الذي يدل عليه اسم الرحمن، كما قال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [سورة غافر: ٧]، وتكون خاصة بالمؤمنين، كما قال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣]،

وأختم هذا المبحث بلطيفة ذكرها ابن القيم رحمه الله مبيناً سعة رحمة الله، عند كلامه على قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه: ٥] – قال: «ولهذا يقرن استواءه على العرش بهذا الاسم كثيرا؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦] فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «مدارج السالكين» (٥٧/١).

المبحث الثالث: ما جاء في صفة الحياء لله- ﷻ-.

صفة الحياء من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة، قال الله ﷻ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٦]، وقال جل شأنه ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣]، وعن أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺبينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر.... ثم قال: وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه... الحديث»[١].

وجاءت خطب النبي ﷺ بإثبات هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به سبحانه، فعن يعلى بن أمية رضي الله عنه[٢] أن رسول الله ﷺرأى رجلاً يغتسل بالبَرَازِ[٣]، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: إن الله ﷻ حليم حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»[٤].

ففي هذه الخطبة دلالة صريحة على إثبات صفة الحياء لله ﷻ «وحياؤه تعالى وصف يليق به ليس كحياء المخلوقين الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه. فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه، وأضعفه لديه

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس) (١ / ٢٤) برقم: (٦٦)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب السلام، باب من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم) (٧ / ٩) برقم: (٢١٧٦).

(٢) هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث التميميّ الحنظليّ، صحابيٌّ جليل، توفي سنة ٤٧هـ. انظر: «الإصابة» (٥٣٨/٦)، و «سير أعلام النبلاء» (١٠٠/٣).

(٣) الْبَرَازُ بِالْفَتْحِ اسْمٌ لِلْفَضَاءِ الْوَاسِعِ، فَكَنَّوْا بِهِ عَنْ قَضَاءِ الْغَائِطِ كما كَنَّوْا عَنْهُ بِالْخَلَاءِ. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١١٧/١).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الغسل والتيمم، باب الاستتار عند الاغتسال) (١ / ١٠١) برقم: (٤٠٤ / ١)، وأبو داود في "سننه" (كتاب الحمام، باب النهي عن التعري) (٤ / ٧٠) برقم: (٤٠١٢)، وصححه الألباني، انظر: «إرواء الغليل» (٣٦٧/٧) برقم (٢٣٣٥).

ويستعين بنعمه على معصيته، ولكنَّ الربَّ سبحانه وتعالى مع كمال غناه وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيؤه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر... و كذلك يستحي سبحانه من ذي الشيبة في الإسلام أن يعذبه، ويستحي ممن يدعوه ويمد إليه يديه أن يردهما خاليتين»[1].

(١) ©شرح النونية»، للهراس (٢/٨٦).

المبحث الرابع: ما جاء في صفة الكلام لله- ﷻ-.

صفة الكلام من الصفات الثابتة لله ﷻ بالقرآن والسنة وإجماع المسلمين(١)، قال الله ﷻ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [سورة النساء: ١٦٤].

وقال ﷺ: « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه»(٢).

هذا هو اعتقاد الصحابة ومن جاء بعدهم من السلف الصالح في كلام الله ﷻ، من أنه يتكلم بما شاء كيف شاء وقتما شاء، كلاماً يليق به ﷻ، والنبي ﷺ قرر لهم هذا وبينه، سواءً كان في خطبه ﷺ أو في غيرها، ومن خطبه الشريفة المقررة لهذه الصفة، ما ثبت عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺوهو قائم على المنبر: (إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أعطي أهل التوراة التوراة، فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس، فأعطيتم قيراطين قيراطين. قال أهل التوراة: ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا؟ قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، فقال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء)(٣).

فقول الله ﷻ في الحديث: (هل ظلمتكم من أجركم من شيء)، وكذلك قوله: (فذلك فضلي أوتيه من أشاء) فيه دلالة بينة على أن الله ﷻ يتكلم متى شاء بكلام يُسمعه من يشاء من عباده، وأن كلامه ﷻ بحرف وصوت، كما ثبت عن أبي سعيد

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٦/٢١٨-٢١٩)، (١٢/١٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) (٩ / ١٤٨) برقم: (٧٥١٢)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) (٣ / ٨٦) برقم: (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام) (٦ / ١٩١) برقم: (٥٠٢١).

الخدري ﷺ قال: قال النبي - ﷺ-: «يقول الله ﷻ يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى **بصوت**: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار... الحديث»(١).

وهذا هو الذي يعتقده أهل السنة والجماعة في صفة الكلام.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب تفسير القرآن، باب وترى الناس سكارى) (٦ / ٩٧) برقم: (٤٧٤١)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) (١ / ١٣٩) برقم: (٢٢٢).

المبحث الخامس: ماجاء في صفة العلو لله- ﷻ-.

العلو صفة ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة والإجماع، والعلي من أسمائه ﷻ، ومعناه أنه« ذو العلو على كل شيء، هو فوق كل شيء، وكل شيء دونه»(١)، يقول ابن القيم: « العلي الذي علا عن كل عيب وسوء ونقص ومن كمال علوه أن لا يكون فوقه شيء بل يكون فوق كل شيء»(٢) وعلو الله ﷻ يشمل علو الذات، والقدر، والقهر، فالله ﷻ له العلو المطلق ذاتاً وقدراً وقهراً(٣)، تواترت بذلك نصوص الوحيين في مواضع كثيرة أوصلها بعض أهل العلم إلى الألف دليل، إما مطابقة أو تضمناً أو التزاماً، وأطبقت على الإقرار بعلوهﷻ الفطر السليمة(٤)، ومن تلكم النصوص التي أوضحت وقررت علو الله ﷻ خطب النبي ﷺ، **وجاء ذلك بأساليب متنوعة، فمن ذلك:**

أولاً/ **التصريح بتنزيل الوحي الذي هو غيث الأرواح، والمطر الذي هو غيث الأبدان.**

ويدل عليه من الخطب النبوية:

١/ ما ثبت عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺيخطب بالمدينة قال: «يا أيها الناس، إن الله تعالى يعرض بالخمر، ولعل الله **سينزل** فيها أمراً.... الحديث»(٥).

---

(١) «تفسير الطبري» (٦٧٦/١٨).

(٢) «شفاء العليل» (ص١٨٠).

(٣) انظر: «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السنة التيمي (١١٧/٢).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (٢٩٧/٢) (١٢١/٥)، وللاستزادة ينظر: «الرد على الجهمية والزنادقة»، للإمام أحمد، و «إثبات صفة العلو» لابن قدامة، و «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم، و«العلو للعلي الغفار» للذهبي، و «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز (٣٨١/٢-٣٩٤)، و «إثبات علو الله ومباينته لخلقه والرد على من زعم أن معية الله للخلق ذاتية» للشيخ التويجري

(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب البيوع، باب تحريم بيع الخمر) (٥ / ٣٩) برقم: (١٥٧٨).

٢/ وكذلك حديث عياض بن حمار المجاشعي الطويل وفيه: « وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان.... الحديث» (١).

٣/ وما ثبت أيضاً عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس. ثم قام في الناس قال: (أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. ثم قال: اللهم **منزل** الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم) (٢).

٤/ وكذلك قوله ﷺ في الاستسقاء: (أنزل علينا الغيث)(٣).

٥/ ومثله ما ثبت عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: (استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على صدقات بني سليم، يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم وهذا هدية. فقال رسول الله ﷺ: فهلا جلست في بيت أبيك وأمك، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا. ثم خطبنا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني أستعمل الرجل

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٥)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو) (٤ / ٦٣) برقم: (٣٠٢٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) (٥ / ١٤٣) برقم: (١٧٤٢)

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء) (١ / ٤٥٥) برقم: (١١٧٣)، بإسناد حسن، وقال: هذا حديث غريب، إسناده جيد، أهل المدينة يقرءون ﴿ملك يوم الدين﴾ وإن هذا الحديث حجة لهم. ا هـ، وصححه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، «المستدرك على الصحيحين»: (١ / ٣٢٨) برقم: (١٢٢٩)، ووافقه الذهبي، وتعقب الشيخ الألباني تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي بأن في إسناده: خالد بن نزار، والقاسم بن مبرور، وهما ثقتان إلا أن الأول منهما فيه كلام يسير لا ينزل بحديثه عن رتبة الحسن، انظر: «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»(١٣٦/٣) برقم: (٦٦٩)، وللحديث شواهد كثيرة عن عدد من الصحابة مخرجة في كتب الصحاح، والمسانيد.

منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر ثم رفع يده حتى رئي بياض إبطه، يقول: اللهم هل بلغت)(١).

فهذه الأحاديث فيها التصريح بتنزيل الوحي من عنده ﷻ، وذلك في قوله ﷺ عن الخمر: (ولعل الله سينزل فيها أمرا)، وقوله ﷻ: (وأنزلت عليك كتاباً)، وقوله ﷺ متوسلاً إلى ربه: (منزل الكتاب)، وفيها التصريح أيضاً بتنزيل الغيث، وذلك في قوله ﷺ داعياً ربه: (أنزل علينا الغيث)، ومعلوم أن التنزيل يكون من العلو، فثبت بذلك علو الله ﷻ.

ثانياً/ **من الأساليب التي جائت في الخطب النبوية لإثبات علو الله ﷻ الإشارة إلى جهة العلو، سواء كان برفع الإصبع، أو الأيدي، أو برفع الرأس نحو السماء،** ويدل لذلك ما ثبت عن النبي ﷺ في استسقاءه أنه رفع يديه.

١/فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((خرج رسول الله ﷺيوما يستسقي، فصلى بنا ركعتين بلا أذان ولا إقامة، ثم خطبنا ودعا الله وحول وجهه نحو القبلة رافعا يديه، ثم قلب رداءه، فجعل الأيمن على الأيسر والأيسر على الأيمن)) (٢).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحيل، باب احتيال العامل ليهدى له) (٩ / ٢٨) برقم: (٦٩٧٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال) (٦ / ١١) برقم: (١٨٣٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الاستسقاء) (٢ / ٣١٩) برقم: (١٢٦٨)، وهو بهذا الإسناد ضعيف؛ لأن في سنده النعمان بن راشد الجزري، ضعفه غير واحد من أهل العلم، منهم أحمد والبخاري. انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (٥٦٣٠)، ولكن للأحاديث شواهد أخري تقويه، منها: حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم.

٢/ وفي حديث عائشةﷺ في الاستسقاء أنه ﷺ «رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه»(١).

ففي رفع النبي ﷺ يديه في استسقاءه دلالة واضحة على إثبات علو الله ﷻ؛ لأن النبي ﷺ كان يرفعهما إلى أعلى، وهذا أمرٌ فطري يشعر به كل من كان لله داعياً، فإنه لا يكن قلبه متوجهاً إلا إلى أعلى

٣/ وعن جابر بن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع: « وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت. فقال **بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء** وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات»(٢).

فرفع النبي ﷺ لسبابته إلى السماء دليل بين على علو الله ﷻ، وقد استدل بهذا الحديث الذهبي في (العرش)(٣)، وفي (العلو للعلي الغفار)(٤) –استدل به على إثبات علو الله جل وعلا.

ثالثاً/ **من الأساليب التي جاءت في خطب النبي ﷺ لإثبات علو الله ﷻ التصريح برفع الأعمال إليه.**

فعن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: (إن الله ﷯ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، **يُرفع إليه** عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل)(١).

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء) (١ / ٤٥٥) برقم: (١١٧٣)، بإسناد حسن، وقال: هذا حديث غريب، إسناده جيد.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الحج – باب حجة النبي ﷺ) (٤ / ٣٨) برقم: (١٢١٨)

(٣) (٣٩/٢)

(٤) (ص١٧).

ففي قوله ﷺ (يرفع إليه عمل الليل...) دلالة بينة على أن الله ﷻ له العلو المطلق على خلقه؛ لأن الرفع لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى، واستدل به الذهبي أيضاً في (العرش)(٢)، و (العلو)(٣) على إثبات علو الله ﷻ.

فتبين لنا من خلال ما سبق كيف ان النبي ﷺ قرر هذه العقيدة–عقيدة علو الله ﷻ– بأسلوبٍ سهلٍ يفهمه كل ذي فطرة سليمة.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺإن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور) (١ / ١١١) برقم: (١٧٩).

(٢) (٢/٥٣).

(٣) (ص٢٣) برقم (٤٢).

المبحث السادس: ماجاء في صفة الستر لله- ﷻ-.

الستر من الصفات التي ثبتت لله ﷻ، والستير من أسمائه ﷻ الثابتة بالسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ(1)، ومعنى الستير الذي «يستر على عباده كثيرا ولا يفضحهم في المشاهد، كذلك يحب من عباده الستر على أنفسهم، واجتناب ما يشينهم»(2)، يقول ابن القيم رحمه الله:

وهو الحيي فليس يفضح عبده ... عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره ... فهو الستير وصاحب الغفران
(3).

وقد ثبتت هذه الصفة وهذا الاسم في حديث واحد من خطب النبي ﷺ، فعن يعلى بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺرأى رجلاً يغتسل بالبراز، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: «إن الله ﷻ حليم حيي **ستير** يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر» (4).

ففي قوله ﷺ: (ستير) إثبات لصفة الستر لله ﷻ على ما يليق به سبحانه من غير تكييف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، فالله ﷻ « يحب الستر لعباده المؤمنين؛ ستر عوراتهم، وستر ذنوبهم، فيأمرهم أن يستروا عوراتهم، وأن لا يجاهروا بمعاصيهم في الدنيا، وهو يسترها عليهم في الآخرة»(5).

---

(1) انظر: «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي سقاف (ص٢١٣-٢١٤).

(2) «الأسماء والصفات»، للبيهقي(٢٢٣/١).

(3) «الكافية الشافية» (١٧٨/٤).

(4) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الغسل والتيمم، باب الاستتار عند الاغتسال) (١ / ١٠١) برقم: (٤٠٤ / ١)، وأبو داود في "سننه" (كتاب الحمام، باب النهي عن التعري) (٤ / ٧٠) برقم: (٤٠١٢)، والحديث صححه الألباني في: «إرواء الغليل» (٣٦٧/٧) برقم: (٢٣٣٥).

(5) «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي سقاف (ص٢١٤).

المبحث السابع: ماجاء في صفة الكرم لله- ﷻ-.

الكرم من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة، والكريم من أسمائه ﷻ، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الفجر:١٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الانفطار:٦].

ومن السنة قول النبي ﷺ في دعاءه للميت على جنازته : « اللهم اغفر له ، وارحمه ، وعافه ، واعف عنه ، **وأكرم نزله...**»(١)

ومعناه: «الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق»(٢)، الذي من كرمه « أن يبدأ بالنعمة قبل استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب، ويعفو عن المسيء، ويقول الداعي في دعائه. يا كريم العفو، فقيل: إن من كرم عفوه، أن العبد إذا تاب عن السيئة، محاها عنه وكتب له مكانها حسنة»(٣).

وقد جاءت خطب النبي ﷺ بتجلية هذه الصفة وبيانها، وذلك بذكر بعض آثارها، ومن ذلك:

١/ ما رواه جرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ قال: «.... من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الجنائز ، باب الدعاء للميت فِي الصلاة) (٣ / ٥٩) برقم: (٩٦٣).

(٢) «لسان العرب»، لابن منظور (١٢/٥١٠).

(٣) «شأن الدعاء» للخطابي (ص٧١).

شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(١).

فقوله ﷺ: (فله أجرها وأجر من عمل بها) هذا من كرم الله ﷻ أن يثيب العامل على أمور لم يعملها بنفسه، ولكنه تسبب في فعلها.

قال شيخ الإسلام: «والمحيي لشيء من سنته–يعني النبي ﷺ– له أجرها وأجر من عمل بها من غير نقصان في أجر طاعته فإن الله لا يظلم مثقال ذرة؛ بل يضاعف الحسنات بفضله ورحمته»(٢).

٢/ وكذلك ما رواه عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺوهو قائم على المنبر: (إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أعطي أهل التوراة التوراة، فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس، فأعطيتم قيراطين قيراطين. قال أهل التوراة: ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا؟ قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، فقال: **فذلك فضلي أوتيه من أشاء**)(٣).

فقول الله ﷻ: (فذك فضلي) فيه دلالة على كرم الله ﷻ، وأنه يثيب الأجر الجزيل على العمل القليل.

قال الحافظ ابن حجر: «قوله (فذلك فضلي أوتيه من أشاء) فيه حجة لأهل السنة على أن الثواب من الله على سبيل الإحسان منه ﷻ»(٤).

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة) (٨ / ٦١) برقم: (١٠١٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٤٥/١٨).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة) (٩ / ١٣٨) برقم: (٧٤٦٧).

(٤) «فتح الباري» (٤٤٦/٤).

فتبين مما سبق دلالة خطب النبي ﷺ على صفة الكرم لله ﷻ، وعلى هذا المعنى يدخل تحت هذا المبحث أحاديث كثيرة من خطب النبي ﷺ تدل على كرم الله ﷻ وواسع فضله وإنعامه، كأحاديث الاستسقاء، وإنزال الكتب، وإرسال الرسل، فكل هذا من آثار كرمه وإحسانه.

وأختم هذا المبحث بكلام نفيس لأبي حامد الغزالي رحمه الله عن معنى اسم الله الكريم- يقول: «هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفَّى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جفي عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائل والشفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق، وذلك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقط»(١).

---

(١) «المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى» (ص١١٧).

المبحث الثامن: ماجاء في صفة الوجه لله- ﷻ-.

صفة الوجه من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة على ما يليق به سبحانه، فكما أن له ذاتاً تليق به ﷻ لا تشبه ذوات المخلوقين، كذلك سائر صفاته تليق به ﷻ، ولا تشبه صفات المخلوقين، ومن ذلك صفة الوجه.

قال الإمام ابن خزيمة(١) رحمه الله: «فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن، والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين»(٢).

ومن الخطب التي جاء فيه ذكر الوجه مثبتاً لله ﷻ، ما ثبت عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات **وجهه** ما انتهى إليه بصره من خلقه»(٣).

فقوله: (سبحات وجهه) فيه دلالة بينة على إثبات صفة الوجه لله ﷻ على ما يليق به سبحانه.

---

(١) هو أبو بكر مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة بن صالح بن بكر السلمي الحافظ، الحجة، الفقيه، إمام الأئمة، السلمي النيسابوري، الشافعي، صاحب التصانيف، والتي منها: كتاب التوحيد، توفي ٣١١هـ. انظر: «تذكرة الحفاظ» (٢٠٧/٢)، و «طبقات الشافعية»، للإسنوي (٢٢١/١).

(٢) «التوحيد» (٢٦/١).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ إن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) (١ / ١١١) برقم: (١٧٩).

قال شيخ الإسلام: « ثبوت الوجه والصورة لله قد جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة المتواترة واتفق على ذلك سلف الأمة... فأما لفظ الوجه فلا يمكن استقصاء النصوص المثبتة له»[(١)].

(١) «بيان تلبيس الجهمية» (٦/٥٢٦).

المبحث التاسع: ماجاء في المقت صفة لله- ﷻ-.

المقت من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة على ما يليق به سبحانه، كما قال الله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة غافر: ١٠].

ومعنى المقت: شدة الكراهية والبغض(١) .

قال شيخ الإسلام: «وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار ووصفهم بالمقت فقال: ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون﴾ وليس المقت مثل المقت»(٢).

ومما ثبت عن النبي ﷺ من خطبه لإثبات هذه الصفة، ما رواه ما رواه عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺقال ذات يوم في خطبته «... وإن الله نظر إلى أهل الأرض **فمقتهم** عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك.... »(٣).

فقوله ﷺ: (فمقتهم)، فيه إثبات هذه الصفة لله ﷻ على ما يليق به سبحانه.

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين»، جمع وترتيب فهد السليمان (٤/٢٧٢)، و©شرح الرسالة التدمرية® لمحمد بن عبدالرحمن الخميس ص٨٠

(٢) ©مجموع الفتاوى» (٣/١٣).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٥)

المبحث العاشر: ماجاء في صفة القدرة لله- ﷻ-.

صفة القدرة من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة، ومن أسماءه القادر، والقدير، والمقتدر، ومعنى هذه الصفة في حقه ﷻ أنه على كل شيء قدير، لا يمتنع عليه شيء، ولا يعجزه شيء مهما كان، ولا يلابس قدرته عجز بوجه من الوجوه، وكل شيء في هذا الوجود كائن بقدرته ومشيئته، فهو الذي يقدر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، يفعل ما يريد بمقتضى حكمته، ومن معاني القدرة أيضاً، تقدير الله ﷻ لجميع شؤون الخلق، كما قال الله ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الفرقان: ٢](١).

وقد جاءت خطب النبي ﷺ مثبتة لقدرة الله ﷻ، إما تصريحاً، وإما بذكر آثار قدرته والثاني كثير جداً، كالخطب التي فيها إحياء الله للناس بعد أن صاروا رفاتاً، وكذلك قدرة الله ﷻ على خلق الشيء وما يضاده، كالجنة والنار، والملائكة والشياطين، وقدرته على إنطاق الجمادات، وقدرته ﷻ على خلق الناس كلهم من نفس واحدة.

وأما ما ورد تصريحاً، فما ثبت عن عائشة رضي الله عنها في استسقاء النبي ﷺ- وفيه... : (فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك ﷺحتى بدت نواجذه، فقال: أشهد **أن الله على كل شيء قدير**، وأني عبد الله ورسوله) (٢).

---

(١) انظر: «شأن الدعاء»، للخطابي (ص٨٥-٨٦)، و «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي سقاف (ص٣٠٤)، و«موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» (٥/٢٣٢٨-٢٣٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء) (١ / ٤٥٥) برقم: (١١٧٣)، بإسناد حسن، وقال: هذا حديث غريب، إسناده جيد، أهل المدينة يقرءون ﴿ملك يوم الدين﴾ وإن هذا الحديث حجة لهم. ا هـ، وصححه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، «المستدرك على الصحيحين»: (١ / ٣٢٨) برقم: (١٢٢٩)، ووافقه الذهبي، وتعقب الشيخ الألباني تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي بأن في إسناده: خالد بن نزار، والقاسم بن مبرور، وهما ثقتان إلا أن الأول منهما فيه كلام يسير لا ينزل بحديثه عن رتبة الحسن، انظر: «إرواء الغليل في تخريج أحاديث

فقوله ﷺ: (أشهد أن الله على كل شيء قدير) بعد إنزال المطر لبين الدلالة على عظيم قدرة الله، والتي من آثارها إنزاله للغيث، كما قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الشورى: ٢٨].

فالله سبحانه منزه عن كل نقص؛ وذلك لكمال قدرته كما قال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة ق: ٣٨].

قال شيخ الإسلام: « فتنزيهه لنفسه عن مس اللغوب يقتضي كمال قدرته، والقدرة من صفات الكمال، فتنزيهه يتضمن كمال حياته وقيامه وعلمه وقدرته»[1].

منار السبيل»(٣/١٣٦) برقم: (٦٦٩)، وللحديث شواهد كثيرة عن عدد من الصحابة مخرجة في كتب الصحاح، والمسانيد.

(١) «منهاج السنة النبوية»(٢/ ١٨٣).

المبحث الحادي عشر: ماجاء في صفة الغيرة لله- ﷻ-.

الغيرة من الصفات الثابتة لله ﷻ كما يليق به سبحانه، فغيرته ﷻ لا تشبه غيرة المخلوقين، ولا تماثلها.

قال شيخ الإسلام: «فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الله يوصف " بالغيرة " وهي مشتقة من (التغير) »(١) .

قال ابن القيم رحمه الله: « والغيرة من صفات الرب جَلَّجَلَالُهُ والأصل فيها قوله تعالى ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾، ومن غيرته تعالى لعبده وعليه يحميه مما يضره في آخرته»(٢).

وقد جاءت هذه الصفة واضحة جلية في خطب النبي ﷺ، وذلك من خلال ما ثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حديث الخسوف، وفيه أن النبي ﷺ قال: «.. يا أمة مُحَّد، والله ما من **أحد أغير من الله** أن يزني عبده، أو تزني أمته، يا أمة مُحَّد، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (٣).

فأثبت الحديث صفة الغيرة لله ﷻ، وأثبت أنه لا أحد أغير من الله.

يقول شيخ الإسلام: «فلم يصفه ﷺبمطلق الغيرة بل بين أنه لا أحد أغير منه وأن رسول الله ﷺأغير من المؤمنين وقد قدمنا غير مرة أن الله لا يُساوى في شيء من صفاته وأسمائه بل ما كان من صفات الكمال فهو أكمل فيه وما كان من سلب النقائص فهو

---

(١) «مجموع الفتاوى® (٢٥٣/٦).

(٢) «روضة المحبين» (ص٤١٢).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الكسوف، باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته) (٢ / ٣٨) برقم: (١٠٥٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب صلاة الاستسقاء، باب صلاة الكسوف) (٣ / ٢٧) برقم: (٩٠١).

أنزه منه إذ لهُ المثل الأعلى سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فوصفه بأنه أغير من العباد وأنه لا أغير منه»(١).

وينبغي التنبيه على أن صفة الغيرة من صفات الكمال المحمودة، فتثبت لله ﷻ على ما يليق به؛ لأن خالق الكمال ومعطيه؛ أولى بالاتصاف به.

يقول ابن القيم رحمه الله: «فإن الغيرة تتضمن البغض والكراهة فأخبر أنه لا أحد أغير منه وأن من غيرته حرم الفواحش ولا أحد أحب إليه المدحة منه والغيرة عند المعطلة النفاة من الكيفيات النفسية كالحياء والفرح والغضب والسخط والمقت والكراهية فيستحيل وصفه عندهم بذلك ومعلوم أن هذه الصفات من صفات الكمال المحمودة عقلا وشرعا وعرفا وفطرة وأضدادها مذمومة عقلا وشرعا وعرفا وفطرة فإن الذي لا يغار بل تستوي عنده الفاحشة وتركها مذموم غاية الذم مستحق للذم القبيح»(٢).

ومن الثمرات التي يجنيها العبد من معرفته لصفة الغيرة لله ﷻ، تجنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وغيرته أن تنتهك حرمات الله، وغير ذلك من الآثار (٣).

---

(١) «بيان تلبيس الجهمية» (٧/٤١٠).

(٢) «الصواعق المرسلة» (٤/١٤٩٧)، وانظر: «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي سقاف (ص٢٩٢-٢٩٥).

(٣) انظر: «موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» (٥/٢٢٣١).

المبحث الثاني عشر: ماجاء في إثبات قيومية الله ﷻونفي النوم عنه ﷻ.

يوصف الله ﷻ بأنه قيوم، والقيومية صفة ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة، والقيوم اسم من أسمائه، ومعناه: «القائم بنفسه، الغني عن كل من سواه، فلم يحتج إلى أحد سواه؛ لكمال غناه، وهو القائم بأمور خلقه، المدبر شؤونهم، فكل ما سواه محتاجٌ إليه»(١).

وقد جاءت هذه الصفة في خطب النبي ﷺ، بالاستلزام، وذلك من خلال ما ثبت أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: إن الله ﷻ **لا ينام** ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل(٢).

فقوله ﷺ: (لا ينام)، مستلزم لكمال قيوميته ﷻ، فإن الله ﷻ لما ذكر اسم الحي القيوم في آية الكرسي، أردفهما بذكر نفي السنة والنوم عنه سبحانه، فقال ﷻ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

قال شيخ الإسلام: « فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيومية» (٣)، وقال الشيخ السعدي رحمه الله: « القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات، فأوجدها وأبقاها، وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها. ومن كمال حياته وقيوميته، أنه ﴿لا تأخذه سنة﴾ أي: نعاس ﴿ولا نوم﴾؛ لأن السنة والنوم، إنما يعرضان للمخلوق، الذي يعتريه الضعف، والعجز، والانحلال، ولا يعرضان لذي العظمة والكبرياء والجلال».

---

(١) «موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» (٥/٢٤١٩)، وانظر: «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي سقاف (ص٣١٢-٣١٤).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب فِي قوله ﷺإن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور) (١ / ١١١) برقم: (١٧٩).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ١٨٣).

ولذلك كان اسما (الحي والقيوم) دائما الاقتران في القرآن الكريم، وإليهما ترجع الأسماء كلها، أسماء الذات، وأسماء الأفعال.

يقول ابن القيم ﷺ عن هذين الاسمين–يقول: « عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها وإليهما مرجع معانيها جميعها... فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة وبهذا الطريق العقلي أثبت متكلمو أهل الإثبات له تعالى صفة السمع والبصر والعلم والإرادة والقدرة والكلام وسائر صفات الكمال، وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته وهذا من كمال قدرته وعزته فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة»[1].

فينبغي على من عرف الله ﷻ باسمه القيوم، ألا يرفع حوائجه إلا إليه؛ لأن كل شيء قام به سبحانه، وأن يكون دائم الافتقار إليه، متبرئاً من حوله وقوته.

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/٦٧٨-٦٧٩).

المبحث الثالث عشر: ماجاء في المحبة صفة لله ﷻ.

صفة المحبة من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة، وإجماع أهل السنة، على ما يليق به ﷻ، من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تكييف ولا تعطيل، فهو سبحانه يحب المؤمنين، ويؤيدهم، ويبغض الكافرين ويخذلهم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [سورة المائدة:٥٤].

وقال ﷺ: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»(١) .

قال ابن القيم رحمه الله: « وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبة حاجة إليه أو تملق له أو انتفاع بقربه وسلام مما يتقوله المعطلون فيها»(٢).

وجاءت خطب النبي ﷺ بإثبات هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به سبحانه، فعن يعلى بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺرأى رجلاً يغتسل بالبراز، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: إن الله ﷻ حليم حيي ستير **يحب** الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة) (٤ / ١١١) برقم: (٣٢٠٩) ، ومسلم في "صحيحه" (كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده) (٨ / ٤٠) برقم: (٢٦٣٧).

(٢) «بدائع الفوائد» (٢/٦٠٥)، وانظر: «موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة» (٥/٢٦٠٩-٢٦١٤)، و «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي سقاف (ص١٣٢-١٣٣).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الغسل والتيمم، باب الاستتار عند الاغتسال) (١ / ١٠١) برقم: (٤٠٤ / ١)، وأبو داود في "سننه" (كتاب الحمام، باب النهي عن التعري) (٤ / ٧٠) برقم: (٤٠١٢)، وصححه الألباني، انظر: «إرواء الغليل» (٧/٣٦٧) برقم (٢٣٣٥).

فقوله ﷺ: (يحب الحياء)، فيه دلالة واضحة على إثبات صفة المحبة لله ﷻ كما يليق به سبحانه، وعلى هذا جرى الأئمة من السلف ومن جاء بعدهم.

يقول شيخ الإسلام: «وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ»(١).

فنسأل الله ﷻ أن يرزقنا موجبات محبته، وأن يجنبنا موجبات غضبه.

---

(١) ©مجموع الفتاوى» (٣٥٤/٢).

ملحقٌ بالصفات الواردة في الخطب، وغير مندرجة في الخطة

١/ صفة الألوهية.

ويدل عليها كل الخطب التي ورد فيها لفظ الجلالة (الله).

٢،٣،٤،٥،٦/ صفات: الربوبية، والمُلك، والفِعل، والإرادة، والغِنى

ويدل عليها من الخطب ما ثبت عن عائشة ﵂ قالت : (شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ، ووعد الناس يوما يخرجون فيه ، قالت عائشة : فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر ، وحمد الله عز وجل ، ثم قال : إنكم شكوتم جدب دياركم ، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم ، وقد أمركم الله عز وجل أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم ، ثم قال : الحمد لله **رب العالمين** الرحمن الرحيم **ملك** يوم الدين لا إله إلا الله **يفعل** ما **يريد** ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت **الغني** ، ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة ، وبلاغاً إلى حين ..الحديث)(١).

٧،٨/ صفتي: الخَلْق، والرقيب.

ويدل عليهما من الخطب ما ثبت عن جرير ﵁ قال «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة ، باب رفع اليدين في الاستسقاء) (١ / ٤٥٥) برقم: (١١٧٣)، بإسناد حسن، وقال: هذا حديث غريب ، إسناده جيد ، أهل المدينة يقرءون ﴿ ملك يوم الدين ﴾ وإن هذا الحديث حجة لهم. ا هـ، وصححه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ،«المستدرك على الصحيحين»: (١ / ٣٢٨) برقم: (١٢٢٩)، ووافقه الذهبي، وتعقب الشيخ الألباني تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي بأن في إسناده: خالد بن نزار، والقاسم بن مبرور، وهما ثقتان إلا أن الأول منهما فيه كلام يسير لا ينزل بحديثه عن رتبة الحسن، انظر: « إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»(١٣٦/٣) برقم:(٦٦٩)، وللحديث شواهد كثيرة عن عدد من الصحابة مخرجة في كتب الصحاح، والمسانيد.

متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي **خلقكم** من نفس واحدة﴾ ﴿إن الله كان عليكم **رقيبا**﴾ والآية التي في الحشر ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾ ...الحديث»(١).

وكذلك ما ثبت عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ...**وإني خلقت عبادي** حنفاء كلهم...الحديث) (٢).

١٠،٩/ صفتي: التحليل والتحريم.

ويدل عليهما من الخطب ما ثبت عن ابن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**حرم** الله مكة ، فلم تحل لأحدٍ قبلي ولا لأحد بعدي، **أحلت** لي ساعة من نهار.. الحديث) (٣).

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) (٣ / ٨٦) برقم: (١٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٥)

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحج ، باب فضل الحرم) (٢ / ١٤٧) برقم: (١٥٨٧)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج ، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها) (٤ / ١٠٩) برقم: (١٣٥٣)، وله شواهد، وقد رواه غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم بلفظ الخطبة، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال :(لما فتح الله عز وجل على رسول الله ﷺ مكة قام في الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي ، وإنها أحلت لي ساعة من نهار ، وإنها لن تحل لأحد بعدي فلا ينفر صيدها ، ولا يختلى شوكها ، ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد ، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين : إما أن يفدى ، وإما أن يقتل ، فقال العباس : إلا الإذخر يا رسول الله ؛ فإنا نجعله في قبورنا وبيوتنا ، فقال رسول الله ﷺ : إلا الإذخر ، فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال : اكتبوا لي يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : اكتبوا لأبي شاه . قال الوليد :

١١/ صفة الإيجاب.

ويدل عليه من الأحاديث ما ثبت عن أبي هريرة ﷺ قال : خطبنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : (أيها الناس ، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت ، حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لو قلت : نعم ، **لوجبت** ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)(١) .

يقول شيخ الإسلام: «الحلف بالنذر والطلاق ونحوهما هو حلف بصفات الله؛ فإنه إذا قال: إن فعلت كذا فعلي الحج. فقد حلف بإيجاب الحج عليه وإيجاب الحج عليه حكم من أحكام الله تعالى وهو من صفاته. وكذلك لو قال: فعلي تحرير رقبة. وإذا قال: فامرأتي طالق وعبدي حر. فقد حلف بإزالة ملكه الذي هو تحريمه عليه **والتحريم من صفات الله كما أن الإيجاب من صفات الله**»(٢).

١٢، ١٣، ١٤/ صفات السمع والبصر والإجابة.

فقلت للأوزاعي : ما قوله : اكتبوا لي يا رسول الله ؟ قال : هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم)، أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب في اللقطة ، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة) (٣ / ١٢٥) برقم: (٢٤٣٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج ، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها) (٤ / ١١٠) برقم: (١٣٥٥).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٩ / ٩٤) برقم: (٧٢٨٨) ، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر) (٤ / ١٠٢) برقم: (١٣٣٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧٣/٣٥).

ويدل عليها من خطب النبي ﷺ ما ثبت عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا ، فقال : (إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ، ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبر فكبروا ، وإذ قال : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقولوا : آمين ، **يجبكم الله** . فإذا كبر وركع فكبروا واركعوا ؛ فإن الإمام يركع قبلكم ويرفع قبلكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتلك بتلك . وإذا قال : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد ، **يسمع الله** لكم فإن الله تبارك وتعالى قال على لسان نبيه ﷺ: سمع الله لمن حمده ...الحديث) (١).

وكذلك ما ثبت ما ثبت عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات ، فقال : (إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه **بصره** من خلقه)(٢).

١٦،١٥/ صفتي الرقيب والشهيد.

ويدل عليهما من الخطب ما ثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: : ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الصلاة ، باب التشهد فِي الصلاة) (٢ / ١٤) برقم: (٤٠٤).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان ، باب فِي قوله عليه السلام إن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) (١ / ١١١) برقم: (١٧٩).

فيهم، فلما توفيتني كنت أنت **الرقيب** عليهم وأنت على كل شيء **شهيد**﴾ فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)(١) .

١٧/ صفة الخبير.

ويدل عليها ما ثبت عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال «.... والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال الله ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم **خبير**﴾»(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب تفسير القرآن ، باب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا) (٦ / ٩٧) برقم: (٤٧٤٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة) (٨ / ١٥٦) برقم: (٢٨٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٥ / ٣٠٩) برقم: (٣٢٧٠) (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، باب ومن سورة الحجرات) وقال "هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر إلا من هذا الوجه عبد الله بن جعفر يضعف ضعفه يحيى بن معين وغيره وعبد الله بن جعفر هو والد علي بن المديني" ا هـ، وعبد الله بن جعفر وإن كان ضعيفاً فقد تابعه موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار به، وموسى بن عبيدة ضعيف أيضاً، فلعل أحدهما يتقوى بالآخر. وللحديث شاهد آخر من حديث أبي هريرة مرفوعا نحوه مثل حديث ابن عمر، دون الخطبة والآية. انظر السلسلة الصحيحة برقم(٢٧٠٠)و(٢٨٠٣).

الباب الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر في خطب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وتحته خمسة فصول:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالملائكة في خطب النبي – ﷺ –.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالكتب في خطب النبي – ﷺ –.

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل في خطب النبي – ﷺ –.

الفصل الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر في خطب النبي – ﷺ –.

الفصل الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالقدر في خطب النبى – ﷺ –.

الفصل الأول: **المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالملائكة في خطب النبي -صلى الله عليه وسلم-**.

وتحته تمهيد: وثلاثة مباحث.

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بأسماء الملائكة.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بوظائف الملائكة.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بتفضيل الملائكة بعضهم على بعض.

تمهيد

لقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين على وجوب الإيمان بالملائكة، وأن ذلك من أركان الإيمان الستة، والتي لا يصح الإيمان بفقد واحد منها، والملائكة عباد من عباد الله لا يحصيهم إلا هو جَلَّ جَلَالُهُ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر: ٣١]، خلقهم الله ﷻ من نور، كما قال النبي ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»(١)، وهم قائمون على عبادته جَلَّ جَلَالُهُ لا يفترون كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الأنبياء: ١٩-٢٠]، وقائمون على تدبير شؤون الكون فيما أمرهم الله به، لا يعصونه طرفة عين، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم: ٦] (٢).

وهم مكلفون، وذوو عقولٍ، ومختارون، ومعصومون من اختيار المعصية، وتواترت نصوص الوحيين، بأنهم موجودون حقيقة، وليسوا خيالاً، كما يزعم الفلاسفة(٣)، ولهم وظائف عدة ذكرها الله جَلَّ جَلَالُهُ في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وهم سفراء الله إلى خلقه.

والإيمان بالملائكة يكون على وجه الإجمال، ويكون على وجه التفصيل، فأما ما يثبت به الإسلام للعبد هو الإيمان الإجمالي، وهو الإيمان بوجودهم وأنهم أعياناً، وليسوا بخيالات،

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الزهد والرقائق، باب فِي أحاديث متفرقة) (٨ / ٢٢٦) برقم: (٢٩٩٦).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٩/١٩٣-١٩٤)، و «إغاثة اللهفان» (٢/١٢٥- ١٣١) ، و «شرح العقيدة الطحاوية»(٢/٤٠٥-٤١٠)، و «شرح الطحاوية»، د/ صالح آل الشيخ(٤٥٦/١)، و «محاضرات في الإيمان بالملائكة»، د/ مُحَمَّد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني، (ص١٦).

(٣) انظر: «الرد على المنطقيين»(ص٤٨٨-٥٠٢).

وأما الإيمان التفصيلي؛ فيتضمن أموراً منها:

١/ الإيمان بأسماء من جاء الشرع بتسميتهم.

٢/ الإيمان بوظائفهم، وأعدادهم الكثيرة.

٣/ الإيمان بأوصافهم كما ورد في الشرع [1].

(١) وللاستزادة في مبحث الملائكة، انظر: «العظمة»، لأبي الشيخ، و «إغاثة اللهفان»، لابن القيم (٢/١٢٥-١٣١)، و «البداية والنهاية»، لابن كثير(١/٨٩-١٢٧)، ، و «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي، على ما فيه من أخبار منكرة، و «عالم الملائكة الأبرار»، د/عمر بن سليمان الأشقر، و «شروحات الطحاوية» عند الكلام على مبحث الملائكة، و «معارج القبول»، لحافظ حكمي(٢/٦٥٦-٦٧١)، و «محاضرات في الإيمان بالملائكة»، د/ أبو سيف الجهني.

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بأسماء الملائكة في خطب النبي ﷺ.

لقد سبق بيان كيفية الإيمان بالملائكة على وجه التفصيل والإجمال، ومن ذلك الإيمان بأسماء من جاءت تسميتهم في الكتاب والسنة، وقد ورد في خطب النبي ﷺ جملة من أسماء الملائكة، فممن وردت أسماؤهم في الخطب:

١/ **(جبريل)**، وذلك فيما رواه أبو قتادة رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺوهو على المنبر، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن ضربت بسيفي في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر حتى أقتل، أيكفر الله عني خطاياي؟ قال: نعم. فلما أدبر دعاه، فقال: هذا جبريل يقول: إلا أن يكون عليك دين) (١)، وجبريل هو أعظم الملائكة وأفضلهم؛ وذلك لأنه موكل بالوحي، والذي به حياة القلوب والأرواح

٢/ ومن أسماء الملائكة التي وردت في الخطب **(مالك، خازن النار)** وذلك فيما رواه يعلى بن أمية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺيقرأ على المنبر: ﴿ونادوا يا مالك﴾(٢)، ومالك اسم خازن النار، فنؤمن بأن أعظم الملائكة جبريل، ونؤمن كذلك بمالك خازن النار، وكل من جاءت تسميتهم في الشرع، وهذا من أوجه الإيمان بالملائكة، وهو الإيمان بأسماء من جاء الشرع بتسميتهم.

وتجدر الإشارة بأن علاقة الملائكة ببني آدم منذ أن كانوا نطفة في الأرحام، وإلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فملك ينفخ فيه الروح جنيناً، ويكتب رزقه وأجله وشقيٌ أو سعيد، وملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، وملك عن يمينه

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين) (٦ / ٣٧) برقم: (١٨٨٥)، والنسائي في "المجتبى" (كتاب الجهاد، باب من قاتل في سبيل الله تعالى وعليه دين) (١ / ٦٢٣) برقم: (٣١٥٨)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء) (٤ / ١١٥) برقم: (٣٢٣٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة) (٣ / ١٣) برقم: (٨٧١).

يكتب الحسنات، وآخر عن شماله يكتب عن سيئات، وملائكة يصعدون بعمل الليل والنهار، وملائكة موكلة برزقه وتدبير أمره، وجبريل موكل بالوحي الذي فيه حياة القلوب، وميكائيل موكلٌ بالقطر الذي به حياة الأرض والأبدان، وملك يحثه على الخير، هذا في حياته، فإذا مات، فملك الموت يتولى قبض روحه، سواء بنفسه أو بأعوانه، وملكان يسألانه في قبره، ثم إذا حشر فإسرافيل ينفخ في الصور، مؤذناً بقيامه من قبره، وملائكة يذودونه عن حوض النبي ﷺ إذا أحدث، وملائكة يجرون جهنم، وآخرون خزنة للجنة، فهي علاقة وطيدة منذ النشأة، وحتى المستقر.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بوظائف الملائكة في خطب النبي ﷺ.

سبق بيان أن الإيمان بالملائكة يتضمن أموراً، منها: الإيمان بوظائفهم التي ثبتت في نصوص الكتاب والسنة، وقد ثبت في خطب النبي ﷺ جملة من هذه الوظائف، منها:

١/ إنزال الوحي، وموكلٌ بها جبريل.

ويدل عليها ما ثبت عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن ضربت بسيفي في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر حتى أقتل، أيكفر الله عني خطاياي؟ قال: نعم. فلما أدبر دعاه، فقال: هذا جبريل يقول: إلا أن يكون عليك دين) (١).

فأخبر النبي ﷺ، وهو على المنبر بأن جبريل ينزل عليه بالوحي، ومن ذلك الوحي: أن الدين مستثنى من الأمور التي يغفرها الله ﷻ لمن قاتل في سبيله، صابراً محتسباً، وجبريل هو سيد الملائكة، ومقدمهم، وهو موكل بالوحي- الذي به حياة القلوب-، وقد خصه الله ﷻ بالذكر بعد ذكره لعموم الملائكة- مع أنه من جملتهم-، وذلك لفضله، وعظم مهمته، فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة البقرة: ٩٨].

٢/ خزانة النار، وموكلٌ بها مالك.

ويدل عليها ما ثبت عن يعلى بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿ونادوا يا مالك﴾(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين) (٦ / ٣٧) برقم: (١٨٨٥)، والنسائي في "المجتبى" (كتاب الجهاد، باب من قاتل في سبيل الله تعالى وعليه دين) (١ / ٦٢٣) برقم: (٣١٥٨)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء) (٤ / ١١٥) برقم: (٣٢٣٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة) (٣ / ١٣) برقم: (٨٧١).

فالحديث فيه ذكر لوظيفة من وظائف الملائكة، وهي خزانة النار الموكل بها (مالك)، وهو اسم لخازن جهنم، وله أعوان يساعدونه.

٣/ قبض الأرواح، وموكلٌ بها ملك الموت.

ويدل عليها ما ثبت عن زيد بن أرقم ﵁[1] قال: قام رسول الله ﷺيوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: (أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما **كتاب الله** فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به – فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)[2].

والحديث فيه وظيفة أخرى من وظائف الملائكة وهي قبض الأرواح عند انتهاء أجلها، والموكل بها ملك الموت، وقد أشار النبي ﷺ إليه بقوله: (رسول ربي)، ولم يثبت في النقل تعيين اسمه.

٤/ ذب المحدِثين عن حوض النبي ﷺ.

ويدل عليها ما ثبت عن أم سلمة ﵦ[3] زوج النبي ﷺأنها قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يوما من ذلك

---

(١) هو أبو عمرو و قيل أبو عامر و قيل أبو عمارة و قيل أبو أنيسة زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي المدني، من مشاهير الصحابة ﵃، توفي سنة٦٦، وقيل ٦٨هـ. انظر: «الإصابة» (٢/٤٨٧)، و «سير أعلام النبلاء» (٣/١٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب؟)

(٧ / ١٢٢) برقم: (٢٤٠٨).

(٣) هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم المخزومية، أم سلمة، أم المؤمنين ﵦ زوج النبي ﷺ، وكان صاحبة عقل وافر، ورأي صائب، وإشارتها على النبي ﷺ يوم الحديبية تدل على ذلك، توفيت ﵦ سنة ٦١هـ. انظر: «الإصابة» (٨/٤٠٤)، و «سير أعلام النبلاء» (٢/٢٠١).

والجارية تمشطني، فسمعت رسول الله ﷺيقول[على المنبر]: (أيها الناس! فقلت للجارية: استأخري عني. قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء! فقلت: إني من الناس. فقال رسول الله ﷺ: إني لكم فرط على الحوض، فإياي لا يأتين أحدكم **فيذب عني** كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك! فأقول: سحقا)(١).

وكذلك ما ثبت عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: (خطب النبي ﷺفقال إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا إنه **يجاء** برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت﴾ إلى قوله ﴿شهيد﴾ فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) (٢).

ففي الحديثين السابقين وظيفة أخرى من وظائف الملائكة، أشار النبي ﷺ لهم بقوله: (فيقال)، (يجاء) وهو مبنيٌ لما لم يسم فاعله، وهم صنف من الملائكة وظيفتهم ذب المحدِثين من أمة النبي ﷺ عن حوضه؛ لما أحدثوه في دين الله، فما يلبث النبي ﷺ إلا ويتبرأ منهم عندما يخبر بإحداثهم، لأنه لا يعلم الغيب ﷺ.

وفيه أيضاً إثبات كلام الملائكة.

٥/ تأييد المؤمنين في قتالهم.

ويدل عليها ما ثبت عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺقال ذات يوم في خطبته (... وإن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ ﷺ وصفاته)

(٧ / ٦٦) برقم: (٢٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: التفسير، باب ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا﴾، ح(٤٤٦٣)، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ح(٢٨٦٠)

قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشا **نبعث خمسة مثله...** »(١).

فقوله ﷺ: (نبعث خمسة مثله) فيه إثبات وظيفة من وظائف الملائكة، وهي تأييد المؤمنين في قتالهم، قال البيضاوي: «نبعث خمسة مثله، أي: نبعث من الملائكة خمسة أمثال بعثتهم، كما فعل يوم بدر»(٢)

٦/ حراسة المدينة وحمايتها من دخول الدجَّال

ويدل عليه ما ثبت من حديث تميم الداري(٣)الطويل في ذكر الدجال، وفيه(.... قال النبي ﷺ: إلى هذا انتهى فرحي، هذه طيبة، والذي نفسي بيده، ما فيها طريق ضيق ولا واسع، ولا سهل ولا جبل، إلا وعليه **ملك شاهر سيفه إلى يوم القيامة**)(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٥).

(٢) «تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة» (٣/٣١٦-٣١٧).

(٣) هو أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة بن سويد بن جذيمة، اللخمي، الفلسطيني، صاحب رسول ﷺ، توفي سنة ٤٠هـ. انظر: «الإصابة» (٤٨٧/١).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه) (٨ / ٢٠٣) برقم: (٢٩٤٢)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج وماجوج) (٥ / ١٩٠) برقم: (٤٠٧٤)، واللفظ له.

وكذلك ما ثبت عن أبي أمامة الباهلي ﷺ في حديث الدجال الطويل أيضاً، وفيه(..... وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا **لقيته الملائكة بالسيوف صلته**(١)..) (٢).

ففي هذين الحديثين إثبات وظيفة من شريف وظائف الملائكة، ألا وهي حراسة المدينة وحمايتها من دخول الدجَّال، وأشار إلى هذه الوظيفة بقوله: (ملك شاهر سيفه إلى يوم القيامة)، وقوله ﷺ: (لقيته الملائكة بالسيوف صلته)

٧/ إجراء السحاب، الذي يتبعه نزول القطر.

عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (أن رسول الله ﷺفي بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس. ثم قام في الناس قال: أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. ثم قال: اللهم **منزل الكتاب ومجري السحاب** وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم) (٣)

فقوله ﷺ: (منزل الكتاب ومجري السحاب) فيه إثبات وظيفتين من وظائف الملائكة، وهما: إنزال الكتاب المشتمل على الوحي، والتي به حياة القلوب والأرواح، وهو موكل به جبريل، والوظيفة الأخرى هي: إجراء السحاب، الذي يتبعه القطر، الذي به

---

(١) صلته: أي مجردة عن غمدها، انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير (٣/٤٥).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الملاحم، باب خروج الدجال) (٤ / ٢٠٠) (بدون ترقيم)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج وماجوج) (٥ / ١٩٧) برقم: (٤٠٧٧)، واللفظ له، والحديث بهذا السياق إسناده ضعيف، لكن لكل فقرة منه ما يشهد لها من الأحاديث الصحيحة، إلا القليل، وقد خرجه موسعاً الشيخ الألباني، وقسمه إلى فقرات ورقمها، وأتى لكل فقرة بما يشهد لها من الأحاديث الصحيحة، وخرج كل شاهد منها، وثمة فقرات يسيرة لم يجد ما يشهد لها، انظر: «قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، على سياق رواية أبي أمامة ﷺ، مضافاً إليه ما صحَّ عن غيره من الصحابة ﷺ»

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو) (٤ / ٦٣) برقم: (٣٠٢٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) (٥ / ١٤٣) برقم: (١٧٤٢)

حياة الأرض والنبات وهو موكلٌ به ميكائيل، ولأهمية هاتين الوظيفتين وعظم شأنهما؛ جاء في النصوص ذكر جبريل، وميكائيل مقترنين، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٩٨].

وكان النبي ﷺ يستفتح قيامه بالليل متوسلاً بربوبية لله ﷻ لجبريل وميكائيل وإسرافيل، فكان يقول: « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل... الحديث»(١).

قال صاحب عون المعبود(٢) : «تخصيص هؤلاء بالإضافة مع أنه تعالى رب كل شيء لتشريفهم وتفضيلهم على غيرهم..... كأنه قدم جبريل لأنه أمين الكتب السماوية، فسائر الأمور الدينية راجعة إليه، وأخر إسرافيل لأنه أمين اللوح المحفوظ والصور، فإليه أمر المعاش والمعاد. ووسط ميكائيل لأنه أخذ بطرف من كل منهما؛ لأنه أمين القطر والنبات ونحوهما مما يتعلق بالأرزاق المقومة للدين والدنيا والآخرة»(٣).

٨/ خزانة الجنة.

ويدل عليها ما ثبت عن أبي هريرة وأبي سعيد- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قالا: خطبنا رسول الله ﷺيوماً فقال: (والذي نفسي بيده، ثلاث مرات، ثم أكب، فأكب كل رجل منا يبكي لا ندري على ماذا حلف، ثم رفع رأسه في وجهه البشرى، فكانت أحب إلينا من حمر النعم، ثم قال: ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة **فقيل له: ادخل بسلام**)(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء فِي صلاة الليل وقيامه) (٢ / ١٨٥) برقم: (٧٧٠).

(٢) هو مُحَمَّد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو الطيب، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي: علامة بالحديث، هندي، من مؤلفاته: (التعليق المغني على سنن الدارقطنيّ) توفي سنة (١٣٢٩هـ).

(٣) (٢/٣٣٤).

(٤) سبق تخريجه.

فقوله ﷺ في الحديث: (فقيل له: ادخل بسلام) فيه إثبات وظيفة شريفة من وظائف الملائكة، وهي خزانة الجنة، وهم القائلون في الحديث: ادخل بسلام، كما جاء ذلك في كتاب الله أيضاً قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [سورة الزمر: ٧٣].

قال البغوي: «يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون: طبتم»[(١)] .

٩/ الصعود بأعمال بني آدم

والدليل عليها ما ثبت عن أبي موسى ﷺ قال (قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، **يُرفع** إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل)[(٢)].

ووجه الدلالة في الحديث على وظائف الملائكة، أن الذين يرفعون عمل الليل والنهار هم صنفٌ من الملائكة الكتبة الذين يتعاقبون في الناس بالليل والنهار، ويصعدون بالأعمال، وقوله ﷺ: (يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار) فيه «مسارعة ملائكة الله الموكلين بأعمال العباد فيما أمروا به وسرعة خروجهم إلى محال الغرض في مصاعد السموات وقدرتهم على رفع الأعمال في أدنى ساعة»[(٣)].

فتبين من الأحاديث السابقة كيف بين النبي ﷺ في خطبه أهم وظائف الملائكة، والتي توجب لمن سمعها، الإيمان بهذه الوظائف لهم، وتوجب كذلك تعظيم الله ﷻ في النفوس؛ لكمال قدرته وحكمته، فتجد المستمع وقد طرقت سمعه تلكم الوظائف–تجده

---

(١) «تفسير البغوي®» (١٣٣/٧).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺإن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور) (١ / ١١١) برقم: (١٧٩).

(٣) ©الميسر في شرح مصابيح السنة»، للتوربشتي (٥٧/١)، وانظر: «الكاشف عن حقائق السنن»، للطيبي (٥٤٩/٢)، و «شرح صحيح مسلم»، للنووي (١٣/٣).

يتسائل: إذا كان الملائكة وهم مخلوقون هذه قدرتهم، وهذه وظائفهم، فكيف بقدرة من خلقهم، وأقدرهم على ذلك، فياله من رب عظيم جليل.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بتفضيل الملائكة بعضهم على بعض في خطب النبي ﷺ.

دلت نصوص الكتاب والسنة على تفاضل الملائكة، وأنهم ليسوا سواءً في الفضل، وهذا الفضل ورد على ضربين: الأول: تفضيل بعض أعيان الملائكة على بعض، والثاني: تفضيل مجموعة من الملائكة يجمعهم وصفٌ واحد على غيرهم.

فمن الأول: تفضيل جبريل وميكائيل على سائر الملائكة؛ حيث خصهما الله ﷻ بالذكر، بعد ذكر الملائكة، مع أنهما من جملة الملائكة، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٩٨].، وجبريل أفضل الملائكة على الإطلاق؛ بسبب تشريفه بأعظم مهمة وأشرفها، وهي تبليغ الوحي؛ والذي به حياة القلوب، ويليه في الفضل ميكائيل؛ لأنه موكلٌ بالقطر والنبات، الذي به حياة الأبدان، ثم إسرافيل وهو موكلٌ بالنفخ في الصور الذي يعقبه حياة الأموات، وقيامهم لرب العالمين(١)؛ ولذلك جمع بينهم النبي ﷺ في دعاء واحد (فكان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)(٢).

والضرب الآخر من التفضيل، تفضيل مجموعة من الملائكة على غيرهم، ومنه تفضيل حملة العرش (الكروبيون) على غيرهم من الملائكة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [سورة غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا

---

(١) وفي المفاضلة بين ميكائيل وإسرافيل خلافٌ، ليس من ورائه ثمرة عملية-والله أعلم-.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ١٨٥) برقم: (٧٧٠) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة

لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة النساء: ١٧٢]

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ -قال ابن عباس في المراد بالملائكة المقربين: «هم حملة العرش»(١).

وقال ابن كثير -رحمه الله-«...ومنهم-أي الملائكة- الكروبيون الذين هم حول العرش، وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش، وهم الملائكة المقربون»(٢) .

وقال صاحب مفاتيح الغيب: «قوله: ﴿ولا الملائكة المقربون﴾ يدل على أن طبقات الملائكة مختلفة في الدرجة والفضيلة فالأكابر منهم مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل(٣)وحملة العرش»(٤).

ومن ذلك أيضاً، تفضيل الملائكة الذين شهدوا غزوة بدر على غيرهم، كتفضيل الصحابة الذين شهدوها على غيرهم، فعن رفاعة بن رافع الزرقي(٥) - وكان من أهل بدر- قال: (جاء جبريل إلى النبي ﷺفقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين. أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة)(٦).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي»(٣١٥/٢)، و «زاد المسير»، لابن الجوزي (٥٠٢/١).

(٢) «البداية والنهاية® (١١٢/١).

(٣) لم يثبت في النقل تسمية ملك الموت بعزرائيل، لكنه مشهور-والله أعلم- انظر ©تفسير ابن كثير® (٣٦٠/٦-٣٦١).

(٤) (٢٧٣/١١).

(٥) هو أبو معاذ رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصارى الزرقى المدنى، صحابيٌ جليل من أهل بدر، توفي سنة ٤١، وقيل ٤٢هـ. انظر. «الإصابة» (٤٠٦/٢)، و «معرفة الصحابة»، لابن منده (ص٦٢٦).

(٦) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ٨٠) برقم: (٣٩٩٢) (كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا).

قال ابن الملقن(١) في التعليق على هذا الحديث-قال: «وفيه: تفاضل الملائكة»(٢).

ومبحث المفاضلة من المباحث الجليلة القدر، العظيمة النفع، والتي ينبغي العناية بها، وضبطها؛ حتى يستقيم للناظر في الأدلة نظره، ويسلم له تفضيله، قال ابن القيم رحمه الله في كلام نفيس له: «فعلى المتكلم في هذا الباب-باب المفاضلة بين الأشياء- أن يعرف أسباب الفضل أولاً، ثم درجاتها، ونسبة بعضها إلى بعض، والموازنة بينها ثانياً، ثم نسبتها إلى من قامت به ثالثاً كثرةً وقوة، ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محله رابعاً، فرُبَّ صفةٍ هي كمال لشخص وليست كمالاً لغيره، بل كمال غيره بسواها، فكمال خالد بن الوليد بشجاعته وحروبه، وكمال ابن عباس بفقهه وعلمه، وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا، فهذه أربع مقامات يضطر إليها المتكلم في درجات التفضيل، وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص، وأبعد من الهوى والغرض.

وههنا نكتة خفية لا يتنبَّه لها إلا من بصَّره الله، وهي أن كثيرا ممن يتكلم في التفضيل يستشعر نسبته وتعلقه بمن يفضله، ولو على بعد، ثم يأخذ في تقريظه وتفضيله، وتكون تلك النسبةُ والتعلُّقُ مهيجةً له على التفضيل والمبالغة فيه، واستقصاء محاسن المفضَّل، والإغضاء عما سواها، ويكون نظرُه في المفضَّل عليه بالعكس.

ومن تأمل كلام أكثر الناس في هذا الباب رأى غالبه غيرَ سالمٍ من هذا، وهذا منافٍ لطريقة العلم والعدل التي لا يقبل الله سواها، ولا يرضي غيرها، ومن هذا تفضيل كثير من أصحاب المذاهب والطرائق وأتباع الشيوخ، كل منهم لمذهبه وطريقته أو

---

(١) هو أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأَنْصَارِي الشافعيّ، ابن النحويّ، المعروف بابن الملقن، عالمٌ بالفقه والحديث، من تصانيفه: التذكرة في علوم الحديث، و الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، توفي سنة٨٠٤هـ. انظر: «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»، للسيوطي (٤٣٨/١)، و«الأعلام» (٥٧/٥).

(٢) «التوضيح شرح الجامع الصحيح» (٧٥/٢١)، وللاستزادة في مبحث المفاضلة بين الملائكة: انظر: «مباحث المفاضلة في العقيدة»، ص(٣٥٠-٣٥٣)، و «محاضرات في الإيمان بالملائكة»، ص(١١٧-١٢١)، كلاهما للدكتور/ أبو سيف الجهني.

شيخه، وكذلك الأنساب والقبائل والمدائن والحرف والصناعات، فإن كان الرجل ممن لا يشك في علمه وورعه، خيف عليه من جهة أخرى وهو أنه يشهد حظه نفعه المتعلق بتلك الجهة، ويغيب عن نفع غيره بسواها؛ لأن نفعه مشاهد له أقرب إليه من علمه بنفع غيره، فيفضل ما كان نفعه وحظه من جهته باعتبار شهوده ذلك وغيبته عن سواه، فهذه نكت جامعة مختصرة إذا تأملها المنصف عظم انتفاعه بها، واستقام له نظره ومناظرته»(١).

ومن الخطب التي قد يُستدل بها على مبحث التفاضل بين الملائكة خطبتين سبق ذكرهما، وهما:

الأول: عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن ضربت بسيفي في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر حتى أقتل، أيكفر الله عني خطاياي؟ قال: نعم. فلما أدبر دعاه، فقال: هذا جبريل يقول: إلا أن يكون عليك دين)(٢).

والشاهد فيه ذكر جبريل، ووجه الدلالة على التفاضل، أنه لما كان الوحي من الله به حياة القلوب؛ كان وظيفة تبليغه، أشرف الوظائف وأعلاها؛ فكان الملك المكلف بتبليغ هذا الوحي إلى الرسل، هو أفضل الملائكة مكانة، وأعلاهم منزلة، وهو جبريل، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: « إنما فُضِّل[جبريل]على الملائكة المشتغلين بالعبادة، بالعلم الذي خُصَّ به، فإنه صاحب الوحي الذي ينزل به على الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -»(٣).

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/١١٠٤-١١٠٦) ، وللاستزادة من مباحث المفاضلة، ينظر: «مباحث المفاضلة في العقيدة» د/ أبو سيف الجهني، فإنه نفيس في بابه.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب من قتل فِي سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين) (٦ / ٣٧) برقم: (١٨٨٥)، والنسائي في "المجتبى" (كتاب الجهاد، باب من قاتل في سبيل الله تعالى وعليه دين) (١ / ٦٢٣) برقم: (٣١٥٨)، واللفظ له.

(٣) «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء» (٣٩/١).

الثاني: عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس. ثم قام في الناس قال: أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. ثم قال: اللهم **منزل الكتاب ومجري السحاب** وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم) (١).

والشاهد فيه توسُّلُ النبي ﷺ في هذا الموطن، بإنزال الله الكتاب، الذي به حياة القلوب والأرواح، وبإجراء السحاب المستحيل قطراً، والذي به حياة الأبدان، ووجه الدلالة فيه، أن المكلف بتبليغ الكتاب المنزل من الملائكة، هو جبريل، والمكلف بالقطر والنبات هو ميكائيل، وهذا يدل على فضلهما على غيرهما من الملائكة؛ لشرف وفضل ما أُسند إليهما من هاتين الوظيفتين اللتين ذُكرتا في هذا التوسُّل–وبالله التوفيق–.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو) (٤ / ٦٣) برقم: (٣٠٢٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) (٥ / ١٤٣) برقم: (١٧٤٢)

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالكتب في خطب النبي ﷺ

وتحته تمهيد: وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بأسماء الكتب المنزلة في خطب النبي –صلى الله عليه وسلم– وكيفية الإيمان بها .

المبحث الثاني: دلالة الإيمان بالكتب على توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بأسماء الكتب المنزلة في خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- وكيفية الإيمان بها.

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأسماء ما ورد من كتب.

المطلب الثاني: الإيمان بأنها من كلام الله.

المطلب الثالث: الإيمان بأن كلام الله يتفاضل وأن أفضله القرآن.

تمهيد

الإيمان له أركان ستة لا يقوم إلا عليها، كما جاء ذلك في حديث جبريل المشهور، عندما سأل النبيَ ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدَر خيره وشره»(١).

ومتى ما اختل واحد من هذه الأركان؛ وقع الخلل في الإيمان كله أصلاً، وفرعاً، لذلك يجب الإيمان بها جميعاً، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥].

ورتب الله الخسارة والضلال البعيد على من كفر بواحدة من هذه الأركان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [سورة النساء: ١٣٦]. قال السعدي: « واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها، لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض»(٢).

ومن هذه الأركان: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله ﷻ على أنبيائه ورسله، بواسطة الوحي لتبليغ ما فيها للعباد؛ حتى تستقيم أمورهم الدينية والدنيوية، وهو الركن الثالث من أركان الإيمان بعد الملائكة، والكتب أشرف من الملائكة؛ لأنها كلام الله، ولكن وجه تقديم الملائكة عليها؛ لأنها هي التي تنزل بالوحي إلى الرسل، قال الملا علي القاري(٣):

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام) (١/ ١٩) برقم: (٥٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان..) (١ / ٢٨) برقم: (٨)، واللفظ له.

(٢) تفسير السعدي» (ص٢٠٩).

(٣) هو علي بن سلطان مُحَمَّد، نور الدين الملّا الهروي القاري: فقيه حنفي، من مصنفاته: شرح مشكاة المصابيح، و شرح مشكلات الموطأ، توفي سنة ١٠١٤هـ. انظر: «الأعلام» (١٢/٥).

«والترتيب بين الثلاثة يكون باعتبار أن الملائكة يأتون بالكتب إلى الرسل، وإلا فالكتب أفضل من الملائكة بالإجماع، فإنها كلام الله من غير نزاع»(١).

والإيمان بالكتب يكون بالإيمان بجميعها دون تفريق، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [سورة البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ [سورة الشورى: ١٥]، قال ابن كثير: « أي: صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم»(٢).

ومن فرق بين شيء منها فآمن ببعض، وكفر ببعض؛ فهو كافر بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠﴾ [سورة النساء: ١٥٠]، والتفريق بين الرسل من لوازمه التفريق بين الكتب التي أنزلت عليهم، والإيمان ببعضها والكفر بالبعض الآخر، قال ابن جرير: «فقال جل ثناؤه لعباده، منبهاً لهم على ضلالتهم وكفرهم: "أولئك هم الكافرون حقا"، يقول: أيها الناس، هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم، هم أهل الكفر بي، المستحقون عذابي والخلود في ناري حقا، فاستيقنوا ذلك، ولا يشككنكم في أمرهم انتحالهم الكذب، ودعواهم أنهم يقرون بما زعموا أنهم به مقرون من الكتب والرسل، فإنهم في دعواهم ما ادعوا من ذلك كذبة، وذلك أن المؤمن بالكتب والرسل، هو المصدق بجميع ما في الكتاب الذي يزعم أنه به مصدق، وبما جاء به الرسول الذي يزعم أنه به مؤمن. فأما من صدق ببعض ذلك وكذب ببعض، فهو لنبوة من كذب ببعض ما جاء به جاحد، ومن جحد نبوة نبي

(١) «شرح الفقه الأكبر» (ص٢٠).

(٢) ©تفسير ابن كثير» (٧/١٩٥-١٩٦).

فهو به مكذب. وهؤلاء الذين جحدوا نبوة بعض الأنبياء، وزعموا أنهم مصدقون ببعض، مكذبون من زعموا أنهم به مؤمنون، لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم، فهم بالله وبرسله الذين يزعمون أنهم بهم مصدقون، والذين يزعمون أنهم بهم مكذبون كافرون، فهم الجاحدون وحدانية الله ونبوة أنبيائه حق الجحود، المكذبون بذلك حق التكذيب»(١)، وكذلك أهل الكتاب الواحد يجب عليهم الإيمان بجميع ما في هذا الكتاب، وعدم التفرقة بينه، قال تعالى في ذم بني إسرائيل بسبب هذه الخصلة الذميمة: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٨٥]، قال ابن القيم: « وفي وقوله: ﴿ويكفرون بما وراءه وهو الحق﴾ نكتة بديعة جداً وهي أنهم لما كفروا به وهو حق لم يكن إيمانهم بما أنزل عليهم لأجل أنه حق فإذا لم يتبعوا الحق فيما أنزل عليهم ولا فيما جاء به مُحَمَّد لأنهم لو آمنوا بالمنزل عليهم أنه حق لآمنوا بالحق الثاني وأعطوا الحق حقه من الإيمان ففي ضمن هذه الشهادة عليهم بأنهم لم يؤمنوا بالحق الأول ولا بالثاني وهكذا الحكم في كل من فرق الحق فآمن ببعضه وكفر ببعضه كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وكمن آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض لم ينفعه إيمانه بما كفر به حتى يؤمن بالجميع، ونظير هذا التفريق من يرد آيات الصفات وأخبارها ويقبل آيات الأوامر والنواهي فإن ذلك لا ينفعه لأنه آمن ببعض الرسالة وكفر ببعض فإن كانت الشبهة التي عرضت لمن كفر ببعض الأنبياء غير نافعة له فالشبهة التي عرضت لمن رد بعض ما جاء به النبي ﷺأولى أن لا تكون نافعة وإن كانت هذه عذرا له فشبهة من كذب بعض الأنبياء مثلها وكما أنه لا يكون مؤمنا حتى يؤمن بجميع الأنبياء ومن كفر بنبي من

(١) «تفسير الطبري» (٩/٣٥٣).

الأنبياء فهو كمن كفر بعضه ورد بجميعهم فكذلك لا يكون مؤمنا حتى يؤمن بجميع ما جاء به الرسول فإذا آمن ببعضه فهو كمن كفر به كله»(١).

والإيمان بالكتب يكون بالإيمان بأسماء ما سمى الله منها، كالقرآن والتوراة والإنجيل، والزبور الذي أوتيه داود، وصحف إبراهيم، وصحف موسى–على قول من قال إنها غير التوراة–، وأما ما لم يسم فالإيمان به يكون على وجه الإجمال.

ومن الإيمان بالكتب الإيمان بأنها مشتملة على كلام الله الذي هو صفة من صفاته غير مخلوق، وأن كل الكتب التي سبقت القرآن قد دخلها التحريف والتبديل في اللفظ والمعنى، ومن الإيمان بها تصديق أخبارها، وطاعة أوامرها، قال شيخ الإسلام: «فإن الكتب تضمنت أصلين: الإخبار والأمر. والإيمان بها لا يتم إلا بتصديقها فيما أخبرت وإيجاب طاعتها فيما أوجبته»(٢).

---

(١) «بدائع الفوائد» (١٤٨/٤-١٤٩).

(٢) «الجواب الصحيح» (٤١١/٢).

المطلب الأول: الإيمان بأسماء ما ورد من كتب.

من الإيمان بالكتب، الإيمان بأسماء ما ورد كالتوراة، والإنجيل، والقرآن، وفي ثنايا خطب النبي ﷺ ذكر لبعض أسماء الكتب التي أنزلها الله ﷻ على أنبيائه، وبيان ذلك:

ما ثبت عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺوهو قائم على المنبر: (إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أعطي أهل التوراة **التوراة**، فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطي أهل الإنجيل **الإنجيل**، فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطيتم **القرآن** فعملتم به حتى غروب الشمس، فأعطيتم قيراطين قيراطين. قال أهل التوراة: ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا؟ قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، فقال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء)(١).

والحديث كما هو ظاهر، واضح الدلالة في تسمية أشهر الكتب السماوية، وهي التوراة وهو الكتاب الذي أنزل على موسى، والإنجيل وهو الكتاب الذي أنزل على عيسى، والقرآن وهو الكتاب الذي أنزل على نبينا مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، وهو خاتم الكتب، وأشرفها، وأعلاها منزلة، محفوظ من التحريف والتبديل، بخلاف الكتب قبله، فقد وكل الله حفظها لأصحابها؛ فوقع فيها التحريف والتبديل لفظاً ومعنىً(٢) .

وتجدر الإشارة أن هناك أحاديث ذكر فيها القرآن منعوتاً ب (كتاب الله)، فأحببت ذكرها لتعلقها بموضوع المطلب، وهي:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة) (٩ / ١٣٨) برقم: (٧٤٦٧).

(٢) وثمة بحث في سبب تسمية كل منها بذلك، واشتقاقها اللغوي، ومعناه، ليس هذا موضعه، وإنما المقصود من الأحاديث بيان أن الخطب مشتملة على ذكر بعض أسماء الكتب السماوية.

١/ حديث عائشة رضي الله عنها في قصة بريرة، واشتراط الولاء لمن باعها بعد بيعها وفيه: (... ثم قام رسول الله ﷺعلى المنبر، فقال: ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في **كتاب الله**، من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فليس له، وإن اشترط مائة شرط)(١).

٢/ وما ثبت عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: (كان رسول الله ﷺإذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه. حتى كأنه منذر جيش، يقول: «صبحكم ومساكم. ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى. ويقول: أما بعد. فإن خير الحديث **كتاب الله**، وخير الهدى هدى مُحَّد. وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، ثم يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه. من ترك مالا فلأهله. ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي)(٢).

٣/ عن أم الحصين رضي الله عنها(٣) أنها سمعت النبي ﷺيخطب في حجة الوداع وهو يقول: (ولو استعمل عليكم عبد يقودكم **بكتاب الله**، فاسمعوا له وأطيعوا)(٤).

٤/ عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺعام تبوك يخطب الناس وهو مسند ظهره إلى راحلته، فقال: (ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس: إن من خير الناس

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الشروط، باب المكاتب وما لا يحل من الشروط) (٣ / ١٩٨) برقم: (٢٧٣٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الزكاة، باب إباحة الهدية للنبي صَلَّى اللَّهُ ﷺ ولبني هاشم) (٣ / ١٢٠) برقم: (١٠٧٥).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة) (٣ / ١١) برقم: (٨٦٧).

(٣) هي أم الحصين بنت إسحاق الأحمسية، صحابية جليلة، شهدت مع النبي ﷺ حجة الوداع. انظر: «الاستيعاب» (١٩٣١/٤).

(٤)أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء فِي غير معصية) (٦ / ١٤) برقم: (١٨٣٨).

رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجرا يقرأ **كتاب الله** لا يرعوي إلى شيء منه)(١).

٥/ حديث زيد بن أرقم في غدير خم وفيه: «.... وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما **كتاب الله** فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به)(٢).

---

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه) (١ / ٦١٢) برقم: (٣١٠٦)، وفي إسناده أبو الخطاب المصري، قال عنه الحافظ: «مجهول»، انظر: «السلسلة الصحيحة»، برقم(٣٣٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه) (٧ / ١٢٢) برقم: (٢٤٠٨).

المطلب الثاني: الإيمان بأنها من كلام الله.

تقرر أن من جملة الإيمان بالكتب، الإيمان بأنها مشتملة على كلام الله الذي هو صفة من صفاته، أي أن الله تكلم بما فيها كلاماً حقيقياً بحرف وصوت، ليس بمخلوق؛ إذ صفات الخالق ليست مخلوقة، وفي الخطب إشارة إلى أن ما في الكتب من كلام الله، ومن ذلك الإشارة في الأحاديث قريبة الذكر في المطلب السابق، ذكر الكتاب مضافاً إلى الله، وهي إضافة صفة إلى موصوف بإجماع من يعتد بإجماعه من أهل السنة والجماعة، ولا عبرة بمخالفة من خالفهم في ذلك من صنوف الجهمية على اختلاف دركاتهم.

والإجماع على تكفير من قال بخلق القرآن منقول عن السلف من الصحابة ومن جاء بعدهم(١) .

قال شيخ الإسلام: « ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود؛ وأن الله تعالى تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على مُحَمَّد ﷺهو كلام الله حقيقة لا كلام غيره؛ ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه بل إذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك في المصاحف: لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً. وهو كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف»(٢).

وقال ابن أبي العز(٣): « فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء. قال تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل

---

(١) انظر في نقل الإجماع عنهم : « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي (٢/٢٥٣-٣٩٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/١٤٤، ١٩٩).

(٣) هو القاضي أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن مُحَمَّد، المعروف بابن أبي العز، الأذرعي الأصل، الدمشقي الصالحي الحنفي، فقيه أصولي، من علماء الحنفية، من مصنفاته: شرح الطحاوية، والتنبيه على مشكلات الهداية، توفي سنة ٧٩٢هـ. انظر: «الأعلام» (٤/٣١٣)، و«الدرر الكامنة» (٤/١٠٣).

إلينا﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ [البقرة: ٢٨٥]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تكلم بها، وأنها نزلت من عنده»(١).

ونقل شيخ الإسلام عن الحافظ أبي نعيم الأصبهاني قوله: «طريقتنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومما اعتقدوه أن الله سبحانه لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول لم يزل عالماً بعلم بصيراً ببصر سميعاً بسمع متكلماً بكلام ثم أحدث الأشياء من غير شيء **وأن القرآن كلام الله، وكذلك سائر كتبه المنزلة كلامه غير مخلوق**، وأن القرآن من جميع الجهات مقروءًا ومتلوًّا ومحفوظًا ومسموعًا ومكتوبًا وملفوظًا كلامُ الله حقيقة لا حكاية ولا ترجمة، وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق وأن الواقفة واللفظية من الجهمية وأن من قَصَدَ القرآن بوجهٍ من الوجوه يريد به خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية وأن الجهمي عندهم كافر»(٢).

وقال الشيخ حافظ حكمي(٣): «ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله ﷻ على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام الله ﷻ لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد»(٤).

ومن الخطب النبوية التي توضح مقصود هذا المطلب، من أن الكتب المنزلة من عند الله- جَلَّوَعَلَا-هي من كلامه:

---

(١)«شرح العقيدة الطحاوية» (٢/٤٢٥)، وانظر: (١/١٩٠) و (٢/٤٣٢) من نفس المصدر.

(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (٥/٦٣-٦٤)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٥/١٩٠).

(٣) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة بطن من (مذحج)، عالمٌ متبحر في فنون عدة على صغر سنه، من مصنفاته: معارج القبول، وأعلام السنة المنشورة، توفي سنة ١٣٧٧هـ. انظر: «الأعلام» (٢/١٥٩).

(٤) «معارج القبول» (٢/٦٧٢)، وانظر: «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» (ص٤٣).

١/ ما ثبت عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺقال ذات يوم في خطبته (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي.... **وأنزلت عليك كتابا** لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان.. الحديث) [١].

٢/كل الأحاديث التي تقدمت في المطلب السابق[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها فِي الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٥)

(٢) ١/ حديث عائشة رضي الله عنها في قصة بريرة، واشتراط الولاء لمن باعها بعد بيعها وفيه: (... ثم قام رسول الله ﷺعلى المنبر، فقال: ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في **كتاب الله**، من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فليس له، وإن اشترط مائة شرط).

٢/ وما ثبت عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: (كان رسول الله ﷺإذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه. حتى كأنه منذر جيش، يقول: «صبحكم ومساكم. ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى. ويقول: أما بعد. فإن خير الحديث **كتاب الله**، وخير الهدى هدى محمد. وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، ثم يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه. من ترك مالا فلأهله. ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي).

٣/ عن أم الحصين رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺيخطب في حجة الوداع وهو يقول: (ولو استعمل عليكم عبد يقودكم **بكتاب الله**، فاسمعوا له وأطيعوا).

٤/ عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺعام تبوك يخطب الناس وهو مسند ظهره إلى راحلته، فقال: (ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس: إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجرا يقرأ **كتاب الله** لا يرعوي إلى شيء منه).

٥/ حديث زيد بن أرقم في غدير خم وفيه: ©.... وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما **كتاب الله** فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به)

والشاهد منها، ذكر الكتب التي أنزلها الله ﷻ من التوراة والإنجيل والقرآن، وكذلك إضافة القرآن لله عز وجل في قوله ﷺ (كتاب الله)، ووجه الدلالة على كونها من كلام الله من جهتين:

الأولى/ إجماع أهل السنة والجماعة على أن هذه الكتب المنزلة هي من كلام الله، تكلم بها حقيقة، وقد سبق بيان ذلك.

الثاني/ إجماعهم أيضاً على أن الإضافة في (كتاب الله)، إضافة صفة إلى موصوف، وليس من باب إضافة الأعيان المنفصلة المخلوقة.

قال ابن القيم: « فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله سبحانه نوعان:

صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها فعلمه وكلامه وإرادته وقدرته وحياته وصفات له غير مخلوقة وكذلك وجهه ويده سبحانه

والثاني إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه»(١).

وقال أيضاً في النونية:

والله أخبر في الكتاب بأنه ... منه ومجرور بمن نوعان

عين ووصف قائم بالعين فا ... لأعيان خلق الخالق الرحمن

والوصف بالمجرور قام لأنه ... أولى به في عرف كل لسان

ونظير ذا أيضاً سواء ما يضا ... ف إليه من صفة ومن أعيان

فإضافة الأوصاف ثابتة لمن ... قامت به كإرادة الرحمن

وإضافة الأعيان ثابتة له ... ملكاً وخلقاً ما هما سيان

فانظر إلى بيت الإله وعلمه ... لما أضيفا كيف يفترقان

---

(١) «الروح» (٢/٤٤٧-٤٤٨)، وانظر: «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (٤/٢٢٠)، و (١٢/٤٣٤-٤٣٥)، و «مختصر الصواعق»، للموصلي (ص٤١٢)، و «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي (٢/٥٦٤)، و «لوامع الأنوار البهية»، للسفاريني (٢/٣٦).

وكلامـــــه كحياتـــــه وكعلمـــــه في ذي الإضـــافة إذ همـــا وصـــفان
لكــــن ناقتـــه وبيـــت إلهنـــا فكعبـــــده أيضــــاً همــــا ذاتان
فـــانظر الى الجهمـــي لمـــا فاتـــه ال حـــق المبـــين وواضـــح البرهـــان
كـــان الجميـــع لديـــه بابا واحـــداً والصـــبح لاح لمـــن لـــه عينـــان
(١).

ومن خلال ما سبق يتبين جلياً اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة في كتب الله ﷻ وأنها من كلامه الذي تكلم به، وأنها غير مخلوقة، ولكن التحريف وقع في جميعها سوى القرآن، فنؤمن في الجملة أن جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، ما علمنا منها ومالم نعلم، هي من كلام الله تكلم بها حقيقة بحرف وصوت، وأنها ليست مخلوقة، وبهذا يتبين بطلان من جعل شيئا من كلام الله مخلوقاً، سواء كان ذلك تصريحاً كالمعتزلة الذين قالوا القرآن مخلوق، أو كان ذلك تلويحاً كالأشاعرة والكلَّابية الذين قالوا بالكلام النفسي، فالأشاعرة قالوا هو عبارة عن كلام الله، والكلَّابية قالوا هو حكاية عن كلام الله(٢) ، وتفصيل كلامهم ليس هذا موضعه، وأختم بنقلين عن الإمامين أحمد والبخاري، في بيان أن كلام الله غير مخلوق:

نقل اللالكائي(٣) بسنده عن أحمد بن الحسن الترمذي(١)

---

(١) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم) » (٥٥/٤).

(٢) والفرق بين (العبارة) و(الحكاية): أن **الحكاية** المماثلة؛ يعني: كان هذا المعنى الذي هو الكلام عندهم حُكي بمرآة؛ كما يحكي الصدى كلام المتكلم، **أما العبارة**؛ فيعني بها أن المتكلم عبر عن كلامه النفسي بحروف وأصوات خلقت. انظر: «شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين» (٩٨/٢).

(٣) هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي، وهو طبري الأصل الحافظ المجود، المفتي الشافعي اللالكائي، من مصنفاته: أسماء رجال الصحيحين، و شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، توفي سنة٤١٨هـ. انظر: «طبقات الشافعيين»، لابن كثير (٣٧٨/١)، و«سير أعلام النبلاء» (٤١٩/١٧).

قال: قلت لأحمد بن حنبل[٢]: « إن الناس قد وقعوا في أمر القرآن، فكيف أقول؟ قال: أليس أنت مخلوقا؟ قلت: نعم. قال: فكلامك منك مخلوق. قلت: نعم. قال: أوليس القرآن من كلام الله؟ قلت: نعم. قال: وكلام الله؟ قلت: نعم. قال: فيكون من الله شيء مخلوق؟ »[٣].

قال الإمام البخاري[٤] في صحيحه: « باب: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سورة سبأ: ٢٣]، ولم يقل: ماذا خلق ربكم»[٥].

(١) هو أبو الحسن أحمد بن الحسن بن جنيدب الترمذى، الثقة الحافظ صاحب الإمام أحمد، كان بصيراً بالعلل والرجال، توفي سنة ٢٥٠هـ تقريباً. انظر: «تهذيب الكمال» (٢٩٠/١)، و«سير أعلام النبلاء» (١٥٦/١٢).

(٢) هو أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى، المروزى ثم البغدادى، الإمام الحافظ الفقيه الحجة، إمام أهل السنة، صاحب المحنة المشهورة، قال فيه الدورقي: «من سمعتموه يذكر أحمد بسوء فاتهموه على الإسلام»، توفي سنة ٢٤١هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧٧/١١)، و«طبقات الحنابلة» (٥٠/١).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢٩١/٢) برقم (٤٥١).

(٤) هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفى مولاهم، صاحب الصحيح والتصانيف، جبل الحفظ و إمام الدنيا في فقه الحديث، توفي سنة٢٥٦هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣٩١/١٢)، و«تذكرة الحفاظ» (١٠٤/٢)

(٥) «صحيح البخاري» (١٤١/٩)، وانظر: «الرد على الجهمية والزنادقة»، للإمام أحمد، ص(٢٩)، وقال الشيخ البراك في تعليقه على المخالفات العقدية في فتح الباري، في التعليق على ترجمة الإمام البخاري (٤٥٣/١٣) قال: «وفي ذلك رد على من قال: إن كلام الله مخلوق».

المطلب الثالث: الإيمان بأن كلام الله يتفاضل وأن أفضله القرآن.

سبق بيان أن الكتب التي أنزلها الله ﷻ على أنبياءه ورسله، هي من كلامه الذي تكلم به، وليست مفتراة من لدن نبي مرسل، ولا ملك مقرب، والذي عليه جمهور السلف والأئمة أن كلامه ﷻ يتفاضل، ومن الأدلة على أن كلام الله- **جَلَّ وَعَلَا**- يتفاضل، قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة البقرة: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الزمر: ٥٥].

وقول النبي ﷺ عن سورة الإخلاص: (والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن)(١).

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ﷺ (يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ قال: فضرب في صدري، وقال: والله لِيَهْنِكَ(٢) العلمُ، أبا المنذر)(٣).

فالحديث «فيه حجة للقول بتفضيل بعض القرآن على بعض، وتفضيل القرآن على سائر كتب الله»(٤).

قال شيخ الإسلام: «والسلف والجمهور على أن **بعض كلامه أفضل من بعض،** وبعض صفاته أفضل من بعض، مع كونها كلها كاملة لا نقص فيها، كما دلت على

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد) (٦ / ١٨٩) برقم: (٥٠١٣).

(٢) ليهنك العلم، أي: ليكن العلم هنيئاً لك. انظر: «الكاشف عن حقائق السنن»، للطيبي (١٦٤٤/٥).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي) (٢/ ١٩٩) برقم: (٨١٠).

(٤) انظر: «إكمال المعلم»، للقاضي عياض (١٧٨/٣)، و «فتح الباري»، لابن حجر (١٥٨/٨).

ذلك نصوص الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة البقرة:١٠٦].

، وكقوله ﷺحاكياً عن ربه: [إن رحمتي تغلب غضبي] وفي لفظ: [سبقت غضبي].

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص:١]. تعدل ثلث القرآن.

وقوله في فاتحة الكتاب: لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها.

فنفى أن يكون لها مثل.

وقوله عن آية الكرسي أنها أعظم آية في القرآن»(١).

والقرآن أفضل الكتب السماوية على الإطلاق.

قال ابن رجب رحمه الله: « وقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [سورة آل عمران:١٦٤]. يعني يتلو عليهم ما أنزله الله عليه من آياته المتلوة وهو **القرآن وهو أعظم الكتب السماوية** وقد تضمن من العلوم والحكم والمواعظ والقصص والترغيب والترهيب وذكر أخبار من سبق وأخبار ما يأتي من البعث والنشور والجنة والنار ما لم يشتمل عليه كتاب غيره حتى قال بعض العلماء لو أن هذا الكتاب وجد مكتوباً في مصحف في فلاة من الأرض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة أنه منزل من عند الله وأن البشر لا قدرة لهم على تأليف ذلك فكيف إذا جاء على يدي أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقال إنه كلام الله وتحدى الخلق كلهم أن يأتوا بسورة مثله، فعجزوا.

فكيف يبقى مع هذا شكٌّ فيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ [سورة البقرة:٢].

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ﴾ [سورة العنكبوت:٥١].

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١٢/٧-١٤)، و (٢٧٢/٧)، حيث يقول: «والصواب الذي عليه جمهور السلف والأئمة: إن بعض كلام الله أفضل من بعض، كما دل على ذلك الشرع والعقل».

فلو لم يكن لمحمد ﷺ من المعجزات الدالة على صدقه غير هذا الكتاب لكفاه، فكيف وله من المعجزات الأرضية والسماوية مالا يحصى»(١).

وقد تكفل الله ﷻ بحفظه دون سائر الكتب، ولولا فضل الله ﷻ بذلك لأصابه من التبديل والتحريف ما أصاب سابقه، قال ابن القيم: « ولولا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تولى حفظ القرآن بذاته وضمن للأمة أن لا تجتمع على ضلالة – لأصابه ما أصاب الكتب قبله، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾»(٢)

وجعله خاتم الكتب المنزلة، مصدقاً لها ومهيمناً عليها، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

قال الطبري رحمه الله: « ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يقول: " أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التي أنزلها إلى أنبيائه ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ يقول: " أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد مصدقا للكتب قبله، وشهيدا عليها أنها حق من عند الله، أمينا عليها، حافظاً لها»(٣).

ولأنه سالم من التحريف والتبديل؛ كان النجاة والعصمة في التمسك به، والهلاك والضلال في الإعراض عنه.

قال ابن أبي العز رحمه الله: « وسبب الإضلال الإعراض عن تدبر كلام الله وكلام رسوله، والاشتغال بكلام اليونان والآراء المختلفة»(٤).

---

(١) «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف»، لابن رجب (ص٨٤).

(٢) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» (٣١٥/١).

(٣) «تفسير الطبري» (٣٧٧/١٠)، وانظر: «تفسير السعدي» (ص٢٣٤).

(٤) «شرح الطحاوية» (٢٤٢/١).

ومن أوجه تفضيله على الكتب السماوية الأخرى، أن فيه ذكر لأسماء الله وصفاته وأفعاله وقدرته وعظمته وكبرياؤه وجلاله ووعده ووعيده، مالم يذكر في الكتب الأخرى [(١)].

ولما كان القرآن بهذه المثابة والمكانة من بين سائر الكتب، كان الإيمان به فيه قدر زائد على الإيمان ببقية الكتب.

قال ابن أبي العز الحنفي: «وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب»[(٢)].

ومن الخطب النبوية الدالة على أن كلام الله يتفاضل وأن أفضله القرآن، ما يلي:

١/ حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺقال ذات يوم في خطبته (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي.... **وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان**.. الحديث) [(٣)].

والشاهد منه في قوله (كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان)، ووجه الدلالة فيه أن الله ﷻ ذكر منته على النبي ﷺ بإنزال هذا الكتاب المبارك، والذي هو من كلامه ﷻ، ومما يتميز به عن سائر الكتب أنه محفوظ في الصدور حتى وإن محي بالماء من على السطور، وكذلك هو ميسر للحفظ بحيث إن الواحد يقرؤه في حال يقظته، وفي حال نومه.

قال القرطبي: « و قوله: (وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء) أي: يسرت تلاوته وحفظه، فخف على الألسنة، ووعته القلوب، فلو غسلت المصاحف لما انغسل من الصدور، ولما ذهب من الوجود، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⁽⁹⁾ ﴾ [سورة الحجر:٩].

---

(١) انظر: «نزهة الأسماع في مسألة السماع» لابن رجب الحنبلي(ص٨٨).

(٢) «شرح الطحاوية» (٢/٤٢٥).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٥)

وقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [سورة القمر:١٧].

، وفي الإسرائيليات: أن موسى – عليه السلام – قال: يا رب إني أجد أمة تكون أناجيلها في صدورها فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة مُحَمَّد.

وقوله: (تقرؤه نائما ويقظان) يحتمل أن يريد بذلك: أنه يوحى إليه القرآن في اليقظة والمنام، وقد تقدَّم أن رؤيا الأنبياء وحي. ويحتمل أن يكون معنى نائم هنا: مضطجعاً، يعني في صلاة المريض، قالهما القاضي، وفيهما بعد، وأشبه منهما – إن شاء الله – أن الله يسره على لسان نبيه، وذكره، بحيث كان يقرؤه نائما كما كان يقرؤه منتبها. لا يخل منه بحرف، لا سيما وقد كان ﷺتنام عيناه ولا ينام قلبه. وقد شاهدنا المديمين على تكرار القرآن يقرؤون منه الكثير وهم نيام، وذلك قبل استحكام غلبة النوم عليهم »(١).

قال النووي: « أما قوله تعالى: (لا يغسله الماء) فمعناه: محفوظ في الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مر الأزمان. وأما قوله تعالى: (تقرؤه نائما ويقظان) فقال العلماء: معناه يكون محفوظا لك في حالتي النوم واليقظة، وقيل: تقرؤه في يسر وسهولة»(٢).

٢/ وكذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺوهو قائم على المنبر: (إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أعطي أهل التوراة التوراة، فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس،

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١٥٨/٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم» (١٩٨/١٧).

فأعطيتم قيراطين قيراطين. قال أهل التوراة: ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا؟ قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، فقال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء)(١).

والشاهد من الحديث في قوله ﷺ (ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس، فأعطيتم قيراطين قيراطين)، ووجه الدلالة منه على تفاضل كلام الله، وعلى فضل القرآن على غيره من كلام الله، أن الله ﷻ ذكر منته على اليهود والنصارى والمسلمين بإنزال وحيه إليهم؛ لتصلح بذلك أمور دينهم ودنياهم، فأعطى اليهود التوراة، والنصارى الإنجيل، والمسلمين القرآن، وكلها من كلامه ﷻ، ولكنه رتب على العمل بالقرآن أعظم مما رتبه على العمل بالتوراة والإنجيل بالنسبة لأهلها، ففضيلة هذه الأمة على غيرها ممن سبقها؛ إنما كانت لفضل كتابه على سائر الكتب، والقرآن من كلامه وسائر كتبه من كلامه، فدل ذلك على فضل القرآن على غيره من الكتب، وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه لهذا الحديث بقوله: (باب فضل القرآن على سائر الكلام).

قال ابن حجر، في التعليق على هذا الحديث: « ومناسبة الحديث.. من جهة ثبوت فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم وثبوت الفضل لها بما ثبت من فضل كتابها الذي أمرت بالعمل به»(٢).

وبهذا يتبين لنا وجه دلالة خطب النبي ﷺ على إثبات التفاضل في كلام الله ﷻ، وأن أفضله القرآن؛ ولذلك« يجب على كل مسلم أن يتدبر القرآن، ويهتدي به بحسب طاقته، وأنه لا يجوز لمسلم قط أن يهجره ويعرض عنه، ولا أن يؤثر على ما يفهمه من هدايته كلام أحد من الناس لا مجتهدين ولا مقلدين، فإنه لا حياة للمسلم في دينه إلا بالقرآن، ولا يوجد كتاب لإمام مجتهد، ولا لمصنف مقلد، يغني عن تدبر كتاب الله في

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام) (٦ / ١٩١) برقم: (٥٠٢١).

(٢) «فتح الباري» (٦٧/٩) بتصرف يسير جداً، وانظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»(٣٩/٢٠)، لبدر الدين العيني.

إشعار القلوب عظمة الله – تعالى – وخشيته وحبه والرجاء في رحمته والخوف من عقابه، ولا في تهذيب الأخلاق وتزكية الأنفس وتنزيهها عن الشرور والمفاسد، وتشويقها إلى الخيرات والمصالح، ورفعها عن سفاسف الأمور إلى معاليها، ولا في الاعتبار بآيات الله في الآفاق، وسننه في سير الاجتماع البشري وطبائع المخلوقات، ولا في غير ذلك من ضروب الهداية **التي امتاز بها على سائر الكتب الإلهية،** فكيف تغني عنه فيها المصنفات البشرية؟! »(١).

(١) «تفسير المنار»، لمحمد رشيد رضا (٢٤١/٥).

المبحث الثاني: دلالة الإيمان بالكتب على توحيد الأسماء والصفات.

سبق بيان أن أركان الإيمان متلازمة، يستلزم بعضها بعضاً، ويدل بعضها على بعض، فكل ركن منها ليس أجنبياً عن الآخر، فمن آمن بها إلا ركناً واحداً، كان كفرانه بهذا الركن نقضاً لأصل إيمانه بالبقية، فمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر، وكذب باليوم الآخر؛ كان تكذيبه باليوم الآخر، نقضاً لإيمانه بسواه، وهكذا.

وفي هذا المبحث بيان كيف دلَّ الإيمان بالكتب على توحيد الأسماء والصفات.

قال ابن رجب رحمه الله: «والقرآن تذكر فيه أسماء الله وصفاته وأفعاله وقدرته وعظمته وكبرياؤه وجلاله ووعده ووعيده»(١).

وبيان ذلك من أوجه، منها:

أولاً / من جهة حقيقة الكتب السماوية.

ثانياً / من جهة إنزالها.

ثالثاً / من جهة ما تضمنته.

فدلالة الإيمان بالكتب على توحيد الأسماء والصفات من خلال حقيقة هذه الكتب؛ أن هذه الكتب من كلام الله؛ فدلت على صفة الكلام لله جل جلاله، وعلى صفة المشيئة؛ إذ تكلم الله بها بمشيئته جل جلاله.

ومن جهة إنزالها من الله جل جلاله على أنبيائه ورسوله، والنزول لا يكون إلا من فوق؛ فدلَّ ذلك على إثبات صفة العلو الله جل جلاله، ودلّ أيضاً على إثبات صفة القدرة له جل جلاله،

---

(١)«نزهة الأسماع في مسالة السماع» (ص٨٨).

وذلك أن جبريل هو الذي نزل بها، فهو الموكل بالوحي، وجبريل ثبت في الحديث أن خلقه عظيم، وأن له ستمائة جناح(١).

فعظم هذا الخلق يدل على عظم من خلقه وقدرته.

ومن جهة ماتضمنته الكتب، فالقرآن مثلاً مشتمل على صفات الجلال، ونعوت الجمال لله ﷻ؛ مما يجعل العبد يحب ربه بجميع صفاته، فيكون محباً له؛ لأنه متصف بكل صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، والقرآن دلَّ على هذا جملة وتفصيلاً، فيرجوه بصفات الرحمة، ويكون مجلّاً له خائفاً منه بصفات العظمة والجلال، ويحبه لذاته ﷻ بصفات الجمال.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الحشر: ٢٢-٢٤].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب تفسير القرآن، باب لقد رأى من آيات ربه الكبرى) (٦ / ١٤١) برقم: (٤٨٥٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى) (١ / ١٠٩) برقم: (١٧٤)، من حديث ابن مسعود ﷺ ابن مسعود (أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح).

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل في خطب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وتحته تمهيد و خمسة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بأسماء الرسل في خطب النبي – ﷺ –.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بوظيفة الرسل في خطب النبي – ﷺ –.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالآيات التي أيد الله بها رسله.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بتفضيل الرسل بعضهم على بعض في خطب النبي – ﷺ –.

تمهيد

الإيمان بالرسل أحد دعائم الدين، وركائزه الستة التي يقوم عليها، كما جاء ذلك في حديث جبريل المشهور، عندما سأل النبيَ ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدَر خيره وشره»(١).

والرسل، جمع رسول، وأصلها (رسل) (والراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد، والرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه؛ أخذ من قولهم: جاءت الإبل رسلا، أي: متتابعة، وهو أيضاً من الإرسال، أي: التوجيه)(٢)، فالرسول، مبعث وموجه من الله ﷻ لتبليغ رسالة معينة، فإن كان قومه موافقين، سُمي نبياً، وإن كانوا مخالفين، سُمي رسولاً(٣).

والإيمان بالرسل مستلزم للإيمان بسائر الأركان، والخلل في الإيمان بهم يستلزم الخلل في الإيمان بجميع الأركان، قال ابن رجب رحمه الله: « والإيمان بالرسل يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به من الملائكة، والأنبياء، والكتاب، والبعث، والقدر، وغير ذلك من تفاصيل ما أخبروا به من صفات الله تعالى وصفات اليوم الآخر، كالميزان والصراط، والجنة، والنار، وقد أدخل في هذه الآيات الإيمان بالقدر خيره وشره»(٤).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «توحيد الله والإيمان برسله واليوم الآخر هي أمور متلازمة مع العمل الصالح، فأهل هذا الإيمان والعمل الصالح: هم أهل السعادة من الأولين

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام) (١ / ١٩) برقم: (٥٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان..) (١ / ٢٨) برقم: (٨)، واللفظ له.

(٢) انظر «تهذيب اللغة»، للأزهري (٢٧٢/١٢)، و «مقاييس اللغة»، لابن فارس(٣٩٢/٢)، و «القاموس المحيط»، للفيروزآبادي، ص١٠٠٦.

(٣) انظر: «النبوات»، لابن تيمية(٧١٧/٢-٧١٩)، و «المسائل العقدية المتعلقة بآدم»، لألطاف الرحمن بن ثناء الله (١٢٠٢/٣-١٢١٧).

(٤) «جامع العلوم والحكم» (١٠٥/١).

والآخرين والخارجون عن هذا الإيمان: مشركون أشقياء. فكل من كذب الرسل فلن يكون إلا مشركا، وكل مشرك مكذب للرسل، وكل مشرك وكافر بالرسل، فهو كافر باليوم الآخر، وكل من كفر باليوم الآخر فهو كافر بالرسل وهو مشرك...... فعُلم أن مخالفة الرسل وترك الإيمان بالآخرة متلازمان»(١)، وقال رحمه الله: « والإيمان بالرسل يتضمن الإيمان بالمكتوب وبمن نزل بها من الملائكة»(٢).

وإرسالهم من أعظم نعم الله على خلقه (٣)؛ إذ إن سعادتهم معلقة بمعرفة معبودهم، وفاطرهم، ولما كانت عقولهم قاصرة، عن الاستقلال بهذه المعرفة؛ كانوا أحوج ما يكون إلى رسالة الرسل، الذين جاؤوا معرفين بالله، داعين إلى عبادته وحده، قال ابن القيم رحمه الله: « لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا لذة ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون أحبَّ إليها مما سواه، ويكون سعيها في ما يقربها إليه ويدنيها من مرضاته، ومن المحال أن تستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ومن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ إذ على هذه المعرفة تنبني مطالب الرسالة جميعها»(٤).

والإيمان بالرسل عند أهل الحق لا يقتضي الغلو فيهم، بل إنزالهم منازلهم، من غير جفاءٍ، ولا غلو؛ ولذلك فإن أسعد الناس إيماناً بهم هم الأمة المحمدية؛ إذ لم يغلوا فيهم، ولم يجفوهم، بل أنزلوهم حيث أنزلهم الله جل جلاله، قال ابن القيم رحمه الله: «وقد جعل الله هذه

---

(١) و «مجموع الفتاوى» (٩/٣٢-٣٣) و (١٨/٥٦)، وانظر: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ص٤٠، وانظر: «الاستغاثة في الرد على البكري» ص ٢٦٩.

(٢) «شرح العقيدة الأصفهانية» ص٢١١.

(٣) انظر: «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز(١/١٥٦).

(٤) «الصواعق المرسلة» (١/١٥٠)، وانظر: «مختصر الصواعق» ص١٥.

الأمة هي الأمة الوسط في جميع أبواب الدين، فإذا انحرف غيرها من الأمم إلى أحد الطرفين كانت هي في الوسط... فكانت وسطا في باب الإيمان بالرسل بين من عبدهم و شركهم بالله، كالنصارى، وبين من قتلهم وكذبهم، فآمنوا بهم وصدقوهم ونزلوهم، منازلهم من العبودية »(١).

والإيمان بالرسل يكون بهم جميعاً، لا يُفرَّق بين أحد منهم، قال تعالى:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [سورة البقرة: ١٣٦].

، وقال ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]، فمن كفر بنبيٍّ واحد، كفر بجميع الأنبياء، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾ [سورة الشعراء: ١٠٥]

حكم الله ﷻ عليهم بتكذيب جميع المرسلين-مع أن نوحاً هو أول المرسلين-؛ لأن المرسلين دعوتهم واحدة، وهي الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥].

، فكان تكذيبهم لنوح، تكذيباً لجميع المرسلين؛ لأن ما جاء به نوحٌ هو عين ما جاء به المرسلون، « قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد أرأيت قوله: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ و ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ و ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ وإنما أُرسل إليهم رسول واحد؟ قال: إن الآخر جاء بما جاء الأول، فإذا كذبوا واحداً، فقد كذبوا الرسل

(١) «مفتاح دار السعادة» (١٥١٢/٣).

أجمعين»(١)، وقال شيخ الإسلام: «الإيمان بالرسل يجب أن يكون جامعا عاما مؤتلفاً، لا تفريق فيه ولا تبعيض ولا اختلاف، بأن يؤمن بجميع الرسل وبجميع ما أنزل إليهم، فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض، أو آمن ببعض ما أنزل الله وكفر ببعض؛ فهو كافر»(٢)؛ ولذلك أُمرنا بعدم تكذيب أهل الكتاب أو تصديقهم، فيما أخبرونا به- مما لم يرد في شرعنا نفيه أو إثباته-، فعدم التصديق؛ لاحتمال أن يكون مما أنزل عليهم، وعدم التكذيب؛ لاحتمال أن يكون مما كذبوا فيه وحرّفوا، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « فقال النبي - ﷺ-: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم)(٣) ، وفي لفظ: (فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)، وإنما أمر النبي ﷺ بهذا لأنا قد أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم، وقد أخبر الله أنهم يكذبون ويحرفون، فما حدثوا به إذا لم نعلم صدقهم فيه ولا كذبهم؛ لم نكذبه لجواز أن يكون مما أنزل، ولم نصدقه لجواز أن يكون مما كذبوه»(٤).

والإيمان بالرسل يكون بالإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم.

---

(١) انظر: «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، للبغوي (٦/١٢٠-١٢١)، وانظر: «فتح القدير» (٤/١٢٦)، و «تفسير السعدي» ص٥٩٤.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٢/١١).

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" (٧ / ٣٨٣١) برقم: (١٧٤٩٨) (مسند الشاميين ﷺ ، حديث أبي نملة الأنصاري ﷺ) ، أبو داود في "سننه" (٣ / ٣٥٥) برقم: (٣٦٤٤) (كتاب العلم ، باب رواية حديث أهل الكتاب)

(٤) «الاستغاثة في الرد على البكري» ص٣٢٣.

فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص، وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانا لا يسع أحدا ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل له خلافه (١).

وفيما يلي عرض لأهم مباحث الرسل كما جاءت في خطب النبي ﷺ (٢)

(١) انظر: «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز(٢/٤٢٣).

(٢) وللاستزادة في مبحث الرسل، ينظر: «النبوات»، لشيخ الإسلام، و «شروحات الطحاوية»، لاسيما شرح ابن أبي العز، عند الكلام على مبحث الإيمان بالرسل، و «شروحات العقيدة السفارينية» عند قول الناظم: ومن عظيم منة السلام... ولطفه بسائر الأنام، إلى قوله: وجائز في حق كل الرسل... النوم والنكاح مثل الأكل، ولا سيما شرح ناظمها «لوامع الأنوار البهية» (٢/٢٥٧-٣١٠) و «الرسل والرسالات»، لعمر سليمان الأشقر.

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بأسماء الرسل في خطب النبيﷺ.

سبق بيان أن من الإيمان بالرسل، الإيمان بأسماء ما ورد من أسمائهم، ومن النقل الذي وردت فيه بعض أسماء الرسل: خطب النبي ﷺ، فقد تضمنت ذكر بعض الأنبياء والرسل بأسمائهم، وهم: (آدم، وإبراهيم، وعيسى، ومُحَّد) عليهم الصلاة والسلام، وبيان الخطب التي وردت فيها أسماؤهم كما يلي:

١/ عن ابن عمر رضي الله عنهما (أن رسول الله ﷺخطب الناس يوم فتح مكة فقال يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلاًن بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو **آدم** وخلق الله **آدم** من تراب قال الله ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾) [(١)].

٢/ وعن ابن عباس ﷺ قال: (خطب النبي ﷺفقال إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ ثم إن أول من يكسى يوم القيامة **إبراهيم،** ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال **العبد الصالح** ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت﴾ إلى قوله ﴿شهيد﴾ فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) [(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة الحجرات) برقم(٣٢٧٠) وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر إلا من هذا الوجه عبد الله بن جعفر يضعف ضعفه يحيى بن معين وغيره وعبد الله بن جعفر هو والد علي بن المديني". ا هـ، وعبد الله بن جعفر وإن كان ضعيفاً فقد تابعه موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار به، وموسى بن عبيدة ضعيف أيضاً، فلعل أحدهما يتقوى بالآخر. وللحديث شاهد آخر من حديث أبي هريرة مرفوعا نحوه مثل حديث ابن عمر، دون الخطبة والآية. انظر السلسلة الصحيحة برقم(٢٧٠٠)و (٢٨٠٣).

(٢) أخرجه البخاري كتاب: التفسير، باب ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا﴾، ح(٤٤٦٣)، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ح(٢٨٦٠)

والعبد الصالح هو عيسى عليه السلام.

٣/ وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه(١) أن رسول الله ﷺ خطب فقال: (أيما رجل من أمتي سببته سبة أو لعنته لعنة في غضبي، فإنما أنا من ولد **آدم** أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة)(٢).

٤/ حديث عائشة رضي الله عنها في الخسوف، وفيه أن النبي ﷺ قال: (... يا أمة **محمد**، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته، يا أمة **محمد**، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) (٣).

٥/ حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه الطويل في ذكر الدجال، وفيه أن النبي ﷺ قال: (.. وإن من فتنته أن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستغيث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على **إبراهيم**.... فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم **عيسى بن مريم** الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري ليتقدم عيسى يصلي بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء

---

(١) هو أبو عبدالله انتسب للإسلام فكان يقال له ابن الإسلام، ويقال له سلمان الخير، صحابيٌّ جليل، سابق الفرس إلى الإسلام، كان يبحث عن الدين الحق حتى هداه الله للإسلام، وقصة إسلامه معروفة، توفي سنة ٣٦هـ. انظر: «تاريخ أصبهان» (٧٤/١)، و«معرفة الصحابة» (١٣٢٧/٣).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ) (٤ / ٣٤٧) برقم: (٤٦٥٩)، والحديث له شواهد كثيرة عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي أمامة الباهلي، وعائشة وغيرهم، مخرجة في الصحاح والسنن والمعاجم، والحديث صحيح، صححه الألباني في: «السلسلة الصحيحة» (٣٥٣/٤) برقم(١٧٥٨).

(٣)أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الكسوف، باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته) (٢ / ٣٨) برقم: (١٠٥٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب صلاة الاستسقاء، باب صلاة الكسوف) (٣ / ٢٧) برقم: (٩٠١).

وينطلق هاربا ويقول **عيسى** عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فأنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله قال رسول الله ﷺ وإن أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي فقيل له يا رسول الله كيف نصلي في تلك الأيام القصار قال تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ثم صلوا قال رسول الله ﷺ فيكون **عيسى بن مريم** عليه السلام في أمتي حكما عدلاً وإماماً مقسطاً يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير..) الحديث(١).

وكلها واضحة بيّنة في الدلالة على المقصود، ويتحصل من مجموع الأحاديث السابقة، أن الأنبياء الذين ورد ذكر أسمائهم في خطب النبي ﷺ، هم: مُحَّد، وإبراهيم، وآدم، وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) سبق تخريجه.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بوظيفة الرسل في خطب النبي ﷺ.

قامت الرسل عليهم الصلاة والسلام بتبليغ رسالة ربهم، على أكمل وجه، وأتم بيان؛ فكانت وظيفتهم هي الدعوة إلى الله ﷻ بالبشارة بالثواب الجزيل لمن أطاعه، والنذارة بالعذاب الأليم لمن عصاه، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ٤٨-٤٩].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: « ثم إنَّ الله تعالى خلق الخلق لأجل معرفته، وليأمرهم بعبادته، ولا سعادة لأحد في الدُّنْيَا والآخرة إلا بمعرفة الله - ﷻ - وعبادته وحده لا شريك له، ولذلك أرسل الله الرسل، مبشرين ومنذرين، يبشرون بالجنة من آمن وعمل صالحاً، وينذرون بالنار من كفر وعصى»(١)، وقال مُحَمَّد رشيد رضا رحمه الله(٢): « وظيفة الرسل الأساسية، هي ما بعثهم الله لأجله من تبليغ رسالته بإنذار من تولى عن الإيمان وعصى، وتبشير من أجاب الدعوة فآمن واهتدى»(٣).

وكانت دعوتهم إلى أصول الديانة كالتوحيد، والإيمان بالقدر، واليوم الآخر- كانت دعوتهم في ذلك واحدة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥]، وعن أبي هريرة

---

(١)انظر: «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، مقدمة تشتمل على أن جميع الأنبياء كان دينهم الإسلام» (٢/٥٥٥)، و «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، البشارة العظمى للمؤمن بأن حظه من النار الحمى»(٢/٣٧٢)، بتصرف يسير وتلفيق.

(٢) هو مُحَمَّد رشيد بن علي رضا بن مُحَمَّد شمس الدين بن مُحَمَّد بَهاء الدين القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، مفسرٌ وأديب، من أشهر مؤلفاته تفسير المنار، توفي سنة ١٣٥٤هـ. انظر: «الأعلام» (٦/١٢٦)، و «معجم المفسرين»، لعادل نويهض (٢/٥٢٩)

(٣) «تفسير المنار» (١٢/١٧١).

ﷺ أن النبي ﷺ قال: (الأنبياء إخوة لعلات: أمهاتهم شتى، ودينهم واحد)(١)، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

« ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع »(٢)، وكانت دعوتهم للتوحيد، وإفراد الله بالعبادة، هي أعظم ما دعوا الناس إليه؛ لأن الله جل جلاله ما خلق الدنيا والآخرة وما فيهما إلا من أجل هذه الغاية العظيمة، قال ابن رجب رحمه الله مبيناً جلالة وظيفتهم، وشريف مهمتهم-قال: « قوله - ﷺ-: (حتى يعبد الله وحده لا شريك له) هذا هو المقصود الأعظم من بعثته - ﷺ-، بل من بعثة الرسل من قبله كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ بل هذا هو المقصود من خلق الخلق وإيجادهم كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فما خلقهم إلا ليأمرهم بعبادته، وأخذ عليهم العهد لما استخرجهم من صلب آدم على ذلك كما قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم... ﴾ الآية.

وقد تكاثرت الأحاديث المرفوعة والأخبار الموقوفة في تفسير هذه الآية أنه تعالى استنطقهم حينئذ، فأقروا كلهم بوحدانيته، وأشهدهم على أنفسهم وأشهد عليهم أباهم آدم والملائكة، ثم إنه تعالى **تعهدهم في كل زمان بإرسال رسله، وإنزال الكتب يذكرهم بالعهد الأول، ويجدد عليهم العهد والميثاق على أن يوحدوه ويعبدوه ولا يشركوا به شيئا**، وأشار في خطاب آدم وحواء عند هبوطهما من الجنة إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى... ﴾ الآيتين، وفي سورة طه نحو هذا، فما وفى بنو آدم كلهم بهذا العهد المأخوذ عليهم؛ بل نقضه أكثرهم وأشركوا

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم) (٤ / ١٦٧) برقم: (٣٤٤٢)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى) (٧ / ٩٦) برقم: (٢٣٦٥).

(٢) «فتح الباري» (٤٨٩/٦).

بالله ما لم ينزل به سلطانا، **فبعث الله الرسل تجدد ذلك العهد الأول وتدعوا إلى تجديد الإقرار بالوحدانية**»(١).

هذا من حيث الإجمال، وأما من حيث التفصيل، فإن وظائفهم كثيرة، وكلها ترجع إلى دعوة الناس إلى ربهم في العلميات والعمليات، إجمالاً وتفصيلاً، قال شيخ الإسلام: « فإن الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعاً **بالدعوة إلى الله، وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه،** فالأصل الأول يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه وهي القصص التي قصها على عباده والأمثال التي ضربها لهم. والأصل الثاني يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة وبيان ما يحبه الله وما يكرهه. والأصل الثالث يتضمن الإيمان باليوم الآخر؛ والجنة والنار، والثواب والعقاب، وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل؛ فإن العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطب ومن يداويه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه»(٢).

ولما كانت الرسالة بهذه المكانة العالية، والمنزلة السامية؛ كانت حاجة الناس إليها أعظم من حاجتهم للطعام والشراب؛ لأن سعادتهم وشقوتهم مرتبطة بالرسل، اتباعاً أو إعراضاً، قال ابن تيمية رحمه الله: « وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب؛ فإن آخر ما يقدَّر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها؛ مات قلبه موتاً لا ترجى الحياة معه أبداً أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً، فلا فلاح إلا باتباع الرسول، فإن الله خص بالفلاح أتباعه المؤمنين وأنصاره كما

---

(١) «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي – ﷺ – "بعثت بالسيف بين يدي الساعة"» (١/٢٣١-٢٣٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩/٩٥-٩٦).

قال تعالى: ﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ أي: لا مفلح إلا هم كما قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ فخص هؤلاء بالفلاح كما خص المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم ويؤمنون بما أنزل إلى رسوله وما أنزل من قبله ويوقنون بالآخرة وبالهدى والفلاح، فعلم بذلك أن الهدى والفلاح دائر حول ربع الرسالة وجوداً وعدماً. وهذا مما اتفقت عليه الكتب المنزلة من السماء، وبعث به جميع الرسل؛ ولهذا قص الله علينا أخبار الأمم المكذبة للرسل، وما صارت إليه عاقبتهم، وأبقى آثارهم وديارهم؛ عبرة لمن بعدهم وموعظة، وكذلك مسخ من مسخ قردة وخنازير؛ لمخالفتهم لأنبيائهم، وكذلك من خسف به، وأرسل عليه الحجارة من السماء وأغرقه في اليم، وأرسل عليه الصيحة، وأخذه بأنواع العقوبات وإنما ذلك؛ بسبب مخالفتهم للرسل، وإعراضهم عما جاءوا به، واتخاذهم أولياء من دونه، وهذه سنته سبحانه فيمن خالف رسله، وأعرض عما جاؤوا به، واتبع غير سبيلهم؛ ولهذا أبقى الله سبحانه آثار المكذبين لنعتبر بها ونتعظ؛ لئلا نفعل كما فعلوا؛ فيصيبنا ما أصابهم كما قال تعالى: ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾ ﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾ وقال تعالى: ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين﴾ ﴿وبالليل أفلا تعقلون﴾ أي: تمرون عليهم نهارا بالصباح وبالليل ثم قال: ﴿أفلا تعقلون﴾ وقال تعالى في مدائن قوم لوط: ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ يعني: مدائنهم بطريق مقيم يراها المار بها، وقال تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾، وهذا كثير في الكتاب العزيز: يخبر الله سبحانه عن إهلاك المخالفين للرسل ونجاة أتباع المرسلين؛ ولهذا يذكر سبحانه في سورة الشعراء قصة موسى وإبراهيم ونوح وعاد وثمود ولوط وشعيب ويذكر لكل نبي إهلاكه لمكذبيهم والنجاة لهم ولأتباعهم، ثم يختم القصة بقوله: ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم

مؤمنين﴾ ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ فختم القصة باسمين من أسمائه تقتضيها تلك الصفة ﴿وهو العزيز الرحيم﴾ فانتقم من أعدائه بعزته، وأنجى رسله وأتباعهم برحمته»(١).

ومن وظائف الرسل التي جاءت في خطب النبي ﷺ ما يلي:

أولاً/ (**الوعظ والتذكير**)، وشاهده حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: (قام رسول الله ﷺيوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه **ووعظ وذكر**، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به – فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) (٢).

وكذلك ما ثبت عن عمرو بن الأحوص الجُشَمي رضي الله عنه أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، (فحمد الله وأثنى عليه **وذكر ووعظ**، ثم قال: استوصوا بالنساء خيراً... الحديث)(٣).

وكل خطب النبي ﷺ كانت تدور على الوعظ والتذكير وبيان الشرائع.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/٩٦-٩٨)، وانظر: (١٩/٩٣-٩٥) و (١٩/ ٩٩-١٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه) (٧ / ١٢٢) برقم: (٢٤٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب البيوع، باب في وضع الربا) (٣ / ٢٤٩) برقم: (٣٣٣٤)، والترمذي في "جامعه" (أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء دماؤكم وأموالكم عليكم حرام) (٤/ ٣٤) برقم: (٢١٥٩)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب النكاح، باب حق المرأة على الزوج) (٣ / ٥٧) برقم: (١٨٥١).

ثانياً/ (**تعليم الناس ما يجهلونه من الوحي**)، وشاهده حديث عياض بن حمار المجاشعي ﷺ: أن رسول الله ﷺقال ذات يوم في خطبته ألا إن ربي أمرني أن **أعلمكم ما جهلتم مما علمني** يومي هذا... الحديث (١).

ثالثاً: (**التحذير من الفتن ومنها الدجال**)، وشاهده حديث أبي أمامة الطويل في ذكر الدجال، وفيه (.... إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال **وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال** وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة.. الحديث) (٢).

رابعاً/ (**إمامة الناس، والحكم بينهم، وتغيير الاعتقادات الباطلة**)، وشاهده نفس الحديث السابق، وفيه (... فيكون عيسى بن مريم ﷺفي أمتي **حكما عدلاً وإماما مقسطاً يدق الصليب، ويذبح الخنزير**)

خامساً/ (**رحمة الناس والرفق بهم، وذلك بدعوتهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة**)، وشاهده حديث سلمان ﷺ، وفيه (.... فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنما **بعثني رحمة للعالمين،** فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة... الحديث)(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها فِي الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٥)

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الملاحم، باب خروج الدجال) (٤ / ٢٠٠) (بدون ترقيم)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج وماجوج) (٥ / ١٩٧) برقم: (٤٠٧٧)، واللفظ له، والحديث بهذا السياق إسناده ضعيف، لكن لكل فقرة منه ما يشهد لها من الأحاديث الصحيحة، إلا القليل، وقد خرجه موسعاً الشيخ الألباني، وقسمه إلى فقرات ورقمها، وأتى لكل فقرة بما يشهد لها من الأحاديث الصحيحة، وخرج كل شاهد منها، وثمة فقرات يسيرة لم يجد ما يشهد لها، انظر: «قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، على سياق رواية أبي أمامة ﷺ، مضافاً إليه ما صحَّ عن غيره من الصحابة ﷺ»

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ) (٤ / ٣٤٧) برقم: (٤٦٥٩)، والحديث له شواهد كثيرة عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي أمامة الباهلي، وعائشة

وغير ذلك من الوظائف التي جماعها إرشاد الناس إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا وفي الآخرة-والله الموفق-.

وغيرهم، مخرجة في الصحاح والسنن والمعاجم، والحديث صحيح، صححه الألباني في: «السلسلة الصحيحة» (٣٥٣/٤) برقم(١٧٥٨).

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالآيات التي أيد الله بها رسله.

من لوازم إرسال الرسل، تأييدهم بالبراهين والدلائل التي تدل على صدقهم، والتي سماها الله ﷻ آيات، وبينات، وبراهين في كتابه، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴿١٠١﴾ [سورة الإسراء: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ [سورة القصص: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴿٢٥﴾ [سورة الحديد: ٢٥]، والبينات هي: الدلائل [والمعجزات](١) والبراهين والشواهد الدالة على صدقهم فيما جاءوا به(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» (٣)، قال الحافظ ابن حجر: « والمعنى: أن كل نبي أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها...... والمراد بالآيات المعجزات... قوله: (وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي) أي إن معجزتي التي تحديت بها: الوحي الذي أنزل علي

(١) لفظ المعجزة لم يرد به نقلٌ من كتاب أو سنة، ولكن درج بعض أهل العلم على تسمية الآيات التي يؤيد الله بها أنبيائه ورسله–درجوا على تسميتها بالمعجزات، ولا شك أن التقيد بالألفاظ الشرعية أدل على المقصود، حتى وإن كان بعض من يستخدم هذه الألفاظ، لا يقصد بها معنىً فاسداً، وانظر تحرير القول في لفظ (المعجزة) وإطلاقها على الآيات والبينات–انظر: «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» (٥/٤١٢–٤٢١)، و «النبوات» (٢/٧٨٥–٨٢٩)، و «مجموع الفتاوى» (١١/٣١١–٣١٢)، ثلاثتهم لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٢٩/٤٦٩)، و «تفسير الطبري» (٢٣/٢٠٠)، و «تفسير ابن كثير» (٨/٢٧) و «فتح القدير»، للشوكاني (٥/٢١٢)، و «تفسير السعدي» (ص٨٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي بعثت بجوامع الكلم) (٩/ ٩٢) برقم: (٧٢٧٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته) (١ / ٩٢) برقم: (١٥٢).

وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره، لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه كما كان السحر فاشيا عند فرعون، فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره، وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه، ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي – ﷺ– في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك»[1].

وقد وردت جملة من هذه الآيات والدلائل التي أيد الله بها رسله–وردت في خطب النبي ﷺ منها:

١/ ما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺفقال: (أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح له وقال: ما يسرنا أنهم عندنا. قال أيوب: أو قال: ما يسرهم أنهم عندنا وعيناه تذرفان)[2].

والشاهد فيه هو إخباره ﷺ بموت زيد، وجعفر، وعبدالله بن رواحة في غزوة مؤتة، ووجه الدلالة: أن النبي ﷺ أخبر بذلك قبل أن يأتيه نعيهم، وكذلك إخباره بأخذ خالد بن الوليد الراية–كل ذلك في غزوة مؤتة، هم بالشام، وهو بالمدينة ﷺ، وهذا أمرٌ غيبي أطلع الله جل جلاله عليه نبيه ﷺ، وهو علم من أعلام نبوته؛ إذ يخبر بأشياء مغيبة أطلعه الله عليها، ويظهر كون الحديث من علامات ودلائل نبوته ﷺ، صنيع الأئمة رحمهم الله، إما في التبويب على هذا الحديث، وإما بالتعليق عليه بما يفيد ذلك، فقد بوَّب عليه الإمام

(١) «فتح الباري» (٩/٦-٧) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه " (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام) (٤ / ٢٠٥) برقم: (٣٦٣٠).

البخاري في صحيحه، بقوله: (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام)، قال ابن حجر: « وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة»[(١)]، وذكره أبو نُعيم الأصبهاني[(٢)] في «دلائل النبوة»[(٣)]، تحت فصلٍ عَنونَ له بقوله: (الفصل الخامس والعشرون: في ذكر ما جرى من الآيات في غزواته وسراياه، وذكرناها مرتبة من غزوة بدر إلى غزوة تبوك مبينا موضع الدلالة ووجه الآية فيها وفي جميع ذلك دليل على ما قلناه من أنه ﷺلم يخل شيء من أحواله عن آية شاهدة له ومعجزة جارية على يديه خليق كون ذلك له إذ النبوة مختومة به والشريعة إلى قيام الساعة قائمة)، وترجم للحديث بقوله: (ذكر ما جرى من الدلائل في غزوة مؤتة).

وذكره البيهقي[(٤)] في «دلائل النبوة» تحت عنوان: (باب ما جاء في غزوة مؤتة وما ظهر في تأمير النبي ﷺأمراءها ثم في إخباره عن الوقعة قبل مجيء خبرها من آثار النبوة)[(٥)].

٢/ وكذلك ما ثبت عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا (أن النبي ﷺكان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً قال إن شئتم فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة

---

(١) «فتح الباري» (٥١٣/٧).

(٢) هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، الحافظ، الأصبهاني، من مصنفاته: معرفة الصحابة، وحلية الأولياء، ودلائل النبوة، توفي سنة ٤٣٠هـ. انظر: «ميزان الاعتدال» (١١١/١).

(٣) (ص٤٦٩، ٥٢٨).

(٤) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي، الشافعي، الحافظ، صاحب التصانيف، من تصانيفه: دلائل النبوة، والأسماء والصفات، وشعب الإيمان، توفي سنة ٤٥٨هـ. انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/٤).

(٥) (٣٨٥/٤).

صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺفضمه إليه تئن أنين الصبي الذي يُسَكَّن. قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها)[1].

والشاهد من الحديث: صياح النخلة، ووجه الدلالة: أنها جماد، والحنين والصياح، لم يعهده الناس من الجمادات، قال ابن الملقن: « وفيه علم عظيم من أعلام نبوته ﷺ، ودليل على صحة رسالته، وهو حنين الجماد، وذلك أن الله تعالى جعل للجذع حياة حن بها، وهذا من باب الإفضال من الرب جَلَّجَلَالُهُ الذي يحيي الموتى بقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.... وحنين الجذع اليابس وأنينه أغرب من اخضراره وإثماره، فإن الإثمار والاخضرار يكونان فيه بصفة، والحنين والأنين لا يكونان في جنسه بحال»[2]،

ونقل ابن حجر عن البيهقي قال: (قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف)[3].

والحديث ترجم له البخاري كسابقه، وذكره أبو نعيم في «دلائل النبوة»، بعنوان: (ذكر حنين الجذع)[4]، وذكره البيهقي في «دلائل النبوة» بعنوان: (باب ما جاء في حنين الجذع الذي كان يخطب عنده رسول الله ﷺحين جاوزه إلى المنبر، وقد مضى بعض طرقه عند ذكر اتخاذ المنبر، وفي ذلك دلالة ظاهرة من دلالات النبوة)[5]، وكان

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام) (٤ / ١٩٥) برقم: (٣٥٨٥).

(٢) «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٥٣٢/٧) بتصرف يسير، وانظر: «عمدة القاري»، لبدر الدين العيني (٢١٣/١١).

(٣) «فتح الباري» (٦٠٣/٦).

(٤) (ص٣٩٩).

(٥) (٦٦/٦).

الحسن البصري[١] -وهو الذي روى عن أنس هذا الحديث- إذا حدث بهذا الحديث بكى، ثم قال: «يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺشوقا إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه»[٢].

٣/ وكذلك ما ثبت عن أنس ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف، فإني **أراكم أمامي ومن خلفي**. ثم قال: والذي نفس مُحَمَّد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا!! قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: **رأيت الجنة والنار**»[٣].

والشاهد فيه رؤية النبي ﷺ لأصحابه من خلفه، ورؤيته للجنة والنار، ووجه الدلالة أن الرؤية تكون من جهة الأمام، فلما أخبرهم النبي ﷺ برؤيته لهم من خلفه كان ذلك خلاف العادة، وكذلك إخباره ﷺ برؤيته الجنة والنار، وهو بين أظهرهم.

والحديث ذكره البيهقي في «الدلائل»، تحت عنوان: (باب ما جاء في رؤية النبي ﷺأصحابه وراء ظهره)[٤]، وقال ابن عبدالبر: «وقد تأول قوم أن أرى هنا بمعنى أعلم كما قال ﷻ حاكيا عن شعيب ﷺوكان أعمى ﴿إني أراكم بخير﴾

وأرى بمعنى أعلم معلوم في لسان العرب، فأراد بقوله أراكم أعلم خشوعكم وتمام ركوعكم بما يخفى عنكم ويلقي الله في قلبي معرفة أحوالكم، قال أبو عمر هذه دعوى

(١) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن: يسار البصرى، الأنصارى مولاهم، إمام فقيه فاضل مشهور، تابعيٌ جليل، روى له أصحاب الكتب الستة، توفي ١١٠هـ. انظر: «تذكرة الحفاظ»، للذهبي (٥٧/١)، و «سير اعلام النبلاء» (٥٦٣/٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (كتاب التاريخ، ذكر البيان بأن الجذع الذي ذكرناه إنما سكن عن حنينه باحتضان المصطفى ﷺ إياه) (١٤ / ٤٣٦) برقم: (٦٥٠٧).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ٢٨) برقم: (٤٢٦) (كتاب الصلاة، باب النهي عَنْ سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما).

(٤) (٧٣/٦).

فيها تحديد لمخالفة الظاهر وغير نكير أن يكون ذلك برؤية العين كسائر ما أعطيه من خرق العادة **وأعلام النبوة فيكون ذلك في آخر أمره فيكون قولنا على ظاهر ما قاله ﷺ وإن كان لا سبيل إلى كيفيته وهو علم من أعلام نبوته ﷺ**»(١).

(١) «الاستذكار» (٢/٣٢٩).

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بتفضيل الرسل بعضهم على بعض في خطب النبي ﷺ.

المفاضلة بين الأشخاص، والأزمنة، والأمكنة أمر ثابت، في الشرع، والعرف، والعقل، والذي يعنينا هنا، المفاضلة الشرعية؛ إذ أخبرنا الله ﷻ في الكتاب والسنة عن أشخاص، وأمكنة، وأزمنة اشتركوا في فضيلة أو فضائل، ولكن زاد أحدهما على الآخر، إما على وجه الاشتراك في الفضيلة، أو على وجه الاستقلال بفضيلة لا توجد في المفضَّل عليه، بما لا يقتضي نقصاً فيه، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة القصص: ٦٨].

ومن المفاضلة الثابتة في النصوص الشرعية، المفاضلة بين الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴿٢٥٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الإسراء: ٥٥]، قال الشوكاني(١): «والمراد بتفضيل بعضهم على بعض: أن الله سبحانه جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر، فكان الأكثر مزايا فاضلاً والآخر مفضولاً. وكما دلت هذه الآية على: أن **بعض الأنبياء أفضل من بعض،** كذلك دلت الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا﴾»(٢)، وقال السعدي: «﴿وربك أعلم بمن في السماوات والأرض﴾ من جميع أصناف الخلائق فيعطي كلاً منهم ما يستحقه تقتضيه حكمته، ويفضل بعضهم على بعض في جميع الخصال الحسية والمعنوية، كما فضل بعض النبيين المشتركين بوحيه على بعض بالفضائل والخصائص الراجعة إلى ما من به عليهم

---

(١) هو أبو عبدالله مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، عالمٌ من كبار علماء اليمن، متبحر في التفسير والأصول والفقه واللغة، صاحب التصانيف المشهورة، والتي منها: فتح القدير، والبدر الطالع، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: «الأعلام» (١٧/٥)، و«معجم المفسرين» (٥٩٣/٢)، و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»، للشوكاني(٢١٤/٢) حيث ترجم لنفسه في هذا الكتاب.

(٢) «فتح القدير» (٣٠٨/١)، وانظر: «تفسير السعدي» (ص١٠٩).

من الأوصاف الممدوحة، والأخلاق المرضية، والأعمال الصالحة وكثرة الأتباع ونزول الكتب على بعضهم المشتملة على الأحكام الشرعية والعقائد المرضية، كما أنزل على داود زبورا وهو الكتاب المعروف»(١)، ومن الآيات الدالة على التفاضل بين الأنبياء، قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحقاف: ٣٥]، والرسل كلهم أولوا عزم، ولكن خص الله ﷻ من بينهم هؤلاء الأربعة-نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى-بمزيد صبر وعزم على غيرهم، وأمر النبيَّ-وهو من أولي العزم-أمره أن يتأسَّى بهم(٢)، وهم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الشورى: ١٣]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧].

ومما يدل على التفاضل بين الأنبياء من السنة قول النبي ﷺ « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة،

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٦٠).

(٢) والقول بأن أوي العزم هم: (نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد) عليهم الصلاة والسلام، هو مرويٌّ عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وعطاء الخراساني، وابن السائب، انظر: «زاد المسير» (١١٤/٤)، وفي المقصود بأولي العزم، أقوالٌ، أوصلها ابن الجوزي إلى عشرة أقوال، ذكرها وقائليها، انظر: «زاد المسير» (١١٤/٤)، وانظر: «الدر المنثور»، للسيوطي (٤٥٤/٧-٤٥٥).

وأعطيت الشفاعة»[1]، والحديث واضح الدلالة على التفاضل بين الأنبياء والرسل؛ إذ فيه نصٌ على أن هذه الأمور مما اختص الله بها نبيه مُحَمَّداً ﷺ من بين سائر الأنبياء، قال ابن حجر: «وظاهر الحديث يقتضي أن كل واحدة من الخمس المذكورات لم تكن لأحد قبله، وهو كذلك»[2]، وقال ابن رجب: «وهذه الخمس اختص بها النبي ﷺعن الأنبياء، وليس في الحديث أنه لم يختص بغيرها، فإن هذه اللفظة لا تقتضي الحصر، وقد دلت النصوص الصحيحة الكثيرة على أنه ﷺخُص عن الأنبياء بخصال كثيرة غير هذه الخمس»[3]، والحديث بوَّب عليه ابن حبان[4] في "صحيحه" بقوله: (كتاب التاريخ، ذكر الخصال التي فضل ﷺبها على غيره)[5]،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب التيمم، باب التيمم وقول الله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) (١ / ٧٤) برقم: (٣٣٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) (٢ / ٦٣) برقم: (٥٢١)، وأخرجه مسلم بلفظ، «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون» (٦٤/٢) برقم(٥٢٣)، وفي الجمع بين اختلاف العدد في الأحاديث، يُنظر: «فتح الباري»، لابن حجر (٤٣٦/١)، و «عمدة القاري»، لبدر الدين العيني (٨/٤).

(٢) «فتح الباري» (٤٣٦/١).

(٣) «فتح الباري» (٢٠٦/٢).

(٤) هو أبو حاتم، مُحَمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سهيد بن هدية التميمي الدارمي البستي، العلامة، الحافظ، المجود، شيخ خراسان، صاحب التصانيف، كتب عن نحو من ألفي شيخ، وقال الذهبي عن ذلك: «هكذا فلتكن الهمم»، من مصنفاته: الأنواع والتقاسيم، وروضة العقلاء، توفي سنة٣٥٤هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩٢/١٦)، و«تذكرة الحفاظ» (٨٩/٣).

(٥) (١٤ / ٣٠٨) برقم: (٦٣٩٨).

وترجم له ابن أبي شيبة(١) في "مصنفه" بقوله: (كتاب الفضائل، ما أعطى الله تعالى مُحَّداً)(٢) ومما يدل على التفاضل أيضاً قول النبي ﷺ للرجل الذي قال له: «يا خير البرية! فقال رسول الله ﷺ: ذاك إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»(٣)، قال النووي: «وفيه جواز التفاضل بين الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم»(٤). فتبيَّن مما سبق، أن التفاضل بين الأنبياء والرسل بعضهم البعض ثابتٌ بالكتاب والسنة، فالرسل أفضل من جميع الأنبياء،

---

(١) هو أبو بكر عبد الله بن مُحَّد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولاهم الكوفي بن أبي شيبة، الحافظ، الثبت صاحب التصانيف، والتي منها: المصنف، والإيمان، من أقران: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ، توفي سنة ٢٣٥هـ. انظر: «تذكرة الحفاظ» (١٦/٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢٢/١١).

(٢) (١٦ / ٣٨٨) برقم: (٣٢٢٩٩).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ) (٧ / ٩٧) برقم: (٢٣٦٩).

(٤) «شرح النووي» (١٢٢/١٥)، بتصرف يسير، وفي الجمع بين هذا الحديث، وبين ما هو متقرر، من أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء، قال النووي في نفس المصدر: «قال العلماء إنما قال ﷺ هذا تواضعا واحتراما لإبراهيم ﷺ لخلته وأبوته، وإلا فنبينا ﷺ أفضل كما قال ﷺ أنا سيد ولد آدم، ولم يقصد به الافتخار، ولا التطاول على من تقدمه، بل قاله بيانا لما أمر ببيانه وتبليغه؛ ولهذا قال ﷺ: (ولا فخر) لينفي ما قد يتطرق إلى بعض الأفهام السخيفة وقيل يحتمل أنه ﷺ قال إبراهيم خير البرية قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فإن قيل التأويل المذكور ضعيف لأن هذا خبر فلا يدخله خلف ولا نسخ فالجواب أنه لا يمتنع أنه أراد أفضل البرية الموجودين في عصره وأطلق العبارة الموهمة للعموم لأنه أبلغ في التواضع وقد جزم صاحب التحرير بمعنى هذا فقال المراد أفضل برية عصره وأجاب القاضي عن التأويل الثاني بأنه وإن كان خبرا فهو مما يدخله النسخ من الأخبار؛ لأن الفضائل يمنحها الله تعالى لمن يشاء فأخبر بفضيلة إبراهيم إلى أن علم تفضيل نفسه فأخبر به» (١٢١/١٥-١٢٢)، وانظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»، لأبي العباس القرطبي(١٩-٩٤-٩٦)، و «كشف المشكل من حديث الصحيحين»، لابن الجوزي (٣١٤/٣-٣١٥)، و «فتح الباري»، لابن رجب (٤٣/١-٤٤).

والرسل متفاضلين فيما بينهم[1]، وفيما يلي ذكر الخطب التي اشتملت على بيان التفاضل بين الأنبياء، فمن ذلك:

١/ ما ثبت عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يوما من ذلك والجارية تمشطني، فسمعت رسول الله ﷺ يقول[على المنبر]: (أيها الناس! فقلت للجارية: استأخري عني. قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء! فقلت: إني من الناس. فقال رسول الله **صلى الله عليه** وسلم: إني لكم فرط على الحوض، فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك! فأقول: سحقاً)[2].

ثبوت حوض نبينا ﷺ أمرٌ مجمع عليه، تواتر النقل على ثبوته، واشتد نكير السلف على من أنكره من المبتدعة، بما هو مشتهر في كتبهم، قال ابن عبدالبر: « تواتر الآثار عن النبي ﷺ في الحوض حمل أهل السنة والحق وهم الجماعة على الإيمان به وتصديقه»[3]، وقال السفاريني[4]: «خالفت المعتزلة فلم تقل بإثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة، فكل من خالف في إثباته فهو مبتدع..... وهو ثابت بالسنة المتواترة وظاهر الكتاب، فمنكره زائغ عن الثواب مستحق للطرد والعذاب، ويكفيه من الخزي والنكال أنه يذاد عنه ويطرد، ويمنع من الشرب منه ويرد، وقد أخرج أبو داود عن

(١) للاستزادة في مبحث المفاضلة بين الرسل انظر: «مباحث المفاضلة في العقيدة»، د/ مُحَّد أبو سيف الجهني (ص١١٦-١٦٦)، و «الرسل والرسالات»، د/عمر سليمان الأشقر(ص٢١٧-٢٢٤)

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ ﷺ وصفاته)

(٧ / ٦٦) برقم: (٢٢٩٥).

(٣) «التمهيد» (٣٠٩/٢).

(٤) هو شمس الدين، أبو العون مُحَّد بن أحمد بن سالم السفاريني، عالمٌ مشارك في أنواع العلوم، من مصنفاته: لوامع الانوار البهية، وغذاء الألباب، توفي سنة ١١٨٨هـ. انظر: «الأعلام» (١٤/٦).

أبي طالوت قال: شهدت أبا برزة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - (دخل على عبيد الله بن زياد فحدثني فلان - سماه مسلم - وكان في السماط، فلما رآه قال: إن محمديكم هذا لدحداح، ففهمها الشيخ، فقال: ما كنت أحسب أني أبقى في قوم يعيروني بصحبة محمد - ﷺ. وقال عبيد الله: إن صحبة محمد لكم زين غير شين، ثم قال: إنما بعثت إليك لأسألك عن الحوض هل سمعت رسول الله - ﷺ- يذكر فيه شيئا؟ قال أبو برزة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لا مرة، ولا مرتين، ولا ثلاثاً، ولا أربعاً، ولا خمساً، فمن كذب به فلا سقاه الله منه، ثم خرج مغضباً)»(١).

والشاهد من الحديث قوله: (على الحوض)، ووجه الدلالة، أنه ثبت عن النبي ﷺ أن لكل نبي حوضاً، ولكن حوضه ﷺ أفضل الحياض من جهتين:

الأولى: من جهة المنبع.

الثانية: من جهة عظمه، وكثرة وارديه.

---

(١) «لوامع الأنوار البهية» (٢/٢٠٢) بتصرف يسير، وانظر الكلام على أحاديث الحوض، وتواترها، والصحابة الذين رووها: «مرويات الصحابة ﷺ في الحوض والكوثر»، وهو كتاب مشتمل على ثلاث رسائل، الأولى: ما روي في الحوض والكوثر، لبقي بن مخلد، والثانية: الذيل على جزء بقي بن مخلد من أحاديث الحوض، لابن بشكوال، والثالثة: المستدرك في أحاديث الحوض والكوثر، د/عبدالقادر عطا صوفي، وهو الذي قدم لهذه الرسائل، وخرج أحاديثها، وعلّق عليها، و «التمهيد»، لابن عبد البر (٢/٢٨٥-٣٠٩)، «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/٥٣)، و «النهاية في الفتن والملاحم»، لابن كثير (١/١٨٨-٢٠٩)، و «فتح الباري»، لابن حجر (١١/٤٦٦-٤٧٤)، وانظر: «الحوض والصراط والميزان بين أهل السنة والمخالفين»، لمحمد إبراهيم عبدالله عوض (ص٢٣-٨٢)، وهي رسالة علمية، نال بها الباحث درجة العالمية(الماجستير)، بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية بغزة.

فعن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة»[1]، قال ابن أبي العز: « وقد ورد في أحاديث: إن لكل نبي حوضاً، وإن حوض نبينا ﷺأعظمها وأحلاها وأكثرها واردا. جعلنا الله منهم بفضله وكرمه»[2]، وقال ابن حجر: «وإن ثبت-يعني حديث سمرة- فالمختص بنبينا ﷺالكوثر الذي يصب من مائه في حوضه فإنه لم ينقل نظيره لغيره»[3] وأما من جهة المنبع فقد ثبت أن منبع الحوض يكون من الكوثر، وهذه لم تثبت لنبيٍ قبله، مع ثبوت أن لكل منهم حوضاً ففي «صحيح مسلم» عن أبي ذر قال: «قلت: يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفس مُحَمَّد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة، من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل»[4]، قال ابن حجر: « ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه»[5].

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء في صفة الحوض) (٤ / ٢٣٦) برقم: (٢٤٤٣)، والحديث مختلف في وصله وإرساله، قال الترمذي: «هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلا، ولم يذكر فيه عن سمرة، وهو أصح »، وللحديث شاهدان موصولان، وآخر مرسل، ذكرها الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤/١١٧-١٢٠) برقم(١٥٨٩)، وتردد بين تحسين الحديث، وتصحيحه؛ وفق شواهده فقال: «وجملة القول: إن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح. والله أعلم» (٤/١٢٠).

(٢) «شرح الطحاوية» (١/٢٨١).

(٣) «فتح الباري» (١١/٤٦٧).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ ﷺ وصفاته) (٧ / ٦٩) برقم: (٢٣٠٠).

(٥) «فتح الباري» (١١/٤٦٦).

٢/ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (خطب النبي ﷺفقال إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت﴾ إلى قوله ﴿شهيد﴾ فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)[١].

والشاهد من الحديث على التفاضل، قوله ﷺ: (أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم)، ووجه الدلالة في ظاهر؛ حيث فيه نصٌ على أنه أول من يكسى يوم القيامة، وهذا لا يعارضه أن النبي ﷺ أفضل من إبراهيم؛ لأن الفضل المقيد، لا يقتضي التفضل المطلق، قال القرطبي: « قوله [أول من يكسى إبراهيم] فضيلة عظيمة لإبراهيم، وخصوص له كما خص موسى عليه السلامبأن النبي صلى الله عليه و سلم يجده معلقا بساق العرش مع أن النبي صلى الله عليه و سلم أول من تنشق عنه الأرض، ولا يلزم من هذا أن يكون أفضل منه مطلقا بل هو أفضل من وافى القيامة»[٢]، وقال ابن حجر: « ولا يلزم من خصوصيته عليه السلامبذلك تفضيله على نبينا مُحَمَّد ﷺ؛ لأن المفضول قد يمتاز بشيء يخص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا) (٤ / ١٣٩) برقم: (٣٣٤٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة) (٨ / ١٥٦) برقم: (٢٨٦٠).

(٢) «التذكرة» (ص٢٣٥)، وانظر: «عمدة القاري»، لبدر الدين العيني(٢٤٢/١٥).

(٣) «فتح الباري» (٣٩٠/٦)، و (٣٨٥/١١).

٣/ وحديث أبي أمامة الطويل في ذكر الدجال، وفيه «..... وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة..... يا عباد الله فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي»(١).

والشاهد من الحديث قوله: (فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي)، ووجه الدلالة فيه، أن النبي ﷺ اشترك مع بقية الأنبياء قبله في التحذير من الدجال، ولكن فُضِّل النبي ﷺ على من قبله بزيادة بيان في التحذير من الدجال، اختصه الله ﷻ بها؛ إذ يبعد في حق الأنبياء، أن يكونوا قصروا في تحذير أممهم من الدجال على الوجه الذي أوحاه الله إليهم، فلما كان كذلك؛ كان قوله ﷺ: (لم يصفها إياه نبي قبلي)، ليس على سبيل التنقص لمن سبقه، وإنما هو شيءٌ خصه الله به، والسبب في ذلك -والعلم عند الله- أنه لما كان الدجال خارجاً في هذه الأمة، اختص النبي ﷺ بمزيد تحذير منه- والله أعلم-.

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الملاحم، باب خروج الدجال) (٤ / ٢٠٠) (بدون ترقيم)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج) (٥ / ١٩٧) برقم: (٤٠٧٧)، واللفظ له، والحديث بهذا السياق إسناده ضعيف، لكن لكل فقرة منه ما يشهد لها من الأحاديث الصحيحة، إلا القليل، وقد خرجه موسعاً الشيخ الألباني، وقسمه إلى فقرات ورقمها، وأتى لكل فقرة بما يشهد لها من الأحاديث الصحيحة، وخرج كل شاهد منها، وثمة فقرات يسيرة لم يجد ما يشهد لها، انظر: «قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، على سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه، مضافاً إليه ما صحَّ عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم»

المبحث الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بالنبي ﷺ.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تقرير أن النبي ﷺ أفضل الأنبياء.

المطلب الثاني: نهي النبي ﷺ عن الغلو فيه.

تمهيد

مر فيما سبق بيانه أن الإيمان بالرسل أصلٌ وركنٌ من أركان الإيمان الستة، والتي جاء ذكرها وبيانها في حديث جبريل المشهور، وهذا المبحث متعلق ببعض المسائل في الإيمان بالنبي ﷺ، منها: تقرير أنه أفضل الأنبياء ﷺ، ومنه نهيه ﷺ عن الغلو فيه بطرق متنوعة.

والإيمان بالرسل كافة، وبنبينا ﷺ خاصة، مما تواترت نصوص الكتاب والسنة ببيانه، وقد سبق بيان شيء من ذلك.

وكان العرب قبل بعثة النبي ﷺ في جاهلية جهلاء، من الكفر والضلال، قال أبو رجاء العُطَاردي[(١)] -وكان من المخضرمين-: «أدركت النبي ﷺ، وأنا شاب أمرد. قال: ولم أر ناساً كانوا أضلَّ من العرب، وكانوا يجيئون بالشاة البيضاء فيعبدونها، فيجيء الذئب فيذهب بها، فيأخذون أخرى مكانها فيعبدونها، وإذا رأوا صخرة حسنة جاءوا بها وذهبوا يصلون إليها، فإذا رأوا صخرةً أحسنَ من تلك، رموها وجاءوا بتلك يعبدونها»[(٢)].

ومع هذا فإنه لم يُبعث للعرب فقط، وإنما بُعث إلى الناس كافة، فهذه خصيصة لنبينا مُحَمَّد ﷺ، أنه مبعوث للناس كافة، وكانت الأنبياء ترسل إلى قومها خاصة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ [سورة سبأ: ٢٨]، ومن خصائصه ﷺ أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، فالرسالة ختمت به، ولا يسع أحداً، ممن بلغته رسالته إلا أن يتبعه، وإلا كان من أصحاب النار، كما أخبر النبي ﷺ بذلك، فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

---

(١) هو عمران بن ملحان التميمي البصري أبو رجاء العطاردي، مشهور بكنيته، من كبار التابعين والمخضرمين، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبي ﷺ، روى له أصحاب الكتب الستة، قال عنه الذهبي: «شيخ الإسلام»، توفي سنة ١٠٥هـ. انظر: «التاريخ الكبير»، للبخاري (٦/٤١٠)، و «سير أعلام النبلاء» (٤/٢٥٤).

(٢) «الاستيعاب»، لابن عبدالبر (٣/١٢١١)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/٢٥٤، ٢٥٦-٢٥٧).

«والذي نفس مُحَمَّد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(١)، والإيمان بما جاء به هو أصل الدين وأساسه، قال شيخ الإسلام: «فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ»(٢).

ومن تمام التسليم وصدق اليقين الإيمان بكل ما جاء به ﷺ سواء عرفنا معناه، أم لم نعرف(٣)؛ ولأن الأمة أجمعت على أن كل أحد يؤخذ من قوله، ويترك إلا هو ﷺ(٤).

وبقدر التسليم له ﷺ يزيد التوحيد، والعكس بالعكس، قال شارح الطحاوية: « ولا شك أن من لم يسلم للرسول نقص توحيده، فإنه يقول برأيه وهواه، أو يقلد ذا رأي وهوى بغير هدى من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول، فإنه قد اتخذه في ذلك إلهاً غير الله»(٥).

ومن حقه ﷺ علينا تقديم محبته على محبة النفس، والولد، والوالد، والناس أجمعين، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»(٦)، أي «أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته) (١ / ٩٣) برقم: (١٥٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢١٢/١١)، وانظر: «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز (٤٠٤/٢).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤١/٣).

(٤) نفسه (٢٢٧/٢).

(٥) ©شرح الطحاوية»، لابن أبي العز (٢٣٤/١).

(٦) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان) (١ / ١٢) برقم: (١٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله صَلَّى اللهُ ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين) (١ / ٤٩) برقم: (٤٤).

آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين؛ لأن به ﷺ استُنقِذنا من النار، وهُدينا من الضلال»[(١)].

والنصيحة له ﷺ دليلٌ على صدق الإيمان، وهي تشمل الدين كله، قال ﷺ: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[(٢)]، قال النووي: «وأما النصيحة لرسول الله ﷺ: فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها؛ لانتسابها إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرَّض لأحد من أصحابه ونحو ذلك »[(٣)].

ولما كانت معرفة هدي النبي ﷺ بهذه المكانة العلية، وسعادة العبد في الدارين معلقة بذلك؛ كان متحتما على العبد، أن يلم بشيء من سيرته ﷺ؛ حتى ترتفع الجهالة عنه في هذا الباب العظيم[(٤)].

---

(١) انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/١٥-١٦).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) (١ / ٥٣) برقم: (٥٥).

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/٣٨)، وانظر: «إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم»، للقاضي عياض (١/٣٠٧).

(٤) انظر: «زاد المعاد» (١/٦٨-٦٩).

المطلب الأول: تقرير أن النبي ﷺ أفضل الأنبياء.

سبق في مبحث تفاضل الأنبياء بيان، أن الله ﷻ بحكمته ومنه وفضله، فضَّل بعض الرسل على بعض، كتفضيل أولي العزم على غيرهم، وتفضيل موسى بالكلام، وعيسى بإحياء الموتى، ونبينا ﷺ بأنه أفضل الأنبياء والرسل، فإنه قد اجتمع له من الفضائل ما تفرق لغيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والتفضيل لا يستلزم انتقاص المفضول، فتفضيل نبينا ﷺ على غيره من الأنبياء والرسل، لا يستلزم نقصهم، وإنما هو أمرٌ عرفناه بالوحي عن المعصوم ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»[1]، ولذلك لما رأى النبي ﷺ أن تفضيله على غيره من الأنبياء لربما أوهم انتقاص المفضول- لما رأى ذلك منع من التفضيل، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئا كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺبين أظهرنا فذهب إليه فقال أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي فقال: لم لطمت وجهه فذكره فغضب النبي ﷺ حتى رئي في وجهه ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله... الحديث)[2]، قال الحافظ ابن حجر: «قال العلماء في نهيه ﷺعن التفضيل بين الأنبياء: إنما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل، أو من يقوله

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صَلَّى اللهُ ﷺ على جميع الخلائق) (٧/ ٥٩) برقم: (٢٢٧٨)، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري ﷺ بلفظ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر» أخرجه الترمذي في "جامعه"، (أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ.، باب) (٦ / ١١) برقم: (٣٦١٥)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الزهد، باب ذكر الشفاعة) (٥ / ٣٦٢) برقم: (٤٣٠٨) واللفظ له

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الإشخاص والخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود) (٣ / ١٢٠) برقم: (٢٤١١)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ) (٧ / ١٠٠) برقم: (٢٣٧٣).

بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول، أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع، أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة... وقيل النهي عن التفضيل إنما هو في حق النبوة نفسها كقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله ولم ينه عن تفضيل بعض الذوات على بعض.. فالأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة؛ لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر فيفضي إلى الكفر، فأما إذا كان التخيير مستنداً إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النهي»(١).

ومن الخطب التي تبين تفضيل النبي ﷺ على غيره من الأنبياء مايلي:

١/ ما ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلاً وقع في أب كان له في الجاهلية، فلطمه العباس، فجاء قومه فقالوا: ليلطمنه كما لطمه! فلبسوا السلاح، فبلغ ذلك النبي ﷺفصعد المنبر، فقال: (أيها الناس، أي أهل الأرض تعلمون أكرم على الله ﷻ؟ فقالوا: أنت! فقال: إن العباس مني وأنا منه، لا تسبوا موتانا فتؤذوا أحياءنا. فجاء القوم فقالوا: يا رسول الله، نعوذ بالله من غضبك، استغفر لنا)(٢).

والشاهد من الحديث قوله ﷺ: (أي أهل الأرض تعلمون أكرم على الله ﷻ؟ فقالوا: أنت)، ووجه الدلالة فيه أنه الصحابة لما سألهم عن أكرم أهل الأرض على الله ﷻ، فقالوا: أنت-لما قالوا ذلك أقرهم النبي ﷺ.

---

(١) «فتح الباري» (٦/٤٤٦)، بتصرف يسير.

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب القسامة والقود، باب القود من اللطمة) (١ / ٩٢٩) برقم: (٤٧٨٩/ ١) والترمذي في "جامعه" (أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ.، باب) (٦ / ١٠٩) برقم: (٣٧٥٩)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل ا هـ»

٢/ وكذلك ما ثبت عن سلمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (أيما رجل من أمتي سببته سبة أو لعنته لعنة في غضبي، فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون، **وإنما بعثني رحمة للعالمين**، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة)(١).

والشاهد من الحديث قوله ﷺ: (وإنما بعثني رحمة للعالمين)، ووجه الدلالة فيه: أن الأنبياء والرسل قبل نبينا مُحَمَّد ﷺ كانوا يُبعثون إلى أقوامهم خاصة، أما النبي ﷺ، فبعثته للناس أجمعين، وهذا وجه من أوجه التفضيل الكثيرة التي فُضِّل بها نبينا ﷺ على غيره من الأنبياء، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧]، وقال ﷺ: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»(٢).

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ) (٤ / ٣٤٧) برقم: (٤٦٥٩)، والحديث له شواهد كثيرة عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي أمامة الباهلي، وعائشة وغيرهم، مخرجة في الصحاح والسنن والمعاجم، والحديث صحيح، صححه الألباني في: «السلسلة الصحيحة» (٣٥٣/٤) برقم(١٧٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب التيمم، باب التيمم وقول الله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا)

(١ / ٧٤) برقم: (٣٣٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) (٢ / ٦٣) برقم: (٥٢١).

المطلب الثاني: نهي النبي ﷺ عن الغلو فيه.

وتحته تمهيد ومسألتان:

المسألة الأولى: بيان بشريته ﷺ.

المسالة الثانية: بيان عبودية النبي ﷺ لربه.

تمهيد

لما كان الغلو في الصالحين من أعظم وسائل الشرك-إن لم تكن أعظمها-؛ كان النبي ﷺ يبالغ في النهي عن هذا الأمر، وسد كل طريق يؤدي إلى الغلو، والذي بدوره يؤدي إلى الشرك، فمن ذلك نهيه ﷺ عن تشيد القبور وتعظيمها بشتى وسائل التعظيم، وبالغ في ذلك؛ لأنها مدعاة للغلو في أصحابها، ومن ثَمَّ عبادتهم من دون الله، فعن عائشة، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: (لما نزل برسول الله ﷺطَفِقَ يطرح خميصةً[1] له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى!! اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر مثل ما صنعوا)[2]، وهو على هذه الحال يحذر من ذلك؛ لعظيم المفاسد المترتبة عليه، وعن جندب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺقبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا! ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد! إني أنهاكم عن ذلك)[3]، والنبي ﷺ كان يحب مخالفة أهل الكتاب، فلو اكتفى بالجملة الأولى (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد)؛ لفهم منها الصحابة التحذير من صنيعهم، كما جاء في حيث عائشة وابن عباس السابق(يحذر ما صنعوا)، لكنه ﷺ لم يكتف بذلك، بل بالغ في النهي فقال: (ألا فلا تتخذوا القبور مساجد)، ثم أكد هذه المبالغة بقوله: (إني أنهاكم عن ذلك)، ونهى النبي ﷺ عن الغلو فيه بصور متنوعة، فقال ﷺ: «لا تطروني

---

(١) الخميصة: هي ثوب خز أو صوف معلَّم، وقيل: لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلَّمة. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور) (٢ / ٨٨) برقم: (١٣٣٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عَنْ بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها) (٢ / ٦٧) برقم: (٥٢٩).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عَنْ بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها) (٢ / ٦٧) برقم: (٥٣٢).

كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله »[1]، **ومن صور نهيه ﷺ عن الغلو فيه في خطبه**:

أولاً/ بيان بشريته ﷺ، وأنه بشر يجري عليه ما يجري على البشر.

ثانياً/ بيان عبوديته ﷺ لربه.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم) (٤ / ١٦٧) برقم: (٣٤٤٥).

المسألة الأولى: بيان بشريته ﷺ.

زعم بعض المغالين في النبي ﷺ، أنه ليس ببشر، وإنما هو مخلوق من نور، وهذا يكذبه القرآن والسنة وإجماع المسلمين، من أن النبي ﷺ بشر، وهو من ولد آدم، وآدم من تراب، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ [سورة فصلت: ٦]، ومن الخطب التي وردت في هذا الشأن ما يلي:

١/ ما ثبت عن سلمان ﷺ أن رسول الله ﷺ خطب فقال: (أيما رجل من أمتي سببته سبة أو لعنته لعنة في غضبي، **فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون**، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة)(١).

والشاهد من الحديث قوله: (فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون)، ووجه الدلالة فيه ظاهر، حيث نص على أنه ﷺ من ولد آدم، وآدم خلق من تراب.

٢/ وكذلك ما ثبت عن زيد بن أرقم ﷺ قال: قام رسول الله ﷺيوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، (ألا أيها الناس **فإنما أنا بشر** يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به - فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ) (٤ / ٣٤٧) برقم: (٤٦٥٩)، والحديث له شواهد كثيرة عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي أمامة الباهلي، وعائشة وغيرهم، مخرجة في الصحاح والسنن والمعاجم، والحديث صحيح، صححه الألباني في: «السلسلة الصحيحة» (٣٥٣/٤) برقم(١٧٥٨).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (٧ / ١٢٢) برقم: (٢٤٠٨).

والشاهد من الحديث ووجه الدلالة في قوله: (فإنما أنا بشر)، وهو ظاهر، وفي قوله: (يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب) ردٌّ على الذين يزعمون أن النبي ﷺ حيٌّ لم يمت، وهذا القول مع شناعته، تكذيب لصريح القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٠].

المسألة الثانية: بيان عبودية النبي ﷺ لربه.

من المعلوم أن الله ﷻ خلقنا لعبادته وحده لا شريك له، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]، ويرتفع قدر العبد في الدور الثلاثة-الدنيا، والبرزخ، والآخرة- بقدر تحقيقه للعبودية الحقة، قال شيخ الإسلام: « وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا؛ وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل»(١).

وقد نعت الله ﷻ النبي ﷺ بالعبودية في أشرف المواطن، ففي مقام الإسراء قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [سورة الإسراء: ١]، وفي مقام الدعوة قال ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الجن: ١٩]، وفي مقام التحدي قال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٣]، قال ابن القيم: « فإن العبد هو الذي قد ملك المحبوب رقه فلم يبق له شيء من نفسه ألبتة، بل كله عبد لمحبوبه ظاهراً وباطناً. وهذا هو حقيقة العبودية. ومن كمل ذلك فقد كمَّل مرتبتها، ولما كمَّل سيد ولد آدم هذه المرتبة...؛ استحق التقديم على الخلائق في الدنيا والآخرة»(٢).

ومن مظاهر عبودية النبي ﷺ لربه في خطبه:

١/ ما ثبت عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: قدم النبي ﷺصبح رابعة من ذي الحجة، مهلين بالحج لا يخلطهم شيء، فلما قدمنا، أمرنا فجعلناها عمرة، وأن نحل إلى

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢١٣/١٠).

(٢) «مدارج السالكين» (٣١/٢).

نسائنا، ففشت في ذلك القالة، قال عطاء: فقال جابر: فيروح أحدنا إلى منى وذكره يقطر منيا، فقال جابر بكفه، فبلغ ذلك النبي ﷺفقام خطيبا، فقال: "بلغني أن أقواماً يقولون كذا وكذا، والله لأنا أبر وأتقى لله منهم، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدي لأحللت، فقام سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله، هي لنا أو للأبد؟ فقال: لا، بل للأبد، قال: وجاء علي بن أبي طالب، فقال أحدهما: يقول لبيك بما أهل به رسول الله ﷺ، وقال: وقال الآخر: لبيك بحجة رسول الله ﷺ، فأمر النبي ﷺأن يقيم على إحرامه، وأشركه في الهدي (١).

والشاهد من الحديث قوله ﷺ: (لأنا أبر وأتقى لله منهم)، ووجه الدلالة: نص النبي ﷺ على بره وتقواه لله ﷻ، بل بلغ في ذلك الذروة، والبر والتقوى من أفراد العبودية.

٢/ وكذلك ما ثبت عن عائشة ؓ قالت: صنع النبي ﷺشيئا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺفخطب فحمد الله، ثم قال: (ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية) (٢).

والشاهد من الحديث ووجه الدلالة فيه، قوله ﷺ: (إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية)، والعلم والخشية من أجناس العبودية.

وهذان الحديثان ثبتت فيهما عبودية النبي ﷺ بقوله.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (أبواب تقصير الصلاة، باب كم أقام النبي ﷺ في حجته) (٢/ ٤٣) برقم: (١٠٨٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران) (٤ / ٣٥) برقم: (١٢١٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم)

(٩ / ٩٧) برقم: (٧٣٠١)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب علمه صَلَّى اللهُ ﷺ بالله تَعَالَى وشدة خشيته) (٧ / ٩٠) برقم: (٢٣٥٦).

٣/ ومن الخطب التي تبين عبودية النبي ﷺ لربه أيضاً، ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ، فصلى رسول الله ﷺبالناس، فقام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى، ثم انصرف، وقد انجلت الشمس، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا، وصلوا وتصدقوا". ثم قال: يا أمة مُحَّد، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته، يا أمة مُحَّد، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً) (١).

والشاهد من الحديث ووجه الدلالة على عبودية النبي ﷺ لربه، هذه الصلاة الطويلة وهي صلاة الكسوف، وما فيها من خضوع وخشوع لله ﷻ بطول قيام وركوع وسجود، وحمده وثناءه على الله ﷻ، وقيامه بالدعوة أتم قيام، ومن ذلك تحذيره أمته من غضب الله ﷻ، ولو استقصيت الخطب التي تبين عبودية النبي ﷺ لربه؛ لأدرجت الخطب كلها.

٤/ وكذلك ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: (شكا الناس إلى رسول الله ﷺقحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوما يخرجون فيه، قالت عائشة: فخرج رسول الله ﷺحين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر، وحمد الله ﷻ، ثم قال: إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله ﷻ أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني، ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة، وبلاغا إلى حين، ثم

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الكسوف، باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته) (٢ / ٣٨) برقم: (١٠٥٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب صلاة الاستسقاء، باب صلاة الكسوف) (٣ / ٢٧) برقم: (٩٠١).

رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره، وقلب أو حول رداءه، وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس، ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت، وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك ﷺحتى بدت نواجذه، فقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله) (١).

والشاهد من الحديث ووجه الدلالة فيه: قوله ﷺ: (وأني عبد الله ورسوله)، فنص على العبودية، وأيضاً في تضرعه ﷺ في الاستسقاء، كما وصفه ابن عباس رضي الله عنه بقوله: « خرج رسول الله ﷺمتبذلاً متواضعاً متضرعاً حتى أتى المصلى.. »(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الاستسقاء، باب الحال التي يستحب للإمام أن يكون عليها إذا خرج) (١ / ٣٢٢) برقم: (١٥٠٥)، وأبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها)، والسياق له (١ / ٤٥٣) برقم: (١١٦٥)، والترمذي في "جامعه" (أبواب السفر، باب ما جاء في صلاة الاستسقاء)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، (١/ ٥٥٩) برقم: (٥٥٨)، انظر: «إرواء الغليل» (١٣٣/٣) برقم(٦٦٤).

الفصل الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر في خطب النبي – ﷺ.

وتحته تمهيد أربعة مباحث :

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بأسماء اليوم الآخر.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بعلامات قرب اليوم الآخر

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بمواقف اليوم الآخر.

المبحث الرابع : المسائل العقدية المتعلقة بالجنة والنار .

تمهيد

اليوم الآخر هو اسم لكل ما يقع بعد الموت من فتنة القبر وعذابه، ومن الحشر والحساب، والصراط، والجنة والنار، وألحق أهل العلم بهذا الباب ما يكون من أشراط الساعة الصغرى والكبرى؛ للدلالة على قرب وقوع هذا اليوم.

والإيمان به ركن من أركان الإيمان التي لا يقوم إيمان عبدٍ ولا يصح إلا به.

و«الإيمان بالرجعة إلى الحياة، ثم الخلود بعد ذلك ضروري؛ لتقويم مسار الإنسان، فالإنسان مركوز في أعماق نفسه حب الخلود والبقاء، ولذلك فإن إبليس أغرى آدم بالأكل من الشجرة المحرم عليه الأكل منها، مدعياً أن الأكل منها يمنحه وزوجه الخلود ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة طه: ١٢٠].

والكفر بالبعث والنشور يحدث شقوة للنفوس البشرية، كما يحدث انحرافاً في مسيرة البشر في الحياة »(١).

وكثيراً ما يقرن بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر، في نصوص الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النساء: ٣٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التوبة: ١٨].

ومن السنة:

حديث جبريل المشهور الطويل وفيه: «... قال: أخبرني عن الإيمان. قال: " أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، **واليوم الآخر**، والقدر كله؛ خيره وشره.. »(١).

(١) القيامة الصغرى، لعمر بن سليمان الأشقر

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بأسماء اليوم الآخر.

ورد في نصوص الوحيين عدة أسماء لليوم الآخر، لكل منها مدلول معين بحسب معناها، وقد أوصلها بعضهم إلى ما يزيد على الخمسين اسماً(٢)، وكثرة أسماءه تدل على عظمه وشأنه.

ومما ثبت من أسماء اليوم الآخر في خطب النبي ﷺ:

يوم القيامة، والساعة، ويوم الدين، واليوم الآخر، والغد ودل على هذه الأسماء أحاديث، منها:

١/ عن سراقة بن جعشم قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً في هذا الوادي، فقال: (ألا إن العمرة قد دخلت في الحج إلى **يوم القيامة**)(٣).

٢/ عن زينب(١) امرأة عبد الله رضي الله عنهما قالت: خطبنا رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام) (١ / ١٩) برقم: (٥٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان) (١ / ٢٨) برقم: (٨)، واللفظ له.

(٢) انظر هذه الأسماء وبيان معناها: «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، للقرطبي (٥٤٣/٢-٥٧٩) ، حيث سرد هذه الأسماء مفسرة وقال في آخر سرده: «وقد سرد تسمية هذه الأيام على التوالي من غير تفسير؛ غير واحد من العلماء، منهم ابن نجاح في «سبل الخيرات»، وأبو حامد الغزالي في غير موضع من كتبه كالإحياء وغيره، والقتبي في كتاب «عيون الأخبار»، وهذا تفسيرها حسب ما ذكره القاضي أبو بكر بن العربي في «سراج المريدين»، وربما زدنا عليه في ذلك، والحمد لله على ذلك»، وانظر: «فتح الباري»، لابن حجر (٣٩٦/١١)، و «القيامة الكبرى»، لعمر بن سليمان الأشقر (ص١٩-٣٠).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب مناسك الحج، باب إباحة فسخ الحج بعمرة لمن لم يسق الهدي) (١/ ٥٥٨) برقم: (٢٨٠٥/٤)، وابن ماجه في "سننه" (٤/ ١٩٤) برقم: (٢٩٧٧) (أبواب المناسك، باب التمتع بالعمرة إلى الحج)، واللفظ له؛ لأن فيه التصريح بأن ذلك كان في خطبة، والحديث أصله في الصحيحين، وقد صححه الألباني في «صحيح وضعيف ابن ماجه» برقم (٢٩٧٧).

(يا معشر النساء، تصدقن ولو من حليكن؛ فإنكن أكثر أهل جهنم **يوم القيامة**)(٢).

٣/ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال (صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة العصر بنهار ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وكان فيما قال... ألا إنه ينصب لكل غادر لواء **يوم القيامة** بقدر غدرته... الحديث)(٣).

---

(١) هي زينب بنت معاوية، وقيل: بنت أبي معاوية، وقيل بنت عبد الله بن معاوية بن عتاب بن الأسود بن غاضرة بن خطيط بن قسي، وقيل: اسمها رائطة. امرأة عبدالله بن مسعود، صحابية جليلة. انظر: «الإصابة» (١٦٣/٨).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر) (٢/ ١٢١) برقم: (١٤٦٦)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين) (٣/ ٨٠) برقم: (١٠٠٠)، والترمذي في "جامعه" (أبواب الزكاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في زكاة الحلي) (٢/ ٢١) برقم: (٦٣٥)، واللفظ له.

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" (أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة) (٤ / ٥٨) برقم: (٢١٩١)، وقال: «وفي الباب عن حذيفة وأبي مريم وأبي زيد بن أخطب والمغيرة بن شعبة وذكروا أن النبي ﷺ حدثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة وهذا حديث حسن صحيح»، قال الألباني: «وكأنه يعني لشواهده كما نص عليه في آخر كتابه» انظر: «السلسلة الضعيفة» (٤٧٨/٦) برقم: (٢٩٢٧)، والحديث أصله في الصحيحين من حديث حذيفة ﷺ، فأخرجه البخاري بلفظ: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة، ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت، فأعرف ما يعرف الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه» (كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدرا مقدورا) (٨ / ١٢٣) برقم: (٦٦٠٤)، ومسلم بلفظ: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته، فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه» (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي صَلَّى اللهُ ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة) (٨ / ١٧٢) برقم: (٢٨٩١)، وقدمت رواية الترمذي؛ لأن

٤/ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (خطب النبي ﷺ فقال إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ ثم إن أول من يكسى **يوم القيامة** إبراهيم ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت﴾ إلى قوله ﴿شهيد﴾ فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)(١).

٥/ حديث تميم بن أوس الداري الطويل في قصة الجساسة، وفيه: (..... هذه طيبة، والذي نفسي بيده، ما فيها طريق ضيق ولا واسع، ولا سهل ولا جبل، إلا وعليه ملك شاهر سيفه إلى **يوم القيامة**)(٢).

٦/ عن سلمان ﷺ أن النبي ﷺ خطب فقال: (... أيما رجل من أمتي سببته سبة أو لعنته لعنة في غضبي، فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة **يوم القيامة**)(٣).

فيها ذكر لاسمين من أسماء اليوم الآخر: (الساعة) و (يوم القيامة). وموطن الشاهد من الحديث ثابت في الصحيحين، ففي البخاري بلفظ: «لكل غادر لواء يوم القيامة» (كتاب الجزية، باب إثم الغادر للبر والفاجر) (٤ / ١٠٤) برقم: (٣١٨٦)، وفي صحيح مسلم بلفظ: «لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان» (كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر) (٥ / ١٤٢) برقم: (١٧٣٦).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب تفسير القرآن، باب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا) (٦ / ٩٧) برقم: (٤٧٤٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة) (٨ / ١٥٦) برقم: (٢٨٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فِي خروج الدجال ومكثه فِي الْأرض ونزول عيسى وقتله إياه) (٨ / ٢٠٣) برقم: (٢٩٤٢)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج) (٥ / ١٩٠) برقم: (٤٠٧٤)، واللفظ له.

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ) (٤ / ٣٤٧) برقم: (٤٦٥٩)، والحديث له شواهد كثيرة عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي أمامة الباهلي، وعائشة

٧/ عن حبشي بن جنادة السلولي(١) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع وهو واقف بعرفة... (إن المسألة لا تحل لغني ولا لذي مرة سوي(٢)، إلا لذي فقر مدقع أو غرم مفظع، ومن سأل الناس ليثري به ماله كان خموشاً في وجهه **يوم القيامة** ورضفاً(٣) يأكله من جهنم، ومن شاء فليقل، ومن شاء فليكثر)(٤).

٨/ عن أبي حميد الساعدي أن النبي ﷺ قال: (... والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله **يوم القيامة**... الحديث)(٥).

٩/ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه. حتى كأنه منذر جيش، يقول: (صبحكم ومساكم. ويقول: بعثت أنا **والساعة** كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى... الحديث)(٦).

وغيرهم، مخرجة في الصحاح والسنن والمعاجم، والحديث صحيح، صححه الألباني في: «السلسلة الصحيحة» (٣٥٣/٤) برقم(١٧٥٨).

(١) هو الصحابي الجليل حبشي بن جنادة بن نصر السلولي أبو الجنوب، شهد حجة الوداع مع النبي صلى الله عليه وسلم، روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه، توفي ما بين (٦١-٧٠هـ).

(٢) الْمِرَّةُ: الْقُوَّةُ وَالشِّدَّةُ. وَالسَّوِيُّ: الصَّحِيحُ الْأَعْضَاءِ. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣١٦/٤).

(٣) رَضْفَاً، أي: حجراً محمياً. انظر: «تحفة الأحوذي» (١٣١٤/٤).

(٤) أخرجه الترمذي في "جامعه" (أبواب الزكاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب من لا تحل له الصدقة)

(٢ / ٣٦) برقم: (٦٥٣)، والحديث صحح الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٨٩/١) برقم: (٨٠٢).

(٥) قطعة من حديث أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحيل، باب احتيال العامل ليهدى له) (٩ / ٢٨) برقم: (٦٩٧٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال) (٦ / ١١) برقم: (١٨٣٢).

(٦) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة) (٣ / ١١) برقم: (٨٦٧).

١٠/ عن عائشة ﵂ قالت: (شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوما يخرجون فيه، قالت عائشة: فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر، وحمد الله ﷿..... ثم قال: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك **يوم الدين**... الحديث)(١).

١١/ عن جرير ﵁ قال (كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾ والآية التي في الحشر ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾.. الحديث)(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء) (١ / ٤٥٥) برقم: (١١٧٣)، بإسناد حسن، وقال: هذا حديث غريب، إسناده جيد، أهل المدينة يقرءون ﴿ ملك يوم الدين ﴾ وإن هذا الحديث حجة لهم. ا هـ، وصححه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، «المستدرك على الصحيحين»: (١ / ٣٢٨) برقم: (١٢٢٩)، ووافقه الذهبي، وتعقب الشيخ الألباني تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي بأن في إسناده: خالد بن نزار، والقاسم بن مبرور، وهما ثقتان إلا أن الأول منهما فيه كلام يسير لا ينزل بحديثه عن رتبة الحسن، انظر: «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»(١٣٦/٣) برقم: (٦٦٩)، وللحديث شواهد كثيرة عن عدد من الصحابة مخرجة في كتب الصحاح، والمسانيد.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) (٣ / ٨٦) برقم: (١٠١٧).

١٢/ عن عبد الله بن عمرو[١] أن النبي ﷺ خطبهم فكان مما قال: (... فمن أحب منكم أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتدركه موتته، وهو مؤمن بالله **واليوم الآخر**... الحديث)[٢].

١٣/ عن زينب بنت أبي سلمة[٣] رضي الله عنها قالت: دخلت على أم حبيبة[٤] رضي الله عنها زوج النبي ﷺ فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله **واليوم الآخر** تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً، ثم دخلت على زينب بنت جحش[٥] رضي الله عنها حين توفي أخوها، فدعت بطيب فمست به، ثم قالت: ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: لا يحل لامرأة

---

(١) هو أبو محمد، و قيل أبو عبد الرحمن و قيل أبو نصير: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد القرشي السهمي، صاحب النبي ﷺ وكان من العباد العلماء، توفي سنة٦٥هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣٠٩/١)، و «الاستيعاب» (٩٥٦/٣).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول) (٦ / ١٨) برقم: (١٨٤٤)، والنسائي في "المجتبى" (كتاب البيعة، باب ذكر ما على من بايع الإمام وأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه) (١ / ٨٢٦) برقم: (٤٢٠٢ / ١)، واللفظ له؛ لأن فيه التنصيص على الخطبة.

(٣) هي الصحابية الجليلة زينب بنت أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومية، ربيبة النبي ﷺ؛ أمها أم سلمة أم المؤمنين، توفيت سنة٧٣هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٠٠/٣)، و«الإصابة» (١٥٩/٨).

(٤) هي أم المؤمنين، أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشية الأموية، زوج النبي ﷺ، توفيت سنة٤٤هـ، وقيل غير ذلك. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢١٨/٢).

(٥) هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر الأسدية أم المؤمنين رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، كانت من المهاجرات الأول، أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، توفيت سنة٢٠هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢١١/٢)، و«الإصابة» (١٥٣/٨).

تؤمن بالله **واليوم الآخر** تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً)(١).

فبالنظر للأحاديث الماضية يجتمع لنا ليوم القيامة عدة أسماء، هي: **يوم القيامة، والساعة، ويوم الدين، واليوم الآخر، والغد**

ويبقى معرفة دلالة كل اسم ومعناه:

١/ **يوم القيامة:** وقد جاء تسمية هذا اليوم في القرآن بيوم القيامة، في نحو من سبعين موضعاً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١٦].

وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الجاثية: ٢٦].

وقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿١﴾﴾ [سورة القيامة: ١].

وسمي بهذا اليوم لأمور، منها:

لأن الأمور العظام والأهوال المفزعة تقوم فيها، أي تقع.

أو لأن الناس يقومون فيه لرب العالمين كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة المطففين: ٦].

أو لأن الروح والملائكة يقومون صفاً كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [سورة النبأ: ٣٨]. (٢)

قال السفاريني: «وقد اختلف في تسمية ذلك اليوم بيوم القيامة، قيل لكون الناس يقومون من قبورهم، قال تعالى ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا﴾ [سورة المعارج: ٤٣]. وقيل: لوجود أمور المحشر والوقوف ونحوهما فيه.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجنائز، باب إحداد المرأة على غير زوجها) (٢ / ٧٨) برقم: (١٢٨١، ١٢٨٢)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام) (٤ / ٢٠٢) برقم: (١٤٨٦).

(٢) انظر: «التذكرة»، للقرطبي (٥٤٧/٢).

وقيل: لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم في صحيحه «عن ابن عمر - ﷺ - مرفوعا ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ [سورة المطففين: ٦] قال يقوم الناس أحدهم في رشحه إلى نصف أذنيه»......

وقيل: إنما سمي يوم القيامة لقيام الملائكة والروح فيه صفا قال تعالى ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ [سورة النبأ: ٣٨]... »(١).

وقرر أهل العلم «أن كل ميت مات فقد قامت قيامته لكنها قيامة صغرى وقيامة كبرى فالقيامة الصغرى هي ما يقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه وحصوله على عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر والقيامة الكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة.

والدليل على أن كل ميت يموت فقد قامت قيامته قول النبي ﷺ لقوم من الأعراب وقد سألوه متى الساعة فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم.. »(٢).

والمقصود بالحديث انقضاء ذلك القرن، وليس المقصود أن هذا هو وقت قيام الساعة.

جاء في فتح الباري، لابن حجر: «المراد بالساعة: ساعة الذين كانوا حاضرين عند النبي ﷺ، وأن المراد موتهم وأنه أطلق على يوم موتهم اسم الساعة؛ لإفضائه بهم إلى أمور الآخرة، ويؤيد ذلك أن الله استأثر بعلم وقت قيام الساعة العظمى كما دلت عليه الآيات والأحاديث الكثيرة... ويحتمل أن يكون المراد بقوله حتى تقوم الساعة المبالغة في تقريب قيام الساعة لا التحديد كما قال في الحديث الآخر بعثت أنا والساعة كهاتين ولم يرد أنها تقوم عند بلوغ المذكور الهرم قال وهذا عمل شائع للعرب يستعمل للمبالغة عند

---

(١) «لوامع الأنوار البهية» (٢/١٦٨-١٦٩) بتصرف.

(٢) «العاقبة في ذكر الموت»(ص٢٥٤)، وانظر: «التذكرة»، للقرطبي (٢/٥٤٨)، والحديث المذكور أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الرقاق، باب سكرات الموت) (٨ / ١٠٧) برقم: (٦٥١١)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة) (٨ / ٢٠٩) برقم: (٢٩٥٢).

تفخيم الأمر وعند تحقيره وعند تقريب الشيء وعند تبعيده فيكون حاصل المعنى أن الساعة تقوم قريبا جدا»(١).

٢/ **الساعة**: وجاء وصف اليوم الآخر بالساعة في عدة آيات من القرآن.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الأنعام: ٤٠].

وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٨٧].

قال القرطبي: «والساعة؛ كلمة يعبر بها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود وفي العرف على جزء من أربعة وعشرين جزءا من يوم وليلة، والذين هما أصل الأزمنة.

و تقول العرب: أفعل كذا الساعة، وأنا الساعة في أمر كذا، تريد الوقت الذي أنت فيه، والذي يليه تقريبا له. وحقيقة الإطلاق فيها أن الساعة بالألف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه، وهو المسمى بالآن، وسميت به القيامة إما لقربها؛ فإن كل آت قريب، وإما أن تكون سميت بها تنبيها على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر العظام.

و قيل: إنما سميت بالساعة لأنها تأتي بغتة في ساعة»(٢).

٣/ **يوم الدين**: جاءت تسمية اليوم الآخر بيوم الدين في مواضع من القرآن منها، قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [سورة الفاتحة: ٤].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الشعراء: ٨٢].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المعارج: ٢٦]، وغيرها من الآيات.

---

(١) (٥٥٦/١٠)، وانظر: الفتح: (٣٤٨/١١، ٣٦٣)، و «شرح النووي على صحيح مسلم» (٩٠/١٨).

(٢) «التذكرة» (٥٤٦/٢)، وانظر: «تفسير الرازي» (٥١٣/١٢).

وسبب تسميته بيوم الدين؛ لأن الناس يحاسبون فيه ويجازون على أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قال ابن كثير: « ويوم الدين يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر، إلا من عفا عنه»(١).

٤/ اليوم الآخر: جاءت تسمية القيامة باليوم الآخر كثيراً في القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٦٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

، وغيرها من الآيات، واليوم الآخر يطلق ويراد به كل ما يحدث بعد الموت، بداية من القبر، وإلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وهو آخر بالنسبة للدنيا.

٥/ **الغد**: جاءت تسمية اليوم الآخر بهذا الاسم في قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة القمر: ٢٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحشر: ١٨].

وسمي بذلك تقريباً له، قال الرازي: « الغد: يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له»(٢).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/١٣٤).

(٢) «تفسير الرازي» (٢٩/٥١١).

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بعلامات قرب اليوم الآخر.

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ماجاء في الدجال.

المطلب الثاني: ماجاء في نزول عيسى بن مريم- عليه السلام-.

المطلب الثالث: ماجاء في نزول المهدي.

المطلب الأول: ما جاء في الدجال.

من رحمة الله ﷻ ومن حكمته أن أخفى علينا وقت قيام الساعة، ولكن جعل لها علامات تدل على قربه؛ لحث الناس على التوبة، وإيقاظهم من رقدتهم.

قال القرطبي: «قال العلماء رحمهم الله تعالى: والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها تنبيه الناس من رقدتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها»(١).

ومن هذه العلامات العظمى خروج المسيح الدجال في آخر الزمان، وأن فتنته أعظم فتنة حذر منها الأنبياء قومهم؛ إذ تتابع الأنبياء على تحذير أممهم من فتنته، وكان النبي ﷺ أشدهم تحذيراً لأمته منه، وتواترت النصوص بإثبات مجيء الدجال، وأجمع أهل السنة والجماعة على هذا، ودونوا ذلك في عقائدهم، «وهو رجل من بني آدم خلقه الله تعالى ليكون محنة للناس في آخر الزمان: ﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين﴾»(٢).

«ومن صفاته أنه رجل، شاب، أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة، ولا جحراء، كأنها عنبة طافئة، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، ومكتوب بين عينيه(ك ف ر) بالحروف المقطعة، أو(كافر) بدون تقطيع، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له»(٣).

والدجال مأخوذ من الدجل، وهو الخلط.

---

(١) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (١٢١٧/٣).

(٢) «النهاية في الفتن والملاحم»، لابن كثير (١٧٢/١).

(٣) انظر: «أشراط الساعة»، ليوسف بن عبدالله الوابل (ص٢٧٧-٢٧٨).

قال ابن الاثير: «وأصل الدجل: الخلط. يقال: دجل إذا لبس وموه، ومنه الحديث (يكون في آخر الزمان دجالون) أي كذابون مموهون. وقد تكرر ذكر الدجال في الحديث، وهو الذي يظهر في آخر الزمان يدعي الألوهية. وفعال من أبنية المبالغة: أي يكثر منه الكذب والتلبيس»(١).

ولذلك فإن أهل السنة ينصون في عقائدهم على ذكره والتحذير منه، فمن ذلك:

قول الطحاوي(٢) رحمه الله: «ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها»(٣).

وقال ابن أبي زمنين المالكي(٤): « وأهل السنة يؤمنون بخروج الدجال أعاذنا الله وإياك من فتنته»(٥).

وكون الدجال لم يأت ذكره في القرآن، وإنما ورد في السنة هذا لا يضر أهل الحق والإيمان، وإنما يضر أهل الزيغ والطغيان، فما ثبت في السنة وحيٌ كما أن ما ثبت في القرآن وحي، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [سورة النجم: ٤].

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير (١٠٢/٢) وانظر: «فتح الباري»، لابن حجر (٩١/١٣).

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري الحنفي الطحاوي، العلامة الإمام الحافظ، محدث مصر ومفتيها، من مصنفاته: شرح مشكل الآثار، وكتاب العقيدة المسمى بالطحاوية، توفي سنة ٣٢١هـ. انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، لمحي الدين الحنفي (١٠٢/١)، و «الوافي بالوفيات» (٧/٨).

(٣) «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز (٧٥٤/٢).

(٤) هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عيسى المرّي، المعروف بابن أبي زمنين: فقيه مالكي، كان صاحب جد وإخلاص، وكان من كبار المحدثين، والعلماء الراسخين، من مصنفاته: أصول السنة، وتفسير القرآن، توفي سنة ٣٩٩هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٨٨/١٧)، و«طبقات المفسرين»، للداوودي (١٦٥/٢)، و «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» (١٥٠/١).

(٥) «أصول السنة» (ص١٨٨)، وانظر: «أصول السنة» برواية عبدوس العطار (ص٣٣-٣٤).

ومن الخطب النبوية الثابتة في شأن الدجال ما يلي:

١/ عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية أتتها، فقالت: (أجارك الله من عذاب القبر، قالت عائشة: يا رسول الله، إن الناس ليعذبون في القبور؟ فقال رسول الله ﷺ: عائذاً بالله. قالت عائشة: إن النبي ﷺ خرج مخرجاً، فخسفت الشمس، فخرجنا إلى الحجرة، فاجتمع إلينا نساء، وأقبل إلينا رسول الله ﷺ، وذلك ضحوة، فقام قياماً طويلاً، ثم ركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع رأسه، فقام دون القيام الأول، ثم ركع دون ركوعه، ثم سجد، ثم قام الثانية فصنع مثل ذلك، إلا أن ركوعه وقيامه دون الركعة الأولى، ثم سجد وتجلت الشمس، فلما انصرف قعد على المنبر، فقال فيما يقول: إن الناس يفتنون في قبورهم كفتنة **الدجال**، قالت عائشة: كنا نسمعه بعد ذلك يتعوذ من عذاب القبر)(١).

٢/ وكذلك ما ثبت عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وكانت من المهاجرات الأول، قالت: سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: (ليلزم كل إنسان مصلاه. ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال. حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرة(٢) في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الكسوف، باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف) (٢ / ٣٦) برقم: (١٠٤٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب صلاة الاستسقاء، باب صلاة الكسوف) (٣ / ٢٧) برقم: (٩٠١)، والنسائي في "المجتبى" (كتاب الكسوف، باب نوع آخر منه عن عائشة) (١ / ٣١٣) برقم: (١٤٧٤ / ٤)، واللفظ له.

(٢) أرفؤوا: لجؤوا. انظر: «المعلم بفوائد مسلم»، للمازري (٣/٣٧٩).

فلقيتهم دابة أهلبُ[1] كثيرُ الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة[2]. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم، انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمت لنا رجلاً، فَرِقْنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدَّيْر، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشدُّه وَثَاقاً مجموعةٌ يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم[3]، فلعب[4] بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلبُ كثيرُ الشعر، لا يُدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخل بيسان[5]. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك

---

(١) الهلب: كثرة الشعر، والصفة هنا مذكرة؛ لأن الدابة يقع على الذكر والأنثى. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/٢٦٩).

(٢) الجساسة من الجسس، وهو التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، إنما سميت الجساسة بذلك لأنها تجس الأخبار للدجال. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/٢٧٢).

(٣) (اغتلم البحر) أي: هاج واضطربت أمواجه. «النهاية في غريب الحديث» (٣/٣٨٢).

(٤) سمى اضطراب أمواج البحر لعبا، لما لم يسر بهم إلى الوجه الذي أرادوه. يقال لكل من عمل عملاً لا يجدي عليه نفعاً: إنما أنت لاعب. «النهاية في غريب الحديث» (٤/٢٥٢).

(٥) بيسان: مدينة بالأردنّ بالغور الشامي، ويقال هي لسان الأرض، وهي بين حوران وفلسطين. انظر: «معجم البلدان» (١/٥٢٧).

أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر[1]. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج، فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً[2] يصدُّني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها. قالت: قال رسول الله ﷺ: وطعن بمخصرته في المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة. (يعني المدينة). ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟. فقال الناس: نعم. فإنه أعجبني حديث تميم: أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة. ألا إنه في بحر الشأم أو بحر اليمن، لا، بل من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو. وأومأ بيده إلى المشرق). قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ»[3].

٣/ عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال (خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله أن قال إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي

---

(١) زغر: قرية بمشارف الشام، في الجانب القبلي منها. انظر: «معجم البلدان» (١٤٣/٣)، و«شرح النووي على مسلم» (٨٢/١٨).

(٢) السيف الصلت: هو الذي نزع من غمده. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤٥/٣).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فِي خروج الدجال ومكثه فِي الْأرض ونزول عيسى وقتله إياه) (٨ / ٢٠٣) برقم: (٢٩٤٢).

على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يميناً ويعيث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي، إنه يبدأ فيقول أنا نبي ولا نبي بعدي، ثم يثني فيقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب، وإن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلى بناره فليستغيث بالله وليقرأ فواتح الكهف؛ فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم وإن من فتنته أن يقول لأعرابي أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك فيقول نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك. وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقى شقتين، ثم يقول انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له رباً غيري، فيبعثه الله ويقول له الخبيث: من ربك فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال، والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم. قال أبو الحسن الطنافسي فحدثنا المحاربي ثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ: ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة قال قال أبو سعيد: والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله قال المحاربي: ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع قال: وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وأمده خواصر، وأدره ضروعاً، وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه، إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلته، حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعي ذلك اليوم يوم الخلاص فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله فأين العرب يومئذ قال: هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح؛ إذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري ليتقدم عيسى يصلي بالناس،

فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصل فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى ﷺ: افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً ويقول عيسى ﷺ: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللد الشرقي، فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله، قال رسول الله ﷺ وإن أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي فقيل له يا رسول الله كيف نصلي في تلك الأيام القصار قال تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ثم صلوا قال رسول الله ﷺ فيكون عيسى بن مريم ﷺ في أمتي حكما عدلاً، وإماماً مقسطاً، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها وتكون الأرض كفاثور(١) الفضة تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بالدريهمات. قالوا يا رسول الله وما يرخص الفرس قال: لا تركب لحرب أبداً، قيل له: فما يغلي الثور قال: تحرث الأرض كلها. وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر

(١) الْفَاثُورُ: الْخِوَانُ. وَقِيلَ: هُوَ طَسْتٌ أَوْ جَامٌ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ. انظر «النهاية في غريب الحديث» (٤١٢/٣).

الأرض فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله قيل فما يعيش الناس في ذلك الزمان قال التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام)[١].

والأحاديث فيها دلالة واضحة على ثبوت مجيء الدجال ونزوله في آخر الزمان بما لا مطعن فيه ولا ريب، إلا عند أهل الزيغ الذين اعتادوا رد صحيح المنقول بفاسد المعقول.

نقل النووي عن القاضي عياض[٢] قوله: «هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى ﷺ ويثبت الله الذين آمنوا.

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الملاحم، باب خروج الدجال) (٤ / ٢٠٠) (بدون ترقيم)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج وماجوج) (٥ / ١٩٧) برقم: (٤٠٧٧)، واللفظ له، والحديث بهذا السياق إسناده ضعيف، لكن لكل فقرة منه ما يشهد لها من الأحاديث الصحيحة، إلا القليل، وقد خرجه موسعاً الشيخ الألباني في : «قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، على سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه، مضافاً إليه ما صحَّ عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم» ، وقسمه إلى فقرات ورقمها، وأتى لكل فقرة بما يشهد لها من الأحاديث الصحيحة، وخرج كل شاهد منها، وثمة فقرات يسيرة لم يجد ما يشهد لها.

(٢) هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي، ثم السبتي، المالكي، فقيه محدث، من علماء المالكية، من مصنفاته: الشفا، وإكمال المعلم، توفي سنة ٥٤٤هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢١٢/٢٠)، و «وفيات الأعيان» (٤٨٣/٣).

هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة»[1].

وقال ابن أبي العز: « وأحاديث الدجال، وعيسى ابن مريم عليه السلام، ينزل من السماء ويقتله، ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم: يضيق هذا المختصر عن بسطها»[2].

وقال حافظ حكمي: «والأحاديث في ذكر الدجال وصفته، والإنذار منه والتحذير عنه أكثر من أن تُحصى، وأعظم من أن تُستقصى»[3].

شبهة والرد عليها:

الشبهة:

تكمن الشبهة في أن بعض من رد أحاديث الدجال بدون علم، ومنهم الدكتور أبو عبية -طعن في أحاديث الدجال؛ لأنها لم تبلغ التواتر، فرد حديث الجساسة وهو في صحيح مسلم؛ لأنه غير متواتر-في زعمه-، ولأنه كان في خطبة، -وحسب زعمه- لابد وأن تكون الخطب متواترة؛ إذ هي في محفل من الصحابة!

الرد عليها:

أولاً/ أهل السنة والجماعة لا يعلقون العمل بالأحاديث على كونها متواترة أو آحاداً، وإنما يعلقون قبولها، والعمل بها على صحتها، فإذا صحَّ الحديث فعلى العين والرأس، ويرون أن هذا التقسيم إلى متواتر وآحاد تقسيم حادث، لم يعرفه السلف، وإنما جاء من قبل المتكلمين؛ لرد الأحاديث التي لا توافق أهوائهم.

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٨/٥٨).

(٢) «شرح الطحاوية» (٢/٧٥٧).

(٣) «معارج القبول» (٢/٨٥٩).

وهذه الشبهة رد عليها الشيخ حمود التويجري من خمسة أوجه، أذكر منها: « صدور الحديث عن النبي ﷺ على المنبر وفي حشد من الصحابة ﭫ لا يلزم منه التواتر في النقل، وكم من خطبة خطبها النبي ﷺ على المنبر وفي حشد عظيم من الصحابة ومع ذلك لم يروها أو يرو البعض منها إلا الواحد أو الاثنان أو أكثر من ذلك ممن لا يبلغ عددهم شرط التواتر؟! وقد خطب النبي ﷺ في حجة الوداع عدة خطب في أعظم حشد كان في حياة النبي ﷺ، ومع ذلك لم ينقل خطبة إلا العدد القليل من الصحابة ﭫ.

وقد روى الإمام أحمد ومسلم عن أبي زيد وعمرو بن أخطب الأنصاري ﭬ؛ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا». وقد كانت هذه الخطبة العظيمة الطويلة جدًا على المنبر، وفي حشد من الصحابة ﭫ، ومع ذلك لم ينقل شيء منها بالتواتر.

وإذا علم هذا؛ فما زعمه أبو عبية من شرط التواتر لصحة حديث الجساسة لا أصل له؛ فلا يعول عليه»(١).

وقبل ختم المبحث يجدر التنبيه إلى أن هناك دجاجلة كثر، ظهروا على مر التاريخ، وأذكر هنا واحداً منهم لتعلقه بموضوع المبحث، ألا وهو ابن صياد(٢)، وقد وردت أخباراً بأنه هو الدجال، واختلف أهل العلم في الجمع بينها، وبين الروايات الأخرى، وأرجح الأقوال في الجمع بين الأحاديث، أن ابن صياد دجال من الدجاجلة،

---

(١) «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (٣٣٩/٢)، وانظر بقية الأوجه في الرد (٢٣٧/٢-٢٣٨).

(٢) هو عبد الله بن صائد، ويلقب ب (صاف)، وكان عنده كهانة، وقيل عنه: إنه المسيح الدجال، فُقد يوم الحرة فلم يُوجد، وكانت الحرة في زمن يزيد سنة ثلاث وستين. انظر: «الطبقات الكبرى»، لابن سعد(٢٧٢/٢)، و «تهذيب الأسماء واللغات»، للنووي(٢٩٩/٢).

وليس هو المسيح الدجال الذي ينزل في آخر الزمان، وهذا الذي قرره شيخ الإسلام والحافظ ابن كثير، وغيرهما من المحققين.

قال شيخ الإسلام: «... عبد الله بن صياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه كان من جنس الكهان»(١).

وقال ابن كثير: «وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد وأن ابن صياد كان دجالا من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام والله أعلم بضميره وسيرته، وأما الدجال الأكبر فهو المذكور في حديث فاطمة بنت قيس الذي روته عن رسول الله ﷺ عن تميم الداري وفيه قصة الجساسة ثم يؤذن له في الخروج في آخر الزمان» (٢).

وبهذا يظهر بأن نزول المسيح الدجال، كما جاءت الأخبار بذلك عن الصادق المصدوق ﷺ، وأن فتنته أعظم فتنة منذ خلق الله الأرض، وغير ذلك من الأوصاف التي ثبتت في شأنه في نصوص كثيرة بلغت حد التواتر كما سبق ذكره.

---

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص١٦٦).

(٢) انظر: النهاية في الفتن وأشراط الساعة»، لابن كثير (١/١٧٣-١٧٤)، وانظر: «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (٢/٣٤١-٣٦٥)، وللاستزادة في أمر الدجال وما ثبت فيه من أحاديث، والكلام عن ابن صياد، ينظر: «النهاية في الفتن والملاحم»، لابن كثير(١/١٠٢-١٨٠)، و «التذكرة»، للقرطبي (٣/١٢٧١-١٣٠٠)، و «فتح الباري»، لابن حجر (١٣/٩١-١٠٥)، و «أشراط الساعة»، ليوسف بن عبدالله الوابل (٢٧٥-٣٣٥).

المطلب الثاني: ما جاء في نزول عيسى بن مريم- عليه السلام-.

من أشراط الساعة وأماراتها العظام التي تكون بين يدي الساعة، نزول عيسى بن مريم –عليه السلام– في آخر الزمان حكما عدلاً، يحكم بشريعة النبي ﷺ، يقتل مسيح الضلالة، ويذبح الخنزير، ويكسر الصليب، ونزوله– عليه السلام– ثابت بالقرآن والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة، فمن القرآن:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الزخرف: ٦١].

قال الطبري: «... معنى الكلام: وإن عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة، لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا، وإقبال الآخرة»(١).

ومن السنة ما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة واقرءوا إن شئتم ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾»(٢)، وقد أوضح النبي ﷺ هذه العقيدة في خطبه الشريفة، فكان من ذلك ما ثبت عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه في حديث الدجال الطويل قال (خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه... إلى أن قال: فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعي ذلك اليوم يوم الخلاص

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/٦٣١-٦٣٢)، ونقل بسنده عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والضحاك، وابن زيد، أنهم قالوا في قوله ﴿وإنه لعلم للساعة﴾، أي: نزول عيسى ابن مريم بين يدي الساعة. وانظر: «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة (ص٢٧٢)، و «تفسير البغوي» (٧/٢١٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام) (٤ / ١٦٨) برقم: (٣٤٤٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ) (١ / ٩٣) برقم: (١٥٥).

فقالت أم شريك بنت أبي العكر يا رسول الله فأين العرب يومئذ قال هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ **نزل عليهم عيسى بن مريم** الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري ليتقدم عيسى يصلي بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا ويقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فأنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله قال رسول الله ﷺ وإن أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي فقيل له يا رسول الله كيف نصلي في تلك الأيام القصار قال تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ثم صلوا قال رسول الله ﷺ **فيكون عيسى بن مريم** عليه السلام **في أمتي حكما عدلا وإماما مقسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية** ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وترفع الشحناء والتباغض... الحديث»(١).

فالحديث بين الدلالة على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام -مسيح الهداية- في آخر الزمان، وأن نزوله علامة من علامات قرب الساعة، وأن من وظائفه أنه يقتل مسيح الضلالة، ويدق الصليب؛ إبطالاً لما يعتقده النصارى فيه من أنه صُلب، حيث أبطل الله هذه العقيدة في كتابه فقال ﷻ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [سورة النساء: ١٥٧]، ومن وظائفه أيضاً أنه يذبح الخنزير؛ مبالغة في إبطال دين

---

(١) سبق تخريجه.

النصارى، وهدم ما يعظمونه كالصليب والخنزير، ويضع الجزية، بحيث لا يُقبل إلا الإسلام [1].

فتبين مما سبق أن نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان مما دل عليه الكتاب والسنة- ومنها خطب النبي- والإجماع، فأما الكتاب والسنة فسبق بيان دلالتهما، «وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها... »[2].

---

(١) انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/١٩٠)، و «فتح الباري»، لابن حجر(٦/٤٩١).

(٢) «لوامع الأنوار البهية»، للسفاريني (٢/٩٤-٩٥)، وانظر: «أصول السنة»، للإمام أحمد برواية عبدوس العطار (ص٣٣-٣٤)، و«شرح السنة» للبربهاري (ص٥٠-٥٢)، و «أصول السنة»، لابن أبي زمنين (ص١٩٢)، وللاستزادة في أمر المسيح ابن مريم-عليه السلام-، ونزوله آخر الزمان وما ثبت فيه من أحاديث،، ينظر: «النهاية في الفتن والملاحم»، لابن كثير(١/١٨٠-١٩٤)، و «التذكرة»، للقرطبي (٣/١٢٨٨-١٣٢١)، و «فتح الباري»، لابن حجر (١٣/٩١-١٠٥)، و «أشراط الساعة»، ليوسف بن عبدالله الوابل (٣٣٧-٣٦٤)، و «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة»، للشيخ حمود التويجري (٣/٩٣-١٤٨)، و «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، لمحمد أنور شاه الكشميري الهندي، و «قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، على سياق رواية أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مضافاً إليه ما صحَّ عن غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»، للشيخ الألباني.

المطلب الثالث: ما جاء في نزول المهدي.

من عقائد أهل السنة والجماعة المتواترة عنهم، أنهم يؤمنون بخروج رجل في آخر الزمان، يكون من نسل النبي ﷺ- من ذرية فاطمة، من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب- اسمه محمد بن عبدالله، يصلحه الله في ليلة، وينشر العدل، ويكثر الخير في زمنه، ثبتت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، فمن تلك النصوص:

ما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، ويملك سبع سنين)(١).

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب المهدي،) (٤ / ١٧٤) برقم: (٤٢٨٥)، والترمذي في "جامعه" (أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب) (٤ / ٨٦) برقم: (٢٢٣٢)، وقال: «هذا حديث حسن، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم»، وقال محققا سنن أبي داود: «جيد بهذا اللفظ، سهل بن تمام بن بزيع -وإن كان ضعيفا- متابع -وعمران القطان - وهو ابن داور- حسن الحديث، وقد روي حديثه هذا من وجه آخر حسن في المتابعات، سيأتي ذكره. وذكر ابن الجوزي هذا الحديث في "العلل المتناهية" (١٤٤٣) ثم قال ٢/ ٨٦١: لا بأس به. وجود إسناده ابن قيم الجوزية في "المنار المنيف" ص ١٤٤. وصححه الحاكم ٤/ ٥٥٧، لكن تعقبه الذهبي بقوله: عمران ضعيف. قلنا: القول قول من قوى هذا الحديث، لأن عمران لم ينفرد به. أبو نضرة: هو المنذر ابن مالك بن قطعة. وأخرجه الطبراني في "غريب الحديث" ٢/ ١٩١ من طريق عفان بن مسلم، والحاكم ٤/ ٥٥٧ من طريق عمرو بن عاصم الكلابي، كلاهما عن عمران القطان، بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد (١١١٣٠)، وأبو يعلى (١١٢٨)، وابن حبان (٦٨٢٦) من طريق مطر بن طهمان الوراق، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري. وهذا إسناد حسن في المتابعات. وأخرجه أحمد (١١١٦٣)، وابن ماجه (٤٠٨٣)، والترمذي (٢٣٨٢) من طريق زيد بن الحواري العمي، عن أبي الصديق، عن أبي سعيد، رفعه: "يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع، وإلا فتسع. فتنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط، تؤتي أكلها، ولا تدخر منهم شيئا، والمال يومئذ كدوس. فيقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ" وقال الترمذي: حديث حسن. وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قلنا: زيد العمي ضعيف لكنه متابع. فقد أخرج الحاكم ٤/ ٥٥٧ - ٥٥٨ من طريق سليمان بن عبيد السلمي، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري رفعه: "يخرج في

وكذلك ما ثبت عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»[1]، وجاء تجلية ذلك وبيانه في خطب النبي ﷺ، فمن ذلك حديث أبي أمامة الطويل السابق ذكره: وفيه «..... فأين العرب يومئذ قال هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس **وإمامهم رجل صالح** فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري ليتقدم عيسى يصلي بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى ﵇ افتحوا الباب... الحديث»[2].

فقوله ﷺ: (وإمامهم رجل صالح) قال السيوطي: «هو المهدي»[3]، وفيه دلالة واضحة على أنه غير عيسى بن مريم؛ لأنه يصلى خلفه، وأما ما روي من أنه «لا مهدي

آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا، وتكثر الماشية وتعظم الأمة، يعيش سبعا أو ثمانيا" وإسناده صحيح.

وأخرج أحمد (١١٣١٣)، وأبو يعلى (٩٨٧)، وابن حبان (٦٨٢٣)، والحاكم ٤/ ٥٥٧، وأبو نعيم في "الحلية" ٣/ ١٠١ من طريق عوف بن أبي جميلة الأعرابي، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري رفعه: "لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما وعدوانا"، قال: "ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي، من يملؤها قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وعدوانا" لفظ أحمد. وإسناد هذه الرواية صحيح. وقال أبو نعيم: مشهور من حديث أبي الصديق، عن أبي سعيد الخدري. ويشهد للفظ زيد العمي تماما حديث أبي هريرة عند البزار (٣٣٢٦ - كشف الأستار)، والطبراني في "الأوسط" (٥٤٠٦)، وابن الجوزي في "العلل المتناهية" (١٤٤٤) وإسناده حسن، وأخطأ ابن الجوزي في تعيين أحد رواته وهو مُحَمَّد بن مروان العقيلي البصري، فظنه مُحَمَّد بن مروان السدي المتهم بالكذب، وإنما هو العقيلي الصدوق»، انظر: «سنن أبي داود» (٦/٣٤٢-٣٤٤).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) (٤ / ١٦٨) برقم: (٣٤٤٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم) (١ / ٩٤) برقم: (١٥٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (٢/٥١٤).

إلا عيسى»، فحديث باطلٌ موضوع[١]، وعلى افتراض ثبوته-تنزلاً-فإن أهل العلم نزلوه على أنه لا مهدي كاملاً معصوما إلا عيسى بن مريم[٢]، وأشار إلى هذا المعنى السفاريني، فقال: « قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل لا مهدي إلا عيسى، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم»[٣].

---

(١) انظر: «السلسلة الضعيفة»(١/١٧٥-١٧٦) برقم: (٧٧)، وانظر: «التذكرة»، للقرطبي (٣/١٢٠٤-١٢٠٥)، و«التنوير شرح الجامع الصغير»، للصنعاني (١٠/٤٩٥).

(٢) انظر: «التذكرة»، للقرطبي (٣/١٢٠٦).

(٣) «لوامع الأنوار البهية» (٢/٨٤)، وانظر: «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي»، للمباركفوري (٦/٤٠٢-٤٠٣)، وللاستزادة في أمر المهدي، انظر: «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر»، و «الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي»، كلاهما للشيخ عبدالمحسن العباد، و «الاحتجَاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر»، و «إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان»، كلاهما للشيخ حمود التويجري، و «الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل»، وهي رسالة ماجستير، للشيخ عبدالعليم عبدالعظيم، قال عنها الشيخ عبدالمحسن العبَّاد في رسالته «الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي» قال: «ومن أراد أن يقف على التحقيق المعتبر بشأن المهدي المنتظر فيمكنه ذلك بالإطلاع على الرسالة التي أعدها الشيخ عبد العليم عبد العظيم الهندي ونال بها درجة الماجستير من قسم الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز بمكة والتي زادت صفحاتها على ستمائة صفحة وهي بعنوان: (الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل) والتي مكث في إعدادها مدة تزيد على أربع سنوات جمع فيها ما ورد في الموضوع من الأحاديث والآثار ودرس أسانيدها وبين ما قاله المحدثون عن أحوال رجالها وما قاله أهل العلم في صحتها أو ضعفها ونقل فيها الكثير من أقوال العلماء في تواترها وفي ثبوتها والاحتجاج بها وتكلم فيها في موضوع المهدي من مختلف الجوانب مما جعلها بحق أفضل وأوسع مرجع يرجع إليه في هذه المسألة».

فتبين مما سبق دلالة خطب النبي ﷺ على نزول المهدي في آخر الزمان، وأن عيسى عليه السلام يصلي خلفه، والأخبار في ذلك متواترة (١).

(١) انظر: «فتح الباري»، لابن حجر (٦/٦٩٣-٦٩٤).

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بمواقف اليوم الآخر.

المقصود من هذا المبحث بيان مواقف يوم القيامة من خلال ما ثبت من خطب النبي ﷺ؛ إذ يوم القيامة ليس موقفاً واحداً، وإنما هو مواقف، فالبعث موقف، والحشر موقف، والحساب موقف، والمرور على الصراط موقف، والحوض والشفاعة كل هذه مواقف من مواقف يوم القيامة، وكان من المعين الصافي الذي يستقى منه بعض هذه المواقف -خطب النبي ﷺ؛ حيث ذكر ﷺ جملة منها في غير خطبة، ومن هذه المواقف:

١/ الحشر

وهو لغة: الجمع مع سوق وبعث [١]، واصطلاحاً: هو حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعاً إلى الموقف[٢]، كما قال الله ﷻ: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾.

ومن الخطب التي وردت عن النبي ﷺ في شأن الحشر، ما ثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (خطب النبي ﷺ فقال (إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا... الحديث)[٣].

فقوله ﷺ: (إنكم محشورون إلى الله..)، وفي رواية: (ملاقو الله..) نصٌ في إثبات الحشر، والذي هو جمع الناس وسوقهم إلى الموقف؛ لحسابهم، والفصل بينهم.

قال ابن حجر: « قوله: (إنكم ملاقو الله) أي: في الموقف بعد البعث»[٤].

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» (٦٦/٢).

(٢) «فتح الباري» (٣٧٨/١١-٣٧٩)، وانظر: «تحفة الأحوذي»، للمباركفوري (٩١/٧).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه (كتاب الرقاق، باب كيف الحشر) (٨ / ١٠٩) برقم: (٦٥٢٦)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة) (٨ / ١٥٦) برقم: (٢٨٦٠).

(٤) «فتح الباري» (٣٨٣/١١).

والحشر مما تواترت نصوص الكتاب والسنة على إثباته، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾ [سورة البقرة: ٢٠٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩﴾ [سورة المؤمنون: ٧٩].

ومن السنة:

قوله ﷺ: (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد)(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (.... يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس.... الحديث)(٢).

ومن المواقف التي ثبتت في خطب النبي ﷺ موقف الحساب

و «الحساب لغة: العد.

واصطلاحا: هو «تعريف الله ﷻ الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك كما دل عليه قوله تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه﴾ [المجادلة: ٦].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة) (٨ / ١٠٩) برقم: (٦٥٢١)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب فِي البعث والنشور وصفة الْأرض يوم القيامة) (٨ / ١٢٧) برقم: (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة) (٩ / ١٢٨) برقم: (٧٤٣٧) ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية) (١ / ١١٢) برقم: (١٨٢).

فيكلم الله تعالى عباده في شأن أعمالهم، وما لها من الثواب وما عليها من العقاب»(١)، وهو مما أجمع المسلمون على ثبوته يوم القيامة (٢).

ومن الخطب النبوية الدالة على هذا الموقف ما ثبت عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺقال: (... والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر ثم رفع يده حتى رئي بياض إبطه، يقول: اللهم هل بلغت)(٣).

ففي الحديث الوعيد الشديد لمن أخذ شيئاً بغير حقه، بأن الله سيحاسبه عليه يوم القيامة، ومن ذلك هدايا العمال؛ لأنها حرام وغلول لكون هذا العامل خان في ولايته وأمانته(٤)، وأما صفة الحساب، فإن المؤمن يحاسبه الله جل جلاله بأن يخلو به فيقرره بذنوبه حتى إذا رأى أنه قد هلك، قال الله له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار: فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها، وثمة فريقٌ دل الدليل على عدم حسابهم، وهم الذين جاء وصفهم في قول النبي ﷺ: (عرضت علي الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت، فإذا سواد كثير، قال:

---

(١) «لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية»، للسفاريني (٢/٢٣٢-٢٣٣)، وانظر: «لوامع الأنوار البهية»، للمؤلف (٢/١٧١-١٧٢)، و «تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»، لابن عثيمين (ص١١٧).

(٢) انظر: «أصول السنة»، لابن أبي زمنين (ص١١٧)، و«تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»، لابن عثيمين (ص١١٧).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحيل، باب احتيال العامل ليهدى له) (٩ / ٢٨) برقم: (٦٩٧٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال) (٦ / ١١) برقم: (١٨٣٢).

(٤) انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/٢١٩).

هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)(١)، وكذلك الأنبياء لا يحاسبون أيضاً؛ لأنهم أرفع وأفضل ممن كانت هذه صفاتهم، ولكنهم يُسألون عن أقوامهم، هل بلغوا الدعوة أم لا(٢)، وأما ما يتعلق به الحساب، فالمحاسبة كما تكون على حقوق الله، فإنها تكون على حقوق العباد كذلك، فحقوق الله-فيما عدا التوحيد-إن قصر فيه العبد، لربما يسامحه الله ﷻ، وأما حقوق العباد، فالأمر فيها شديد، والحساب عليها يكون بالاستيفاء، والمقاصة، «وإذا تقرر هذا، فيجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه، كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله ﷻ، ويرد المظالم إلى أهلها... ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته بقلبه، ويطيب قلوبهم حتى يموت، ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة...

فإن ما بين العبد وبين الله خاصة المغفرة إليه أسرع، ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم... فليكثر من الاستغفار لمن ظلمه، فعساه أن يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذي ادخره لأرباب المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم بإرضائه إياهم»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب) (٨ / ١١٢) برقم: (٦٥٤١)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب) (١ / ١٣٨) برقم: (٢٢٠).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (١٤٦/٣)، و«تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»، لابن عثيمين (ص١١٧).

(٣) «التذكرة»، للقرطبي (٦٤٥/٢-٦٤٨)، وانظر: «إحياء علوم الدين»، للغزالي (٥٢١/٤-٥٢٣).

ومن مواقف يوم القيامة التي دلت عليه خطب النبي ﷺ، موقف الحوض

من مواقف يوم القيامة الحوض المورود، والذي أعطاه الله لنبينا ﷺ، وثبتت به الأحاديث المتواترة عن نبينا ﷺ (١).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»(٢)، وكان النبي ﷺ يذكر الحوض لأصحابه وهو على المنبر، ومما ورد عنه ﷺ في ذلك:

١/ ما ثبت عن عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: (إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، **وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن**، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها) (٣).

---

(١) انظر: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»، للكتاني (ص٢٣٦-٢٣٨)،

قال ابن أبي العز: «الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيا» انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٢٧٧/١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر) (٨ / ١٢١) برقم: (٦٥٨٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة) (٤ / ١٢٣) برقم: (١٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها) (٨ / ٩٠) برقم: (٦٤٢٦)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عليه وسلم وصفاته)

(٧ / ٦٧) برقم: (٢٢٩٦).

٢/ وكذلك ما ثبت عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (.. إني لكم فرط على الحوض...)(١).

ففي هذين الحديثين نص النبي ﷺ على الحوض.

٣/ وأيضاً ما ورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: (ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت﴾ إلى قوله ﴿شهيد﴾ فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)(٢).

ووجه الدلالة في الحديث، أن هذا الموضع الذي يبعدون منه فيؤخذون ذات اليمين وذات الشمال، هو عندما يردون على الحوض، كما بين ذلك الحافظ بن حجر (٣). والحوض مما أجمع أهل السنة والجماعة على إثباته، ودونوا ذلك في معتقداتهم، ومن

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عليه وسلم وصفاته) (٧ / ٦٦) برقم: (٢٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا) (٤ / ١٣٩) برقم: (٣٣٤٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة) (٨ / ١٥٦) برقم: (٢٨٦٠).

(٣) «فتح الباري» (٣٨٥/١١)، وانظر الكلام على أحاديث الحوض، وتواترها، والصحابة الذين رووها: «مرويات الصحابة رضي الله عنهم في الحوض والكوثر»، وهو كتاب مشتمل على ثلاث رسائل، الأولى: ما روي في الحوض والكوثر، لبقي بن مخلد، والثانية: الذيل على جزء بقي بن مخلد من أحاديث الحوض، لابن بشكوال، والثالثة: المستدرك في أحاديث الحوض والكوثر، د/عبدالقادر عطا صوفي، وهو الذي قدم لهذه الرسائل، وخرج أحاديثها، وعلّق عليها، و «التمهيد»، لابن عبد البر (٢/٢٨٥-٣٠٩)، «شرح النووي على صحيح مسلم» (٥٣/١٥)، و «النهاية في الفتن والملاحم»، لابن كثير (١/١٨٨-٢٠٩)، و «فتح الباري»، لابن حجر (١١/٤٦٦-٤٧٤)، وانظر: «الحوض والصراط والميزان بين أهل السنة والمخالفين»، لمحمد إبراهيم عبدالله عوض (ص٢٣-٨٢)، وهي رسالة علمية، نال بها الباحث درجة العالمية(الماًجستير)، بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية بغزة، وانظر: مبحث: (المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بتفضيل الرسل بعضهم على بعض في خطب النبي ﷺ)، من هذه الرسالة.

ذلك ما دونه ابن أبي عاصم[1] في "السنة" فقال: « والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي ﷺ توجب العلم... وعلى ما وصفه به النبي ﷺ، فنحن به مصدقون غير مرتابين ولا جاحدين، ونرغب إلى الذي وفقنا للتصديق به وخذل المنكرين له والمكذبين به عن الإقرار به والتصديق به، ليحرمهم لذة شربه، أن يوردنا فيسقينا منه شربة نعدم لها ظما الأبد بطوله ونسأله ذلك بتفضله»[2].

صفته

وردت صفات كثيرة للحوض من خلال ما ثبت عن النبي ﷺ، فمن ذلك ما ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدا»[3]، «والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر»[4].

فتبين مما سبق أوجه دلالة الخطب النبوية على إثبات الحوض، ونسأل الله جل جلاله بكرمه وجوده أن يجعلنا ممن يشربون منه.

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني الزاهد حافظ كبير، إمام بارع متبع للآثار، كثير التصانيف، ومنها: كتاب السنة، توفي سنة٢٨٧هـ. انظر: «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/٣٨٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/٤٣٠)، و «تذكرة الحفاظ» (٢/١٥٨).

(٢) (ص٣٢١-٣٢٢) بتصرف يسير وانظر: «أصول السنة»، للإمام أحمد (ص٢٩)، و«أصول السنة»، لابن أبي زمنين (ص١٥٨)، و«فتح الباري» (١١/٤٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر) (٨ / ١١٩) برقم: (٦٥٧٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عليه وسلم وصفاته) (٧ / ٦٦) برقم: (٢٢٩٢).

(٤) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي (١/٢٨١-٢٨٢).

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالجنة والنار.

«الجنة هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر، وما حدثنا الله به عنها، وما أخبرنا به الرسول – ﷺ – يحير العقل ويذهله، لأن تصور عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه... والنار هي الدار التي أعدها الله للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسحن فيه المجرمين، وهي الخزي الأكبر، والخسران العظيم، الذي لا خزي فوقه، ولا خسران أعظم منه..»(١) .

من رحمة الله ﷻ أن خلق الجنة والنار؛ ليكونا نصب أعين المكلفين، فالجنة دار أولياءه وأحبابه، والنار مأوى أعداءه، ومن حاد عن شرعه.

فرغبهم في الجنة، ودعاهم إليها، وإلى كل سبيل يقرب إليها، وحذرهم من النار، ودعاهم إلى اجتناب كل سبيل يؤدي إليها.

وذكر الجنة والنار في النصوص أكثر من أن يحصى، أو يستقصى، فنجد أن الله ﷻ«كلما ذكر الجنة عطف عليها بذكر النار وكلما ذكر أهل النار عطف عليهم بذكر أهل الجنة، فتارة يعد ويتوعد، وتارة يخبر عما أعد في الجنة من النعيم المقيم لأوليائه، ويخبر عما أرصد في النار من العذاب الأليم لأعدائه وغير ذلك فمن رام استقصاءه فليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته بتدبر وقلب شهيد.. »(٢)، وقد أكثر النبي ﷺ في خطبه من ذكر الجنة والنار، ومما ورد في ذلك:

١/ عن أنس بن مالك ﷺ قال: (بُعِثَ إلى النبي ﷺ جبة من ديباج منسوج فيها الذهب، فلبسها رسول الله ﷺ فصعد المنبر فقام، أو قعد فجعل الناس يلمسونها، فقالوا:

---

(١) «الجنة والنار®» ، لعمر بن سليمان الأشقر ص (١١) و(١١٧).

(٢) «معارج القبول» (٢/٨٥٨-٨٦٣) بتصرف.

ما رأينا كاليوم ثوباً قط، فقال: «أتعجبون من هذه؟ لمناديل سعد في **الجنة** خير مما ترون)[1].

٢/ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه [2] قال: خطبنا رسول الله ﷺ فأسند ظهره إلى قبة أدم، فقال: (ألا لا يدخل **الجنة** إلا نفس مسلمة، اللهم هل بلغت؟ اللهم اشهد، أتحبون أنكم ربع أهل **الجنة**؟ فقلنا: نعم يا رسول الله، فقال: أتحبون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر **أهل الجنة**، ما أنتم في سواكم من الأمم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود)[3].

٣/ وعن أنس رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: (أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف، فإني أراكم أمامي ومن خلفي. ثم قال: والذي نفس مُحَمَّد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً! قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت **الجنة والنار**)[4].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه) (٥ / ٣٥) برقم: (٣٨٠٢)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه) (٧ / ١٥١) برقم: (٢٤٦٨)، والترمذي في "جامعه" (أبواب اللباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب) (٣ / ٣٣٨) برقم: (١٧٢٣)، واللفظ له.

(٢) هو أبوعبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، صاحب النبي ﷺ، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدراً، وهاجر الهجرتين، ومناقبه غزيرة، وروى علماً كثيراً، توفي سنة ٣٢، وقيل ٣٣هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤٦١/١)، و«الإصابة» (١٩٨/٤).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الرقاق، باب كيف الحشر) (٨ / ١١٠) برقم: (٦٥٢٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة) (١ / ١٣٨) برقم: (٢٢١)، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ٢٨) برقم: (٤٢٦) (كتاب الصلاة، باب النهي عَنْ سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما).

وكون النبي ﷺ رأى الجنة والنار دليلٌ على أنهما مخلوقتان، وأنهما لا تفنيان

قال ابن عبد البر(١): « (ذكر الجنة والنار) دليل على أنهما مخلوقتان وعلى ذلك جماعة أهل العلم وأنهما لا يبيدان من بين سائر المخلوقات وأهل البدع ينكرون ذلك»(٢)، وسيأتي الكلام على ذلك

٤/ وعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم... قال: **وأهل الجنة** ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال قال **وأهل النار** خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش..) (٣).

٥/ وعن أبي زهير الثقفي(٤) رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله – ﷺ – بالنباوة أو البناوة – قال: والنباوة: من الطائف – قال: (يوشك أن تعرفوا أهل **الجنة** من أهل **النار**. قالوا: بم ذاك يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن، والثناء السيئ، أنتم شهداء الله، بعضكم على بعض)(٥).

---

(١) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، الإمام القدوة، حافظ المغرب، صاحب التصانيف، والتي منها: التمهيد، والاستذكار، والاستيعاب، توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٨/١٥٣)، و «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» (١/١٧٦).

(٢) «التمهيد» (٣/٣٢٠)، وانظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (٤/١٥١).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٨/١٥٨) برقم: (٢٨٦٥)

(٤) هو أبو زهير معاذ بن رباح، و قيل هو ابن معاذ بن رباح، و قيل اسمه عمار بن حميد، و قيل عمارة بن روبية، الثقفي، صحابيٌ جليل. انظر: «الإصابة» (٧/١٣٠).

(٥) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (أبواب الزهد، باب الثناء الحسن) (٥ / ٣٠٢) برقم: (٤٢٢١)، وإسناده حسن. انظر: «شرح الطحاوية» بتحقيق الألباني (٣٧٨)، وتحقيق شعيب الأرناؤوط (٢/٥٣٨).

ووجه الدلالة في الأحاديث السابقة ظاهرٌ؛ إذ كل حديث في نصٌ على الجنة أو النار، أو كلتيهما، وكل خطبة فيها ذكر الجنة والنار تصلح لأن تكون شاهداً هنا.

ومن المسائل المهمة المتعلقة بموضوع الجنة والنار، مسألتان:

الأولى: أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.

الثانية: بقاؤهما وعدم فنائهما.

فأهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان، وهما موجودتان الآن، وأنهما لا يفنيان أبداً، هداهم الله ﷻ لهذا، وما كانوا ليهتدوا في هذه المسألة وفي غيرها لولا أن هداهم الله، فكانوا على الصراط المستقيم، والنهج القويم، ودونوا ذلك في عقائدهم.

قال الإمام أحمد: «والجنة والنار مخلوقتان كما جاء عن رسول الله ﷺ (دخلت الجنة فرأيت قصرا ورأيت الكوثر واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا واطلعت في النار فرأيت كذا وكذا) فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار، وهما لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله ﷻ "كل شيء هالك إلا وجهه " وبنحو هذا من متشابه القرآن.

قيل له: كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً؛ لأن الله ﷻ خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل»(١)، ومن الأدلة

---

(١) انظر «أصول السنة» رواية عبدوس بن مالك (ص٥٩-٦٠)، و «طبقات الحنابلة»، لأبي يعلى (٢٨/١)، وانظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي (١٩٨/١-١٩٩)، و«أصول السنة»، لابن أبي زمنين (ص١٣٤-١٣٦) ، و«الطحاوية مع شرح ابن أبي العز» (٦١٤/٢)، و«مجموع الفتاوى» (٣٠٧/١٨)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٣٥٨/٢) ، كلاهما لشيخ الإسلام.

التي ذكروها من نصوص الوحيين على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، لا تفنيان ولا تبيدان:

قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣].

وقال عن النار: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٣١].

قال السعدي: «وفي قوله: ﴿أعدت للكافرين﴾ ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافا للمعتزلة.. »[1].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة هود: ١٠٨].

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة ص: ٥٤]، وكذلك من أدلة السنة التي أوردوها ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل قال: انظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فجاء فنظر إليها، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها. فرجع إليه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحجبت بالمكاره، قال: ارجع إليها، فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فرجع إليها، فإذا هي قد حجبت بالمكاره، فرجع إليه فقال: وعزتك، قد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: اذهب إلى النار، فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فجاءها فنظر إليها، وإلى ما أعد لأهلها فيها فإذا هي يركب بعضها بعضا، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات،

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٥)، وانظر: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز »، لابن عطية (١٠٨/١) قال: «وفي قوله تعالى: أعدت رد على من قال: إن النار لم تخلق حتى الآن»، و «تفسير البحر المحيط»، لأبي حيان الأندلسي (١٧٦/١) حيث يقول: «مذهب أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان على الحقيقة... »

فرجع إليه قال: وعزتك، لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها)[١]، وأيضاً ما ثبت عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ: ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة ﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا، ﴿ وهم لا يؤمنون ﴾)[٢].

---

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله تعالى) (١ / ٧٤٤) برقم: (٣٧٧٢ / ١) وأبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار) (٤ / ٣٨٠) برقم: (٤٧٤٤)، والترمذي في "جامعه" (أبواب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) (٤ / ٣١٩) برقم: (٢٥٦٠)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «تخريج شرح الطحاوية» (ص٤٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب تفسير القرآن، باب قوله وأنذرهم يوم الحسرة) (٦ / ٩٣) برقم: (٤٧٣٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) (٨ / ١٥٢) برقم: (٢٨٤٩).

وغيرها من النصوص الكثيرة التي استدلوا بها (١).

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله: «.. أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد، هذا مما يعلم بالاضطرار إن الرسول أخبر به قال تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ أي مقطوع.... وأخبر سبحانه عن خلود أهل الجنة في الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء أن لا يكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف يوم القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة... وقد أكد الله سبحانه وتعالى خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القران وأخبر أنهما لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى..... فأما القول بفنائهما (الجنة والنار) فهو قول قاله جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية... وهو قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين... وأما أبدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الإسلام فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين.. فإن قيل فإلي أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ قيل: إلى قوله تبارك وتعالى ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ وإلى هنا قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء وقال ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء، بل وإلى هنا هاهنا انتهت أقدام الخلائق.. » انظر: «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ص٣٤٥-٣٨٨) بتصرف، ويظهر من كلام ابن القيم في هذا الموطن، التوقف في مسألة فناء النار، وله كلام آخر يدل على عدم فنائها، أورده في «الوابل الصيب» (ص٤٩) قال: «ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقي في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنه إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقي إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض»

والمقصود أن القول الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الجنة لا تفنى ولا تبيد، وهذا بإجماع، وأن جمهورهم على القول بأن النار لا تفنى أيضاً كالجنة، وظوهر نصوص الوحيين تدلان على ذلك بما يصعب بسطه في هذا الموضع، وأن الذين قالوا أن النار ستفنى من أهل السنة لهم مأخذ غير مأخذ أهل البدعة والفرقة، وهي نصوص وردت، توهموا منها-رحمهم الله- فناء النار، كقوله تعالى في حق أهل الجنة: ﴿ تح تخ تم تى﴾ [سورة هود: ١٠٨]، ولم يذكر ذلك في حق أهل الجنة، وغيرها من النصوص التي أوردوها، والتي كان استدلالهم بها على قولهم استدلالاً مرجوحاً، أما مأخذ الجهمية في ذلك، أن معلومات الله ومقدوراته لها بدية ونهاية، ومن ثم قالوا بفناء الجنة والنار؛ بناءً على هذا الأصل الفاسد.

وقد لخص ابن القيم أقوال الجهمية في الجنة والنار فقال:

وقضـــى بأن الله كـــان معطـــلا   والفعـــل ممتنـــع بـــلا إمكـــان
ثم اســتحال وصــار مقــدورا لــه   مــن غــير أمــر قــام بالــديان
بــل حالــه ســبحانه في ذاتــه   قبــل الحــدوث وبعــدها ســيان
وقضــى بأن النــار لم تخلــق ولا   جنــات عــدن بــل همــا عــدمان
فــإذا همــا خلقــا ليــوم معــادنا   فهنــا علــى الأوقــات فانيتــان
وتلطــف العــلاف مــن أتباعــه   فــأتى بضــحكة جاهــل مجــان
قــال الفنــاء يكــون في الحركـات لا   في الــذات واعجبــا لــذا الهــذيان
أيصــير أهــل الخلــد في جنــاتهم   وجحــيمهم كحجــارة البنيــان
مـا حـال مـن قـد كـان يغشـى أهلـه   عنــد انقضــاء تحــرك الحيــوان
وكـذاك مـا حـال الـذي رفعـت يـدا   ه أكلــة مــن صــفحة وخــوان
فتناهــت الحركــات قبــل وصــولها   للفــم عنــد تفــتح الأســنان
وكـذاك مـا حـال الـذي امتـدت يـد   منــه إلى قنــو مــن القنــوان
فتناهـت الحركـات قبـل الأخـذ هـل   يبقــى كــذلك ســائر الأزمــان
تبــا لهاتيــك العقــول فإنهــا   والله قــد مســخت علــى الأبــدان
تبـا لمـن أضـحى يقـدمها علـى ال   آثار والأخبــــار والقــــرآن

ومن رحمة الله ﷻ وكرمه ومنه على أهل السنة أنهم ما بين أجر وأجرين، ومن حكمة الله وعدله على مخالفيهم، أنهم ما بين وزر، ووزرين، فأهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان لا يتعمدون المخالفة للنصوص، وإنما يجتهدون ويقولون ما يظهر لهم من الأدلة، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المعنى وجلَّاه في كتابه: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، فراجعه فإنه نفيس، وأسال الله جَلَّوَعَلَا أن يرحمهم أحياء وميتين، وأن يجمعنا بهم في أعلى عليين، ومن حقهم علينا أن ندعوا لهم، ونذكرهم بالجميل، فهم الذين بلغونا هذا الدين. ومن أراد الاستزادة في هذا المبحث المهم، فلينظر: «حادي الأرواح»، لابن القيم (ص٣٤٥-٣٨٨) بتصرف، و «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار»، للصنعاني، و «دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب»، للشنقيطي (٩٣-٩٧)، عند كلامه على سورة الأنعام، و «كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار»، لعلي الحربي.

فتبين مما سبق أنه «ليس للجنة والنار آخر وأنهما لا تزالان باقيتين وكذلك أهل الجنة لا يزالون في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ليس لذلك آخر»(١).

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٢/٣٥٨)، وانظر: «معارج القبول»، لحافظ حكمي (٢/٨٦٤-٨٦٥).

الفصل الخامس: **المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالقدر في خطب** النبي – ﷺ –.

وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بعلم الله الازلي.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بكتابة الله –عز وجل–للأشياء في اللوح المحفوظ.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بمشيئة الله –عز وجل–.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بخلق الله لأفعال العباد.

المبحث الخامس. المسائل العقدية المتعلقة بالاستطاعة.

المبحث السادس: المسائل العقدية المتعلقة بالهداية

تمهيد

الإيمان بالقضاء والقدر من أهم ما يجب معرفته على المكلف، فهو من أسنى المقاصد، والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان، التي يرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها(١).

ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن به كما قال ابن عمر رضي الله عنهما: «... والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر... »(٢).

وقد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على إثباته، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة القمر: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٣٨].

ومن السنة حديث جبريل المشهور، وفيه: « وتؤمن بالقدر خير وشره»، وكذلك ما صحَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: كلَّ شيءٍ بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز»(٣).

والقدر في اللغة أصله من القَدْر، وهو مبلغ كل شيء، ويأتي بمعنى التقدير(٤).

وفي الشرع: «هو ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عز وجل قدَّر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم -

---

(١) انظر: «شفاء العليل»، لابن القيم (ص٢)

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان) (١ / ٢٨) برقم: (٨).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب القدر، باب كل شيء بقدر) (٨ / ٥١) برقم: (٢٦٥٥).

(٤) «مقاييس اللغة» (٦٢/٥).

سبحانه وتعالى - أنها ستقع في أوقات معلومة عنده جل وعلا، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها»(١).

وقد قسم أهل العلم القدر إلى مراتب أربعة، وهي:

العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

والقدر كغيره من أبواب الشريعة من التزم في تفهمه الكتاب والسنة نجا وأفلح، ومن رام في تفهمه غيرهما ضلَّ وخسر، لا سيما والقدر بحرٌ متلاطم لا ينجو فيه إلا من ركب سفينة الشرع(٢).

وتوارد أهل العلم من الصحابة ومن جاء بعدهم على تقرير هذه العقيدة العظيمة، والرد والتشنيع على من خالفها، فمن ذلك:

ما صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله ﷻ، وآمن بالقدر، فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحد الله تعالى، وكذب بالقدر، نقض التوحيد»(٣).

ويقول النووي رحمه الله: «وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»(٤).

وأما في الجاهلية فوجد منهم من يثبت القدر، وجعلوه في أشعارهم

يقول عمرو بن كلثوم في معلقته:

وإنا سوف تدركنا المنايا... مقدرة لنا ومقدرينا (١).

---

(١)«لوامع الأنوار البهية» (٣٤٨/١).

(٢) انظر: «شفاء العليل» (ص٣).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي (٧٤٢/٤).

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥٤/١-١٥٥)، و (١٧٤/١٤)، و (١٩٥/١٦-١٩٦) من نفس المصدر، وانظر: «فتح الباري» (٤٧٨/١١)، و (١١٨/١) و (٢٠٤/١٠) من نفس المصدر.

ونقل اللالكائي عن ثعلب قوله: «لا أعلم عربياً قدرياً قيل له: يقع في قلوب العرب القول بالقدر؟ قال: معاذ الله ما في العرب إلا مثبت القدر خيره وشره، أهل الجاهلية والإسلام ذلك في أشعارهم وكلامهم كثير.. »(٢).

فهم كانوا مقرين بالقدر غير مكذبين به، وذمهم الله ﷻ على الاحتجاج بالقدر على معاصيهم وشركهم، لا على تكذيبهم بالقدر(٣).

ولذلك كما أنه يجب الإيمان بالقدر، كذلك يجب الإيمان بالأمر والنهي، ولا يكن واحداً على حساب الآخر، ولكن من الجمع بينهما، ومن لم يجمع في الإيمان بينهما كانت عين إيمانه عوراء، وضل عن الصراط المستقيم في هذا الباب العظيم، ومن هنا نشأ طرفا الضلال في هذه المسألة العظيمة، وهما: الجبرية؛ إذ غلوا في إثبات القدر مما أداهم إلى تعطيل الشرع، والقدرية؛ إذ غلوا في إثبات الأمر والنهي؛ مما أداهم إلى نفي القدر، وهدى الله أهل الحق إلى الجمع بين القدر والشرع، وما كانوا ليهتدوا لولا أن هداهم الله(٤).

والإيمان بالقدر يورث العبد طمانينة وسعادة وسكينة وهداية، والعكس بالعكس، كما قال الله ﷻ ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ﴾ [سورة التغابن: ١١].

---

(١) «شرح المعلقات السبع»، للزوزني (ص٢١٦).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٥٩٣/٣)، وانظر: (٧٧٩/٤) حيث نقل شيئاً من أشعارهم في ذلك.

(٣) انظر: «الرد على البكري»، لابن تيمية (٣٥٣/١).

(٤) انظر: «التدمرية»، لابن تيمية (ص٢١٢-٢١٣).

قال علقمة رحمه الله في ذلك: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم»[١].

وقد بين النبي ﷺ في خطبه الشريفة هذا الركن العظيم من أركان الإيمان، أتمَّ بيان، وكان ذلك من تمام نصحه لأمته فصلوات الله وسلامه عليه.

وفيما يلي عرضٌ لأهم مباحث القدر التي وردت في خطبه ﷺ[٢].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٣٨/٨)، و«تفسير السعدي» (ص٨٦٧).

(٢) وللاستزادة في مباحث القدر ينظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، لابن القيم، وهو أصلٌ في هذا الباب، و «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ومذاهب الناس فيه» للدكتور/ عبدالرحمن المحمود، و «الإيمان بالقضاء والقدر»، للدكتور/محمد بن إبراهيم الحمد، و «القضاء والقدر» للدكتور/عمر سليمان الاشقر»، و «المختصر في عقيدة أهل السنة في القدر»، للدكتور/ إبراهيم الرحيلي.

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بعلم الله الأزلي.

العلم هو المرتبة الأولى من مراتب القدر، ومعناه: الإيمان بأن الله ﷻ عليمٌ بكل شيء، أزلاً وأبداً، علم ما الخلق عاملون، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأحوالهم وأعمالهم، وشقاوتهم وسعادتهم، وعلمه محيطٌ بكل شيء من شؤونهم(١).

ومن أدلة السنة على هذه المرتبة: ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: (الله أعلم بما كانوا عاملين)(٢).

قال النووي: « وفي قوله ﷺ (الله أعلم بما كانوا عاملين) بيان لمذهب أهل الحق أن الله علم ما كان وما يكون ما لا يكون لو كان كيف كان يكون»(٣).

وهذه المرتبة أنكرها غلاة القدرية؛ ولذلك قال الشافعي وغيره: «ناظروهم بالعلم، فإن اقروا به خُصموا، وإن أنكروه كفروا»(٤).

ولما كان الإيمان بعلم الله الأزلي بهذه المثابة؛ فقد بينه النبي ﷺ في خطبه الشريفة أتمَّ بيان، فمن ذلك ما ورد عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن أخت لعمرة قالت: (أخذت ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ من فِي رسول الله ﷺ، يوم الجمعة، وهو يقرأ بها على المنبر، في كل جمعة)(٥)، والشواهد من السورة الكريمة على إثبات علم الله ﷻ كثيرة منها:

أولاً/ قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾

---

(١) انظر: «معارج القبول»، لحافظ حكمي (٩٢١/٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين) (٨ / ١٢٢) برقم: (٦٥٩٧)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (٨ / ٥٤) برقم: (٢٦٦٠).

(٣) «شرح النووي على مسلم» (٢١١/١٦)، وانظر: «فتح الباري» (٢٤٧/٣).

(٤) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١٠٣/١).

(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ١٣) برقم: (٨٧٢) (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة).

بين سبحانه أنه عالم بكل ذرة من ذرات أجسادهم التي تنقصها الأرض منهم، فيعيدها كما كانت فيبعث ذلك الميت بجسده الذي كان عليه في الدنيا؛ لأن من عمَّ علمُه ولَطُف حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى، وتأكل من لحومهم وعظامهم، كيف يستبعد رجعه إياهم أحياء كما كانوا(١).

ثانياً/ قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦].

ففي الآية دلالة على إثبات علم الله ﷻ الأزلي الكامل، حيث «يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه، وعلمه محيط بجميع أموره، حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر»(٢).

قال ابن رجب ؒ: «ومعرفة الله أيضاً لعبده نوعان: معرفة عامة، وهي علمه سبحانه بعباده، واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه، كما قال: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾»(٣).

ثالثاً/ قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة ق: ٤٥].

«فقوله ﷻ: ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي: نحن علمنا محيطٌ بما يقول لك المشركون من التكذيب»(٤).

فتبين مما سبق أوجه دلالة الخطب النبوية على هذه المرتبة العظيمة من مراتب القدر، ألا وهي مرتبة العلم.

---

(١) انظر: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم-تفسير أبي السعود» (١٢٦/٨)، و«شرح حديث جبريل في تعليم أحكام الدين»، للشيخ عبدالمحسن العبَّاد (ص٤٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣٩٨/٧).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (٤٧٣/١).

(٤)«تفسير ابن كثير» (٤١٢/٧).

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بكتابة الله -عز وجل-للأشياء في اللوح المحفوظ.

الكتابة هي المرتبة الثانية من مراتب القدر، ومعناها: أن الله كتب كل شيء سبق به علمه في اللوح المحفوظ، والأدلة على هذه المرتبة كثيرة جداً، منها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة يس: ١٢].

قال ابن القيم: « والمقصود أن قوله ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الذكر الذي كتب فيه كل شيء يتضمن كتابة أعمال العباد قبل أن يعملوها والإحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها وحفظه لها والإحاطة بعددها وإثباتها فيه»(١).

وقوله: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة النمل: ٧٥].

ومن السنة قوله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء»(٢).

ومن أدلة هذه المرتبة في خطب النبي ﷺ، ما ثبت عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن أخت لعمرة قالت: (أخذت – ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ – من فِي رسول الله ﷺ، يوم الجمعة، وهو يقرأ بها على المنبر، في كل جمعة)(٣).

والشاهد من السورة على هذه المرتبة في قوله تعالى: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة ق: ٤].

---

(١) «شفاء العليل» (ص١١٢).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ) (٨ / ٥١) برقم: (٢٦٥٣).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ١٣) برقم: (٨٧٢) (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة).

والكتاب الحفيظ هو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل شيء مقدر(١).

وبهذا يتبين أهمية هذه المرتبة، من مراتب القدر، والتي أجمع عليها الصحابة، ومن جاء بعدهم من السلف الصالح.

قال ابن القيم رحمه الله: «وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة، فهو مكتوب في أم الكتاب»(٢).

ومقتضى الإيمان بهذه المرتبة هو العمل، وترك التواني والكسل؛ اتكالاً على أن كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، وهذا الإشكال قد يطرأ على أفاضل الناس، فيبين ما بينه النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم عندما أخبرهم فقال: (ما منكم من أحد، إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له)(٣).

---

(١) انظر: «تفسير الجلالين» (ص٦٨٨).

(٢) «شفاء العليل» (ص١١٥).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدرا مقدورا) (٨ / ١٢٣) برقم: (٦٦٠٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي فِي بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (٨ / ٤٦) برقم: (٢٦٤٧).

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بمشيئة الله -عز وجل-.

المشيئة هي المرتبة الثالثة من مراتب القدر، ومعناها: «الإيمان بأن ما شاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات»(١).

ومن الأدلة على هذه المرتبة:

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الإنسان: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة يونس: ٩٩].

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة النحل: ٩٣].

وقال ﷺ: « اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء»(٢).

وقال ﷺ: « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»(٣). وغير ذلك من الأدلة الكثيرة(٤).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤٩/٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة) (٩ / ١٣٩) برقم: (٧٤٧٦)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام) (٨ / ٣٧) برقم: (٢٦٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب القدر، باب تصريف الله تَعَالَى القلوب كيف شاء) (٨ / ٥١) برقم: (٢٦٥٤).

(٤) انظر: «شفاء العليل» (١١٩-١٣٦).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: « وقد اتفق أهل السنة على أنه لا يقع إلا ما يريده الله تعالى وأنه مريدٌ لجميع الكائنات وإن لم يكن آمراً بها»[1].

وقد جاءت خطب النبي ﷺ ببيان هذه المرتبة وتجليتها، فمن ذلك:

١/ ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو قائم على المنبر: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أعطي أهل التوراة التوراة، فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس، فأعطيتم قيراطين قيراطين. قال أهل التوراة: ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا؟ قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، فقال: فذلك فضلي **أوتيه من أشاء**»[2].

فقوله جل جلاله: (فذلك فضلي أوتيه من أشاء) فيه إثبات المشيئة لله جل جلاله، وذلك أن الله جل جلاله علّق فضله على مشيئته، وهو ظاهر من تبويب الإمام البخاري للحديث بقوله: (باب في المشيئة والإرادة)، وأورده ابن القيم من الأدلة على مرتبة المشيئة في كتابه «شفاء العليل»[3].

وقال المباركفوري[4] : « في الحديث دليل على أن الثواب للأعمال ليس على قدر التعب ولا على جهة الاستحقاق لأن العبد لا يستحق على مولاه لخدمته أجرة بل

---

(١) «فتح الباري» (١٣/٤٥١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة) (٩ / ١٣٨) برقم: (٧٤٦٧).

(٣) (١/١٢٦).

(٤) هو أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، عالم مشارك في أنواع من العلوم.

ولد في بلدة مباركفور من أعمال أعظمكره، ونشأ بها، وقرأ العلوم العربية والمنطق والفلسفة والهيئة والفقه وأصول الفقه على علماء كثيرين، من مؤلفاته: تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي توفي ١٣٥٣هـ

المولى يعطيه من فضله وله أن يتفضل على من يشاء من العبيد على وجه المزيد، فإنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد»(١).

٢/ وكذلك من أدلة المشيئة في خطب النبي ﷺ ما ثبت عن أبي قتادة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم **وتأتون الماء إن شاء الله غدا**... الحديث» هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري: « إن الله قبض أرواحكم **حين شاء وردها حين شاء**، فقضوا حوائجهم، وتوضؤوا إلى أن طلعت الشمس وابيضت، فقام فصلى»(٢).

فقوله ﷺ: (وتأتون الماء إن شاء الله غدا) في لفظ مسلم، وقوله: (إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء) في لفظ البخاري، فيه إثبات المشيئة لله ﷻ؛ حيث علق إتيان الماء، وقبض الأرواح وردها على المشيئة، وهذا الاستدلال ظاهر من صنيع الإمام البخاري في صحيحه؛ إذ أدرج الحديث تحت باب (في المشيئة والإرادة)، ومن صنيع ابن القيم في «شفاء العليل»(٣)؛ إذ أدرجه من الأدلة التي استدل بها على مرتبة المشيئة.

قال الشيخ عبدالعزيز الراجحي: « والشاهد قوله: (إن الله قبض أرواحكم إذا شاء، وردها إذا شاء) ففيه إثبات المشيئة لله تعالى»(٤).

٣/ حديث أبي أمامة ﷺ الطويل في قصة الدجال، وفيه: «.. فلا تبقى ذات ظلف(١) إلا هلكت **إلا ما شاء الله**... »الحديث(٢).

---

(١) «تحفة الأحوذي» (١٤٣/٨).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة) (٩ / ١٣٩) برقم: (٧٤٧١)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة) (٢ / ١٣٨) برقم: (٦٨١)، واللفظ له.

(٣) (١٣٠/١).

(٤) «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ص١١٢).

فقوله ﷺ: (إلا ما شاء الله)، فيه دلالة على إثبات المشيئة لله ﷻ، ووجه الدلالة فيه أن المستثنى من الهلاك إنما كان بمشيئة الله ﷻ.

وبهذا يتبين عظيم هذه المرتبة من مراتب القدر، وقد نوَّه غير واحدٍ من أهل العلم على أهميتها، فمن ذلك ما قاله ابن القيم رحمه الله موضحاً أهمية مرتبة المشيئة، وعظم شأنها-قال: «وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل، من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»(٣).

وأختم هذا المبحث بأبيات للشافعي رحمه الله في المشيئة استحسنها غيرُ واحدٍ من أهل العلم، يقول فيها:

« ما شئتَ كان وإن لم أشأ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

خلقتَ العباد على ما علمتَ... ففي العلم يجري الفتى والمسن

على ذا مننتَ وهذا خذلت... وهذا أعنتَ وذا لم تعن

فمنهم شقي ومنهم سعيد... ومنهم قبيح ومنهم حسن»(٤).

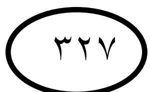
---

(١) الظلف للبقر والغنم كالحافر للفرس والبغل، والخف للبعير. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١٥٩/٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «شفاء العليل» (ص١١٩)، وانظر: (ص١٣٦) من نفس المصدر.

(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي (٧٧٦/٤).



المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بخلق الله لأفعال العباد.

الخلق هو المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر، ومعناه: الإيمان بأن الله ﷻ خلق جميع الكائنات بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، وبأن كل من سوى الله مخلوق موجد من العدم، كائن بعد أن لم يكن[1].

ومن الأدلة على هذه المرتبة من النصوص:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [سورة الزمر: ٦٢].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [سورة الصافات: ٩٦].

قال البغوي: « فيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى»[2].

وقال تعالى: ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٧﴾ [سورة الأنفال: ١٧].

قال ابن كثير: «يبين تعالى أنه خالق أفعال العباد، وأنه المحمود على جميع ما صدر عنهم من خير؛ لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم»[3].

و من السنة ما ثبت عن حذيفة ﵁[4]

(١) انظر: «معارج القبول»، لحافظ حكمي (٩٤٠/٣)، و«الإيمان بالقضاء والقدر»، للحمد (ص٤٨).

(٢) «تفسير البغوي» (٤٥/٧)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٢٦/٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣٠/٤).

(٤) هو أبو عبدالله حذيفة بن اليمان حِسْل بن جابر العبسي (واليمان لقب أبيه)، من كبار أصحاب النبي ﷺ ونجبائهم، وأمين سره، توفي سنة ٣٦هـ. انظر: «الإصابة» (٣٩/٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٣٦١/٢).

قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله خالق كل صانع وصنعته)(١).

قال الإمام البخاري عقب إيراده لهذا الحديث: « فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة»(٢).

وعن ابن عباس قال سمعت مُحَمَّدا ﷺ يقول: «من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ»(٣).

قال الحافظ ابن حجر: « واستدل به على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى للحوق الوعيد بمن تشبه بالخالق فدل على أن غير الله ليس بخالق حقيقة»(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق فقال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى مرتين»(٥).

---

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (كِتَابُ الْإِيمانِ، إن الله خالق كل صانع وصنعته) (١ / ٣١) برقم: (٨٦)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حجر، في «فتح الباري» (٤٩٨/١٣)، والألباني في «الصحيحة» (١٨١/٤) برقم: (١٦٣٧)، وأخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" (١٦٦/٢) برقم: (١٢٤).

(٢) «خلق أفعال العباد» (٦٦/٢) برقم: (١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب اللباس، باب من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ) (٧ / ١٦٩) برقم: (٥٩٦٣)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة) (٦ / ١٦١) برقم: (٢١١٠).

(٤) «فتح الباري» (٣٩٤/١٠)، وانظر: (٤٩١/١٣-٤٩٦) من نفس المصدر.

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله) (٨ / ١٢٦) برقم: (٦٦١٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ) (٨ / ٤٩) برقم: (٢٦٥٢).

قال الحافظ ابن حجر: « فيه حجة لأهل السنة في إثبات القدر وخلق أفعال العباد»[١].

وقد جاءت خطب النبي ﷺ بإثبات خلق الله ﷻ لأفعال العباد، ومن ذلك:

١/ ما ثبت عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال «كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار... ثم خطب فقال ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي **خلقكم** من نفس واحدة﴾ ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾.... الحديث»[٢].

٢/ وكذلك ما ثبت عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإني **خلقت عبادي** حنفاء كلهم.... الحديث) [٣].

٣/ وما ثبت عن ابن عمر (أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ[٤] الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلاًن بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم **وخلق الله آدم** من تراب قال الله ﴿يا أيها الناس **إنا خلقناكم** من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾) [٥].

---

(١) «فتح الباري» (٥١٢/١١).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) (٣ / ٨٦) برقم: (١٠١٧).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) (٨ / ١٥٨) برقم: (٢٨٦٥)

(٤) عبية الجاهلية يعني الكبر. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١٦٨/٣).

(٥) سبق تخريجه.

٤/ وما ثبت عن المطلب بن أبي وداعة[١] رضي الله عنهما قال: جاء العباس إلى رسول الله ﷺ، فكأنه سمع شيئا، فقام النبي - ﷺ - على المنبر، فقال: (من أنا؟ " فقالوا: أنت رسول الله، عليك السلام، قال: أنا مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب، **إن الله خلق الخلق** فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين، فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل، فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا، فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نسبا)[٢].

ففي الأحاديث السابقة دلالة ظاهرة بينة على خلق الله لأفعال العباد؛ إذ فيها تنصيص على خلق الله للعباد، وذلك في قوله تعالى: (خلقكم)، وفي الحديث الثاني: (خلقت عبادي)، وفي الحديث الثالث في قوله ﷺ: (وخلق الله آدم)، وفي الرابع قوله تعالى: (إنا خلقناكم)، وإذا كان هو خالقهم؛ فهو خالق أفعالهم ﷻ.

ونقل الإمام البخاري بسنده عن يحيى بن سعيد قوله: « ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة، ثم عقب البخاري قائلاً: حركاتهم -أي العباد- وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة»[٣].

٥/ وكذلك ما ثبت عن عمرو بن تغلب قال: «أتى النبي ﷺ مال، فأعطى قوما ومنع آخرين، فبلغه أنهم عتبوا، فقال: إني أعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي، أعطي أقواما لما **في قلوبهم من الجزع والهلع**، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب فقال عمرو: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم»[٤].

---

(١) هو أبو عبد الله المطلب بن أبي وداعة الحارث بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم القرشى، السهمى، صاحب النبي ﷺ. انظر: «الإصابة» (٦/١٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" (أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم) (٦ / ٧) برقم: (٣٦٠٨)، وقال حديث حسن.

(٣) «خلق أفعال العباد» (٢/٦٦) برقم: (١٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى إن الإنسان خلق هلوعا) (٩ / ١٥٦) برقم: (٧٥٣٥).

فقوله ﷺ (لما في قلوبهم من الجزع والهلع)، فيه دلالة على خلق الله لأفعال العباد، ووجه الدلالة أن الله ﷻ خلق الإنسان بأخلاقه، بما في ذلك الجزع والهلع.

قال ابن بطال: « قال المهلب: معنى هذا الباب إثبات خلق الله للإنسان بأخلاقه التي خلقه عليها من الهلع، والمنع، والإعطاء، والصبر على الشدة، واحتسابه ذلك على الله ﷻ»(١).

وقال الحافظ ابن حجر-في تعليقه على هذا الحديث-: « فإن قصد البخاري أن الصفات المذكورة بخلق الله تعالى في الإنسان لا أن الإنسان يخلقها بفعله»(٢).

وبالرغم من أن كون الله ﷻ خالق كل شيء- أمرٌ مستقر في فطر الناس مسلمهم وكافرهم(٣)، إلا أنه وُجد في تاريخ المسلمين من يزعم أن أفعال العباد مخلوقة لهم، غير مخلوقة لله-تعالى الله عن قولهم-، وهم القدرية.

قال ابن القيم «المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة خلق الله سبحانه الأعمال وتكوينه وإيجاده لها.

وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم، وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار، وخالف في ذلك مجوس الأمة، فأخرجت طاعات ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، وهي أشرف ما في العالم، عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته، بل جعلوهم هم الخالقين لها، ولا تعلق لها بمشيئته، ولا تدخل تحت قدرته، وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الاختيارية، فعندهم أنه سبحانه لا يقدر أن يهدي ضالاً، ولا يضل مهتدياً، ولا يقدر أن يجعل المسلم مسلما والكافر كافراً والمصلي مصلياً، وإنما ذلك بجعلهم أنفسهم كذلك، لا بجعله تعالى»(٤).

---

(١) «شرح صحيح البخاري» (٥٣٥/١٠).

(٢) «فتح الباري» (٥١١/١٣).

(٣) انظر: «التدمرية» (ص١٨٠).

(٤) «شفاء العليل» (١٣٧/١).

وهدى الله أهل السنة إلى الصواب، فجمعوا بين كون الله خالقاً لأفعال العباد، وبين كون العباد فاعلين حقيقة، ولهم قدرة ومشيئة، وهذه القدرة، والمشيئة تابعة لمشيئة الله، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التكوير: ٢٩].

قال شيخ الإسلام: « أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها كما نص على ذلك سائر أئمة الإسلام »(١).

(١) «مجموع الفتاوى» (٤٠٦/٨)، وانظر: (٤٤٩/٨)، و (١١٧/٨-١٢٤)، من نفس المصدر، وهو موضع نفيس للغاية في بسط المسألة، والرد على المخالفين فيها، و «منهاج السنة» (٣١/٣)، و«تفسير المنار»، لمحمد رشيد رضا (١٥٥/٤-١٥٦)، و (٢١٥/٨)، و«لوامع الأنوار البهية» (٣١٣/١-٣١٤) للسفاريني، و «أضواء البيان»، لمحمد الأمين الشنقيطي (١٦١/٧).

المبحث الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بالاستطاعة.

الاستطاعة في باب القدر معناها، إثبات أن العبد له استطاعة على الفعل، وقدرة عليه، والاستطاعة التي يثبتها أهل السنة في هذا الباب نوعان:

الأولى: الاستطاعة الشرعية، وتكون قبل الفعل، وهي مناط التكليف، والشرع معلقٌ بها.

ومن أدلتها:

١/ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ٩٧].

٢/ وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ ﴿١٦﴾﴾ [سورة التغابن: ١٦].

فأمر بالتقوى بمقدار الاستطاعة، ولو أراد الاستطاعة المقارنة لما وجب على أحد من التقوى إلا ما فعل فقط إذ هو الذي قارنته تلك الاستطاعة.

٣/ وقول النبي ﷺ لعمران بن حصين ﵁(١): (صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب)(٢).

فكل أمر علق في الكتاب والسنة وجوبه بالاستطاعة، وعدمه بعدمها لم يرد به المقارنة للفعل، وإلا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلا على من فعلها وقد أسقطها عمن لم يفعلها فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور.

الثانية: الاستطاعة الكونية المقارنة الموجبة للفعل، والتي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل.

---

(١) هو أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، صاحب النبي ﷺ، توفي سنة٥٢هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/٥٠٨)، و«معجم الصحابة» (٢/١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (أبواب تقصير الصلاة، باب صلاة القاعد) (٢ / ٤٧) برقم: (١١١٥).

ومن أدلتها:

١/ قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة هود: ٢٠].

٢/ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ [سورة الكهف: ١٠١][(١)].

ومن الخطب النبوية التي جاء فيها إثبات الاستطاعة:

١/ ما ثبت عن عقبة بن عامر ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿ وأعدوا لهم **ما استطعتم** من قوة ﴾، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[(٢)].

والشاهد من الحديث في قوله تعالى: (ما استطعتم)، ووجه الدلالة منه في كون الله ﷻ أمر «بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة»[(٣)]، وهذه الاستطاعة هي التي تكون قبل الفعل، والتي هي مناط التكليف.

٢/ وكذلك ما ثبت عن أبي هريرة ﵁ قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت: نعم، لوجبت، **ولما استطعتم**، ثم قال:

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٨/٣٧٢-٣٧٣)، و (٨/١٢٩-١٣٠)، و (٨/٢٩٠-٢٩٣)، و «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية (١/٦٠-٦٢)، و «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز (٢/٦٣٣-٦٣٥)، و «القضاء والقدر»، لعبدالرحمن المحمود (ص٢٦٥-٢٧٢)

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثُمَّ نسيه) (٦ / ٥٢) برقم: (١٩١٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/٨٠).

ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه **ما استطعتم**، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»(١).

فقوله ﷺ: (ولما استطعتم)، فيه إخبارٌ بعدم استطاعة المكلف الحج كل عام، وهذه هي الاستطاعة المتعلقة بالقدر، وهي التي تكون مصاحبة للفعل.

وقوله ﷺ (فأتوا منه ما استطعتم)، ووجه الدلالة منه أن الأوامر الشرعية، مطلوب من العبد أن يأتي بها قدر استطاعته، وهذه هي الاستطاعة التي تكون قبل الفعل، مجوزة ومصححة له، وهذا مطرد في كل أمر علق الله وجوبه على الاستطاعة فيقصد بها الاستطاعة التي تكون قبل الفعل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: « فإن كل أمر علق في الكتاب والسنة وجوبه بالاستطاعة، وعدمه بعدمها لم يرد به المقارنة وإلا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلا على من فعلها وقد أسقطها عمن لم يفعلها فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور »(٢)

٣/ وكذلك ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (صعد النبي ﷺ المنبر، وكان آخر مجلس جلسه متعطفا ملحفة على منكبيه، قد عصب رأسه بعصابة دسمة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إلَّي، فثابوا إليه، ثم قال: أما بعد، فإن هذا الحي من الأنصار، يقلون ويكثر الناس، فمن ولي شيئا من أمة مُحَّد ﷺ، **فاستطاع** أن يضر فيه أحداً أو ينفع فيه أحداً، فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيهم»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٩ / ٩٤) برقم: (٧٢٨٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب فرض الحج مرة فِي العمر) (٤ / ١٠٢) برقم: (١٣٣٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٧٣/٨).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد) (٢ / ١١) برقم: (٩٢٧).

فقوله ﷺ: (فاستطاع)، فيه دلالة على إثبات الاستطاعة الشرعية، والتي تكون قبل الفعل.

وبهذا يتبين أن خطب النبي ﷺ قد دلت على نوعي الاستطاعة، وأن هناك استطاعة قبل الفعل، بمعنى سلامة الآلات، وهي مناط التكليف، والأخرى تكون مقارنة للفعل، وهي مناط القدر.

المبحث السادس: المسائل العقدية المتعلقة بالهداية والإضلال.

الهداية والإضلال في باب القدر، معناهما: الإيمان بأن الله يهدي من يشاء من عباده منة منه وفضلاً، ويضل من يشاء حكمة منه وعدلاً، فالهداية والإضلال بيده سبحانه، ولا يظلم ربك أحداً.

وتواردت نصوص الكتاب والسنة على تفرد الله ﷻ بالهداية والإضلال فمن ذلك:

١/ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة النحل: ٩٣].

٢/ وقوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴿٨﴾﴾ [سورة فاطر: ٨].

٣/ وقوله ﷻ في الحديث القدسي: ((يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم))(١).

ويقول ابن القيم ؒ مبيناً عظيم هذه المسألة: «وقد اتفقت رسل الله، من أولهم إلى آخرهم، وكتبه المنزلة عليهم، على أنه سبحانه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي؛ فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه»(٢).

ولما كانت مسألة الهداية والإضلال من المسائل المهمة، والتي يتوقف على فهمها ثمرات جليلة في باب القدر-لما كانت كذلك بينها النبي ﷺ في خطبه الشريفة أتم بيان، فمن ذلك:

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم) (٨ / ١٦) برقم: (٢٥٧٧).

(٢) «شفاء العليل» (١/١٧٩)، وانظر: «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز (١/١٣٧).

١/ ما ثبت عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: (من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له..)[١].

فالحديث فيه تنصيصٌ على كون الهداية والإضلال بيده سبحانه، ولهذا لما سمع ضمادٌ الأزدي رضي الله عنه هذه الكلمات من النبي ﷺ كانت سبب إسلامه[٢].

٢/ وكذلك ما ثبت عن جابر رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (مهل أهل المدينة من ذي الحليفة، ومهل أهل الشام من الجحفة، ومهل أهل اليمن من يلملم، ومهل أهل نجد من قرن، ومهل أهل المشرق من ذات عرق، ثم أقبل بوجهه الأفق، ثم قال: **اللهم أقبل بقلوبهم**)[٣].

فقوله ﷺ: (اللهم أقبل بقلوبهم) فيه دلالة على تفرد الله جل جلاله بالهداية والإضلال، وذلك أن النبي ﷺ دعا الله جل جلاله بأن يهديهم؛ لأنه وحده هو الذي يملك الهداية.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة) (٣ / ١١) برقم: (٨٦٧).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة) (٣ / ١١) برقم: (٨٦٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (أن ضماداً قدم مكة. وكان من أزد شنوءة. وكان يرقي من هذه الريح. فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن مُحَّداً مجنون. فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي. قال: فلقيه. فقال: يا مُحَّد! إني أرقي من هذه الريح. وإن الله يشفي على يدي من شاء. فهل لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن مُحَّدا عبده ورسوله. أما بعد. قال فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء. فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثلاث مرات. قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء. فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء. ولقد بلغن ناعوس البحر. قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام. قال فبايعه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعلى قومك قال: وعلى قومي. قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فمروا بقومه. فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئا؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة. فقال: ردوها. فإن هؤلاء قوم ضماد).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب مواقيت الحج والعمرة) (٤ / ٧) برقم: (١١٨٣) دون قوله: ومهل أهل المشرق إلى آخره، وابن ماجه في "سننه" (أبواب المناسك، باب مواقيت أهل الآفاق) (٤ / ١٥٥) برقم: (٢٩١٥)، والسياق له، وصححه الألباني في «إرواء الغليل»(٤/١٧٥-١٧٦).

٣/ وأيضاً ما ثبت عن عبد الله بن زمعة: (أنه سمع النبي ﷺ يخطب، وذكر الناقة والذي عقر، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾... الحديث)[١].

فقوله ﷺ: (انبعث أشقاها)، فيه دلالة على أن الهداية والإضلال بيد الله تبارك وتعالى، وذلك أن الذي انبعث لقتل الناقة، هو أشقى القوم وهو قُدَار بن سالف، فعن عمَّار بن ياسر[٢]، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال لهما: (ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه – يعني قرنه – حتى تبتل هذه من الدم – يعني لحيته –)[٣].

وإذا ثبت شقاؤه؛ ثبت أن الذي أشقاه هو الذي هدى غيره ﷻ، لا يُسأل عما يفعل، وهم يسألون.

٤/ وما ثبت عن عبد الله بن عمر، وأبي هريرة رضي الله عنهم أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: على أعواد منبره «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات. أو **ليختمن الله** على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب تفسير القرآن، سورة والشمس وضحاها) (٦ / ١٦٩) برقم: (٤٩٤٢)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) (٨ / ١٥٤) برقم: (٢٨٥٥).

(٢) هو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي، مولى بنى مخزوم، صاحب رسول الله ﷺ، وهو من السابقين وممن شهد بدراً، وكان ممن يعذّب في اللّه هو و أبوه وأمه. رضي الله عنهم، توفي سنة٣٧هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤٠٦/١)، و «الإصابة» (٤٧٣/٤).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" (كتاب الخصائص، ذكر أشقى الناس) (٧ / ٤٦٤) برقم: (٨٤٨٥)، والحاكم في "مستدركه" (كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وجه تلقيب علي بأبي تراب) (٣ / ١٤٠) برقم: (٤٧٠٤)، وأحمد في "مسنده" (أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما) (٨ / ٤١٦٥) برقم: (١٨٦١١)، والحديث صححه الألباني في: «السلسلة الصحيحة» (٣٢٤/٤) برقم: (١٧٤٣).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب التغليظ فِي ترك الجمعة) (٣ / ١٠) برقم: (٨٦٥).

فقوله ﷺ (أو ليختمن الله على قلوبهم)، فيه دلالة على تفرد الله ﷻ بالهداية والإضلال، وذلك أن النبي ﷺ أضاف الختم على القلوب المقتضي لإضلال من ترك الجمعة-أضافه لله؛ لأنه هو الذي يملك الهداية والإضلال.

والختم أصله الطبع(١)، وفي الحديث دلالة واضحة لأهل السنة على أن الإضلال من فعل الله ﷻ، وليس من فعل العبد، وقد رد ابن جرير على من يقولون بخلاف ذلك، وأن الإضلال من فعل العبد، فقال في تفسيره لآية البقرة: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾- قال: « وهذه الآية من أوضح الدليل على فساد قول المنكرين تكليف ما لا يطاق إلا بمعونة الله، لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه ختم على قلوب صنف من كفار عباده وأسماعهم، ثم لم يسقط التكليف عنهم، ولم يضع عن أحد منهم فرائضه، ولم يعذره في شيء مما كان منه من خلاف طاعته بسبب ما فعل به من الختم والطبع على قلبه وسمعه - بل أخبر أن لجميعهم منه عذابا عظيما على تركهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه من حدوده وفرائضه، مع حتمه القضاء عليهم مع ذلك، بأنهم لا يؤمنون»(٢).

وقال الشوكاني: « وإسناد الختم إلى الله قد احتج به أهل السنة على المعتزلة»(٣).

وهذا وعيد شديد على ترك الجمعة.

وقال ابن عبدالبر: « والختم على القلوب مثل الطبع عليها وهذا وعيد شديد لأن من طبع على قلبه وختم عليه لم يعرف معروفاً ولم ينكر منكراً»(٤).

وبهذا يكون قد انتهى الكلام على أهم مسائل القدر التي وردت في خطب النبي ﷺ، والتي لا غنى لمسلم عن تفهمها، وتعقلها.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٥٨/١).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٦٢/١)، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (١٨٦/١-١٨٧).

(٣) «فتح القدير» (٤٦/١)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (١٧٤/١)، و «محاسن التأويل»، للقاسمي (٢٤٧/١).

(٤) «الاستذكار» (٥٥/٢).

وقد يظن بعض الجهال أن عدم هداية الله ﷻ لبعض عباده ظلماً لهم!

وقد أجاب عن هذا الاستشكال غير واحدٍ من أهل العلم، يقول ابن القيم: «فإن قيل: كيف تقوم حجته عليهم، وقد منعهم من الهدى، وحال بينهم وبينه.

قيل: حجته قائمة عليهم بتخليته بينهم وبين الهدى، وبيان الرسل لهم، وإراءتهم الصراط المستقيم حتى كأنهم يشاهدونه عياناً، وأقام لهم أسباب الهداية ظاهراً وباطناً، ولم يحل بينهم وبين تلك الأسباب، ومن حال بينه وبينها منهم بزوال عقل أو صغر لا تمييز معه أو كونه بناحية من الأرض لم تبلغه دعوة رسله، فإنه لا يعذبه حتى يقيم عليه حجته، فلم يمنعهم من هذا الهدى، ولم يحل بينهم وبينه. نعم قطع عنهم توفيقه، ولم يرد من نفسه إعانتهم والإقبال بقلوبهم إليه، فلم يحل بينهم وبين ما هو مقدور لهم، وإن حال بينهم وبين ما لا يقدرون عليه، وهو فعله ومشيئته وتوفيقه، فهذا غير مقدور لهم، وهو الذي مُنعوه، وحيل بينهم وبينه، فتأمل هذا الموضع، واعرف قدره، والله المستعان»(١).

وقال أيضاً: « قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة فصلت: ١٧].

فهداهم هدى البيان والدلالة، فلم يهتدوا، فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولاً، بعد أن عرفوا الهدى، فأعرضوا عنه، فأعماهم عنه، بعد أن أراهموه، وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة، فكفرها، فإنه يسلبه إياها»(٢).

ويقول شيخ الإسلام: « والله تعالى غني عن العباد إنما أمرهم بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم، فهو محسن إلى عباده بالأمر لهم، محسن لهم بإعانتهم على الطاعة.

---

(١) «شفاء العليل» (ص٢١٦)، وانظر: (ص٦٨٢) من نفس المصدر، و «منهاج السنة النبوية» (٣/٣٨-٣٩)، و«مجموع الفتاوى» (١٤/٣٣١-٣٣٣)، و«المختصر في عقيدة أهل السنة في القدر» للدكتور/ إبراهيم الرحيلي (ص٤٩-٥١).

(٢) «شفاء العليل» (ص٢١٥).

ولو قدر أن عالماً صالحاً أمر الناس بما ينفعهم ثم أعان بعض الناس على فعل ما أمرهم به، ولم يعن آخرين لكان محسناً إلى هؤلاء إحساناً تاماً، ولم يكن ظالماً لمن لم يحسن إليه، وإذا قدر أنه عاقب المذنب العقوبة التي يقتضيها عدله وحكمته لكان أيضا محموداً على هذا وهذا وأين هذا من حكمة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين.

فأمره لهم إرشاد وتعليم وتعريف بالخير، فإن أعانهم على فعل المأمور كان قد أتم النعمة على المأمور وهو مشكور على هذا وهذا، وإن لم يعنه وخذله حتى فعل الذنب كان له في ذلك حكمة أخرى وإن كانت مستلزمة تألم هذا فإنما تألم بأفعاله الاختيارية التي من شأنها أن تورثه نعيماً أو ألماً وإن كان ذلك الإيراث بقضاء الله وقدره فلا منافاة بين هذا وهذا فجعله المختار مختارا من كمال قدرته وحكمته وترتيب آثار الاختيار عليه من تمام حكمته وقدرته لكن يبقى الكلام في نفس الحكمة الكلية في هذه الحوادث فهذه ليس على الناس معرفتها ويكفيهم التسليم لما قد علموا أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها

ومن المعلوم ما لو علمه كثير من الناس لضرهم علمه ونعوذ بالله من علم لا ينفع وليس اطلاع كثير من الناس بل أكثرهم على حكم الله في كل شيء نافعا لهم بل قد يكون ضارا قال تعالى ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾

وهذه المسألة مسألة غايات أفعال الله ونهاية حكمته مسألة عظيمة لعلها أجل المسائل الإلهية »(١).

وأختم هذا المبحث بكلام نفيس لابن قتيبة رحمه الله يقول:

« وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدلٌ لا يجور: كيف خلق، وكيف قدر، وكيف أعطى، وكيف منع، وأنه لا يخرج من قدرته شيء ولا يكون في ملكوته من السموات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دين لأحد عليه ولا حق لأحد قبله، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل، وأن العباد يستطيعون ويعملون ويجزون بما يكسبون، وأن لله

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٣/٣٨-٣٩).

لطيفة يبتدئ بها من أراد ويتفضل بها على من أحب، ويوقعها في القلوب فيعود بها إلى طاعته ويمنعها من حقت عليه كلمته فهذه جملة ما ينتهي إليه علم ابن آدم من قدر الله ﷻ وما سوى ذلك مخزون عنه»[1].

(١) «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة » (ص٣٥-٣٦).

الباب الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالصحابة والإمامة في خطب النبي -ﷺ-.

وتحته فصلان:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالصحابة في خطب النبي -ﷺ-.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإمامة.

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالصحابة في خطب النبي - ﷺ -.

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بفضل الصحابة على وجه العموم.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بفضل المهاجرين.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بفضل الأنصار.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بفضل أعيان من الصحابة.

المبحث الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بتحريم سب الصحابة.

تمهيد

من المباحث المهمة والتي دونها أهل السنة في كتب الاعتقاد، مبحث الصحابة، وما ثبت لهم من فضل، وحكم من تنقصهم، والواجب علينا تجاههم.

وما ذاك إلا لأنه نبتت طوائف من أهل البدع، ضلوا في باب الصحابة، إما بإفراط أو بتفريط، وهدى الله أهل السنة للقول الحق والصواب في هذا الباب، وفي غيره؛ لأن من أصول منهجهم في الاستدلال –في باب الاعتقاد وفي غيره– أنهم يتبعون ما دلت عليه الآيات الكريمات، وما صحَّ من سنة النبي ﷺ، ويفهمونهما كما فهمه الصحابة ﷺ، ومن جاء بعدهم من سلف هذه الأمة، ولا يعارضون ذلك بأهوائهم، ولا بعقولهم، ولا بأقوال الرجال، فكانوا هم الأمة الوسط في كل باب من أبواب الدين.

والصحابة في اللغة من (صحب)، قال ابن فارس: «الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربته »(١).

وفي الاصطلاح: عرف العلماء الصحابي بعدة تعاريف لا تخلو من مقال، ولعل من أسلمها تعريف الحافظ ابن حجر، قال: «وهو من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة في الأصح»(٢).

والصحابة ﷺ تواتر فضلهم في الكتاب والسنة، فمن ذلك:

قوله الله ﷻ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

(١) «مقاييس اللغة» (٣/٣٣٥).

(٢) انظر: «نزهة النظر» (ص١٤٠-١٤٢)، وهو قريب من تعريف الإمام البخاري في صحيحه، حيث قال: «من صحب النبي ﷺ، أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه» (٥/٢). ولكن الزيادة عليه في تعريف الحافظ، إضافة (تخلل الردة).

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية–قال: «فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة، رضي الله عنه فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم، عياذاً بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبون من رضي الله عنهم؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون»(١).

وقال جل جلاله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب حدثنا الحميدي ومحمد بن عبد الله) (٥ / ٨) برقم: (٣٦٧٣)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ررضي الله عنهم) (٧ / ١٨٨) برقم: (٢٥٤١).

من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم)(١).

قال ابن بطال: «.. يفتح للصحابة لفضلهم.. »(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) (٥ / ٢) برقم: (٣٦٤٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ثُمَّ الذين يلونهم) (٧ / ١٨٣) برقم: (٢٥٣٢)، ومن أراد الاستزادة من الأدلة التي تدل على فضل الصحابة، ينظر: «كتاب فضائل الصحابة»، من صحيحي البخاري ومسلم، و «فضائل الصحابة» للنسائي، و «فضائل الصحابة»، للدارقطني، و «فضائل الصحابة»، لأحمد بن حنبل، و «كتب العقيدة المسندة»، لا يخلو كتاب منها من عقد مبحث عن فضائل الصحابة عموما وأعياناً، و «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم»، وهي رسالة دكتوراه، للباحث/ ناصر بن علي عائض حسن الشيخ.

(٢) «فتح الباري» (٦/٨٩).

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بفضل الصحابة على وجه العموم.

سبق الكلام عن فضل الصحابة على وجه العموم بشكل موجز، ولا بأس هنا بنقل كلام بعض أهل العلم في شأن الصحابة وفضلهم، وعدالتهم، وأن ذلك أمرٌ مجمع عليه.

قال الإمام أبوعبد الله أحمد بن حنبل: «إنما الشيعة لآل مُحَّد المتقون أهل السنة والأثر من كانوا وحيث كانوا الذين يحبون آل مُحَّد - ﷺ - وجميع أصحاب مُحَّد - ﷺ - ولا يذكرون أحدا منهم بسوء ولا عيب ولا منقصة فمن ذكر أحدا من أصحاب مُحَّد ﷺ بسوء أو طعن عليهم أو تبرأ من أحد منهم أو سبهم أو عرض بعيبهم فهو رافضي خبيث مخبث»(١).

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي في عقيدته: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»(٢).

---

(١) «السنة » برواية الأصطخري، انظر: «طبقات الحنابلة»، لأبي يعلى (٣٣/١).

(٢) «شرح الطحاوية» (٦٨٩/٢).

وقال النووي: « اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم ﷺ أجمعين»(1).

وقال العلائي(2) : « والذي ذهب إليه جمهور السلف والخلف، أن العدالة ثابتة لجميع الصحابة ﷺ، وهي الأصل المستصحب فيهم، إلى أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد منهم لما يوجب الفسق مع علمه، وذلك مما لم يثبت صريحاً عن أحد منهم، بحمد الله فلا حاجة إلى البحث عن عدالة من ثبتت له الصحبة ولا الفحص عنها بخلاف من بعدهم..... [و]لم يخالف في عدالة الصحابة من حيث الجملة أحد من أهل السنة... — ثم ذكر من أوجه تعديلهم-... أن من اشتهر بالإمامة في العلم والدين، كمالك والسفيانين والشافعي والبخاري ومسلم، وأمثالهم لا يحتاج إلى التعديل، ولا البحث عن حاله بالاتفاق، وهو عمل مستمر لا نزاع فيه، فالصحابة ﷺ أولى بذلك؛ لما تواتر عنهم واشتهر من حالهم في الهجرة والجهاد، وبذل المهج والأولاد، وقتل الآباء والأولاد والأقرباء والأهل، ومفارقة الأوطان والأموال-كل ذلك في موالاة النبي ﷺ

---

(1) «شرح النووي على مسلم» (١٥/١٤٩)، وانظر: من نفس الكتاب (١٥/١٤٨-١٦/٩٦)، كتاب: فضائل الصحابة، و «كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، من صحيح البخاري، مع شرحه لابن حجر» (٧/٣-١٤٥)، وانظر: «معرفة أنواع علوم الحديث-المعروف بمقدمة ابن الصلاح-» (ص٢٩٤)، و«تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة»، للحافظ العلائي (٦٠-١٠٦) حيث عقد فصلاً في عدالة الصحابة، وأوجه عدالتهم، ورد على الشبه التي يتعلق بها من يطعن في عدالتهم، وانظر: «الإصابة في تمييز الصحابة »، لابن حجر (١/٢٣-٢٨)، و «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم»، للباحث/ ناصر بن علي عائض حسن (٢/٨١١-٨١٤)، حيث ذكر نقولات طيبة عن أهل العلم في عدالة الصحابة وفضلهم، والثناء عليهم.

(2) هو صلاح الدين خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقيّ الشافعي، أبو سعيد: محدث، فاضل، بحاث مشارك في أنواع العلوم، من مؤلفاته: (تنقيح الفهوم في صيغ العموم)، توفي سنة (٧٦١هـ). انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/٣٥).

نواع

(1) «تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة» (ص٦٠، ٨٧، ٨١).

ونصرته لله خالصاً، ثم ما كانوا عليه دائما من اشتدادهم في أمور الدين؛ بحيث لا تأخذهم فيه لومة لائم، ومواظبتهم على نشر العلم وفتح البلاد، وتدويخ الأمصار.. »[1].

ومما ثبت عن النبي ﷺ من خطب في فضل الصحابة:

١/ عن المسور بن مخرمة: (أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: أحب الحديث إلي أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال، وقد كنت استأنيت بهم، وقد كان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سبينا، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل، **فقال الناس: قد طيبنا ذلك لرسول الله ﷺ لهم**، فقال رسول الله ﷺ: إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفعوا إلينا عرفاؤكم أمركم، فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه: أنهم قد طيبوا وأذنوا)[2].

والشاهد من الحديث قول الصحابة فيه: (قد طيبنا ذلك لرسول الله ﷺ لهم)، ووجه الدلالة فيه على فضل الصحابة، هو سرعة استجابتهم لما ندبهم إليه النبي ﷺ من رد السبي لهوازن من غير إلزام، وذلك بقولهم (قد طيبنا)، « ومعنى طيبوا وهو بالتشديد

(١) «تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة» (ص٦٠، ٨٧، ٨١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الهبة وفضلها، باب إذا وهب جماعة لقوم) (٣ / ١٦٢) برقم: (٢٦٠٧).

حملوا أنفسهم على ترك السبايا حتى طابت بذلك يقال طيبت نفسي بكذا إذا حملتها على السماح به من غير إكراه فطابت بذلك»(١).

٢/ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (صعد النبي ﷺ المنبر، وكان آخر مجلس جلسه متعطفا ملحفة على منكبيه، قد عصب رأسه بعصابة دسمة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إلَّي، **فثابوا إليه،** ثم قال: أما بعد، فإن هذا الحي من الأنصار، يقلون ويكثر الناس، فمن ولي شيئا من أمة مُحَمَّد ﷺ، فاستطاع أن يضر فيه أحدا أو ينفع فيه أحدا، فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيهم)(٢).

والشاهد من الحديث في قوله: (فثابوا إليه)، ووجه الدلالة فيه على فضل الصحابة، هو سرعة استجابتهم رضي الله عنهم لما دعاهم النبي ﷺ، وهذا الذي يدل عليه لفظ(فثابوا).

قال بدرالدين العيني(٣): « (فتابوا إليه) أي: اجتمعوا إليه، من: ثاب، بالثاء المثلثة: يثوب إذا رجع وهو رجوع إلى الأمر بالمبادرة»(٤).

٣/ عن أبي سعيد الخدري يقول: (جاء رجل يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب بهيئة بذة، فقال له رسول الله ﷺ: أصليت؟ قال: لا، قال: صل ركعتين، وحث الناس على الصدقة، **فألقوا ثياباً** فأعطاه منها ثوبين، فلما كانت الجمعة الثانية جاء ورسول الله ﷺ يخطب، فحث الناس على الصدقة. قال: فألقى أحد ثوبيه، فقال رسول الله ﷺ: جاء

---

(١) «فتح الباري» (١٣/١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد) (٢ / ١١) برقم: (٩٢٧).

(٣) أبو مُحَمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علَّامة، من كبار المحدثين، من مصنفاته: عمدة القاري في شرح البخاري، ومباني الأخبار في شرح معاني الآثار، توفي سنة ٨٥٥هـ. انظر: «الأعلام» (٧/١٦٣)، و «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» (٢/٢٧٥).

(٤) «عمدة القاري» (٦/٢٢٨).

هذا يوم الجمعة بهيئة بذة، فأمرت الناس بالصدقة فألقوا ثيابا، فأمرت له منها بثوبين، ثم جاء الآن، فأمرت الناس بالصدقة، فألقى أحدهما فانتهره، وقال: خذ ثوبك)(١).

الشاهد من الحديث في قوله: (فألقوا ثياباً)، ووجه الدلالة فيه على فضل الصحابة

ﷺ، هو سرعة امتثالهم لما دعاهم إليه النبي ﷺ من أمر الصدقة، وذلك ظاهرٌ في قوله (فألقوا)، والتي توحي بالمبادرة إلى الامتثال.

٤/ عن أبي بكرة ﷺ قال: (رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين **فئتين عظيمتين من المسلمين**)(٢).

الشاهد من الحديث في قوله ﷺ: (فئتين عظيمتين من المسلمين)، ووجه الدلالة فيه على فضل الصحابة، أن النبي ﷺ أثبت لهم الإسلام مع إخباره بتقاتلهم.

قال الباقلاني(٣) : « فأثبت العظم لكل واحدة من الطائفتين، وحكم لهم بصحة الإسلام»(٤).

---

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الجمعة، باب حث الإمام على الصدقة يوم الجمعة في خطبته) (١ / ٣٠٠) برقم: (١٤٠٧ / ١)، والترمذي في "جامعه" (أبواب الجمعة، باب ما جاء في الركعتين إذا جاء الرجل والإمام يخطب) (١ / ٥١٧) برقم: (٥١١)، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين) (٥ / ٢٦) برقم: (٣٧٤٦).

(٣) هو مُحَّد بْن الطّيب بْن مُحَّد بْن جعفر بْن القاسم، القاضي أبو بكر ابن الباقلاني البصري ، صاحب التصانيف في علم الكلام ، توفي ٤٠٣ هـ. انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٦٣/٩).

(٤) «الإنصاف» (ص٢٢).

٥/ وعن أنس ﷺ قال: (خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، قال: **فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين**... الحديث)[(١)].

٦/ عن أنس ﷺ أنهم (سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه المسألة فغضب فصعد المنبر، فقال: لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم فجعلت أنظر يميناً وشمالاً، **فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي**، فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله، من أبي؟ قال: حذافة ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن، فقال رسول الله ﷺ: ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط، إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾)[(٢)].

الشاهد من الحديث في قول أنس واصفاً حال الصحابة: (فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي)، ووجه الدلالة فيه على فضل الصحابة، أن الصحابة خشوا أن يكون غضب النبي ﷺ بسبب أمر قد حضر، وجاء في رواية مسلم أنهم قالوا (إنا نتوب إلى الله)[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب تفسير القرآن، باب قوله لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) (٦ / ٥٤) برقم: (٤٦٢١)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب توقيره صَلَّى اللهُ عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه) (٧ / ٩٢) برقم: (٢٣٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال) " (٩ / ٩٦) برقم: (٧٢٩٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب توقيره صَلَّى اللهُ عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه) (٧ / ٩٢) برقم: (٢٣٥٩).

(٣) انظر: «فتح الباري» (١٣/٢٧٠).

قال بدر الدين العيني: « إنما كان بكاؤهم خوفا من نزول عذاب لغضبه ﷺ، كما كان ينزل على الأمم عند ردهم على أنبيائهم، عليهم الصلاة والسلام»(١).

وقال القرطبي: « قوله: (فجعلت ألتفت يمينًا وشمالاً، فإذا كل إنسان لافٌّ رأسه في ثوبه يبكي)، هذه حالة العارفين بالله تعالى، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما تفعله جُهّال العوام، والمبتدعة الطَّغام من الزعيق والزفير، ومن النهيق الذي يشبه نهاق الحمير. فيقال لمن تعاطى ذلك، وزعم أن ذلك وجد وخشوع: إنك لم تبلغ حالك أن تساوي حال رسول الله ﷺ، ولا حال أصحابه في المعرفة بالله تعالى، والخوف منه، والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله تعالى، والبكاء خوفًا من الله، والوقار حياءً من الله... »(٢).

٧/ عن جرير رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: (﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾ والآية التي في الحشر ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾ تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال **فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس** حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة

(١) «عمدة القاري» (٥/٢٧).

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١٩/٧٧).

سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)(١).

الشاهد من الحديث في قوله (ثم تتابع الناس)، ووجه الدلالة فيه على فضل الصحابة، هو سرعة استجابتهم لحث النبي ﷺ لهم على الصدقة، حتى تهلل وجه رسول الله ﷺ.

قال النووي: « وأما سبب سروره ﷺ ففرحا بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى وبذل أموالهم لله وامتثال أمر رسول الله ﷺ ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم على بعض وتعاونهم على البر والتقوى»(٢).

٨/ عن أبي هريرة وأبي سعيد– رضي الله عنهما – قالا: خطبنا رسول الله ﷺ يوما فقال: (والذي نفسي بيده، ثلاث مرات، ثم أكب، **فأكب كل رجل منا يبكي لا ندري على ماذا حلف،** ثم رفع رأسه في وجهه البشرى، فكانت أحب إلينا من حمر النعم، ثم قال: ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة فقيل له: ادخل بسلام)(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) (٣ / ٨٦) برقم: (١٠١٧).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (١٠٣/٧).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة) (١ / ٤٨٧) برقم: (٢٤٣٧)، بسند ضعيف، وله شواهد من حديث معاذ بن جبل، وحديث أبي أيوب الأنصاري –رضي الله عنهما–، فأما حديث معاذ بن جبل، فأخرجه أحمد في "مسنده" (١٠ / ٥١٦٨) برقم: (٢٢٤٥٢)، بلفظ: «من لقي الله لا يشرك به شيئا، يصلي الخمس، ويصوم رمضان، غفر له قلت: أفلا أبشرهم يا رسول الله؟ قال: دعهم يعملوا »، وإسناده صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»، برقم(١٣١٥)، وأما حديث أبي أيوب الأنصاري، فقد أخرجه غير واحد من الأئمة، منهم: أحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٥٩٢) برقم: (٢٣٩٨٥)، وابن حبان في "صحيحه" (٨ / ٣٩) برقم: (٣٢٤٧)، والنسائي في "الكبرى" (٨ / ٤٢) برقم: (٨٦٠١) ولفظه: «ما من عبد يعبد الله لا يشرك به شيئا، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويجتنب الكبائر إلا دخل الجنة» صححه الألباني، في «إرواء الغليل» (٢٥/٥).

الشاهد من الحديث في قوله: (فأكب كل رجل منا يبكي لا ندري على ماذا حلف)، ووجه الدلالة فيه على فضل الصحابة، هو بكائهم، وشدة تأثرهم؛ لمجرد رؤيتهم النبي ﷺ يطأطئ رأسه، مع أنهم لا يعلمون على ماذا حلف، وما الأمر الذي طأطأ رأسه من أجله.

٩/ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ نزلنا منزلا، فمنا من يضرب خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشرته، إذ نادى منادي النبي ﷺ: الصلاة جامعة فاجتمعنا، فقام النبي ﷺ، فخطبنا، فقال: (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيرا لهم، وينذرهم ما يعلمه شرا لهم، **وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها**، وإن آخرها سيصيبهم بلاء وأمور ينكرونها، تجيء فتن، فيدقق بعضها لبعض، فتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، ثم تجيء، فيقول: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، فمن أحب منكم أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتدركه موتته، وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا رقبة الآخر)(١).

الشاهد من الحديث قوله ﷺ: (وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها)، ووجه الدلالة فيه على فضل الصحابة إخبار النبي ﷺ وتنصيصه على أن عهده، وأول عهد الصحابة جعل فيه العافية، أي «خلاصهم عما يضر في دينهم»(٢).

وقال القرطبي مبيناً معنى الأولية في الحديث: « يعني بأول الأمة: زمانه وزمان الخلفاء الثلاثة إلى قتل عثمان. فهذه الأزمنة كانت أزمنة اتفاق هذه الأمة، واستقامة أمرها، وعافية دينها، فلما قتل عثمان ماجت الفتن كموج البحر، وتتابعت كقطع الليل

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول) (٦ / ١٨) برقم: (١٨٤٤)، والنسائي في "المجتبى" (كتاب البيعة، باب ذكر ما على من بايع الإمام وأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه) (١ / ٨٢٦) برقم: (٤٢٠٢ / ١) واللفظ له.

(٢) انظر: «حاشية السندي على سنن النسائي» (١٥٣/٧)، و «حاشيته على سنن ابن ماجه» (٤٦٧/٢).

المظلم، ثم لم تزل ولا تزال متوالية إلى يوم القيامة. وعلى هذا فأول آخر هذه الأمة - المعني في هذا الحديث - مقتل عثمان، وهو آخر بالنسبة إلى ما قبله من زمان الاستقامة والعافية»(١).

وعلى هذا فتكون دلالة الحديث على فضل الصحابة، من جهة أن أول زمانهم كانوا متكاثرين، ومن بعد مقتل عثمان كانوا يقلون شيئاً فشيئاً، ولا شك أن زمان يكثر فيه الصحابة، أفضل من زمان يقلون فيه.

١٠/ عن ابن عمر قال: «خطبنا عمر بالجابية، فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: (**أوصيكم بأصحابي** ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، **ثم يفشو الكذب** حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة(٢) الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن. هذا لفظ الترمذي، ولفظ ابن ماجه (احفظوني في أصحابي))(٣).

الشاهد من الحديث قوله ﷺ (أوصيكم بأصحابي)، ووجه الدلالة فيه على فضل الصحابة، ظاهر بيّن؛ إذ فيه وصية من النبي ﷺ بأصحابه، وذلك يقتضي محبتهم وتوقيرهم وسلامة الصدور لهم.

---

(١) «المفهم» (١٢/٩٩).

(٢) (بحبوحة الجنة) أي: وسطها. يقال تبحبح إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/٩٨).

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" (أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء في لزوم الجماعة) (٤ / ٣٨) برقم: (٢١٦٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي ﷺ »، وأخرجه ابن ماجه في "سننه" (أبواب الأحكام، باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد) (٣ / ٤٤٩) برقم: (٢٣٦٣)، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، والألباني: انظر: «إرواء الغليل» (٦/٢١٥) برقم: (١٨١٣).

قال المناوي[1]: « أي راعوا حرمتي، وارقبوني فيهم، واقدروهم حق قدرهم، وكفوا ألسنتكم عن غمطهم أو الوقيعة فيهم، بلوم أو تعنيف لبذلهم نفوسهم، وإطراحها بين يدي الله تعالى في الحروب، وقتالهم القريب والبعيد في ذات الله، وبذلهم أموالهم، وخروجهم من ديارهم، وصبرهم على البلاء، والجهد الذي لا يطيقه غيرهم، وليس ذلك إلا عن أمر عظيم ملك البواطن وصرفها على حكم محبة الله ومحبة رسوله؛ فاستوجبوا بذلك الرعاية، وكمال العناية، والإضافة للتشريف»[2].

(١) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الشافعي، عالمٌ مشارك في أنواع العلوم، من مصنفاته: التوقيف على مهمات التعاريف، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، توفي سنة ١٠٣١هـ. انظر: «الأعلام» (٦/٢٠٤)، و«معجم المؤلفين» (٤/١٩٦).

(٢) «فيض القدير» (١/١٩٧)، وانظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» له أيضاً(١/٤٦)، و «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (٢/٦٤).

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بفضل المهاجرين.

المقصود بالمهاجرين، الذين تركوا ديارهم وأموالهم، وهاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة عندما أذن الله ﷻ له بالهجرة، ولهم من الفضل والسبق في الإسلام ما امتازوا به عن إخوانهم من الأنصار، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومما ثبت لهم من الفضائل:

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الحشر: ٨].

نقل ابن جرير بسنده عن قتادة(١) قوله: في تفسير هذه الآية: « هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

وهذه الآية مشتملة على الثناء على المهاجرين والأنصار بصفة عامة.

«فرضي الله عن جميعهم لما أطاعوه وأجابوا نبيه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه، ورضي عنه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه وإيمانهم به وبنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأعد لهم جنات

---

(١) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري، تابعيٌ جليل، كان من أوعية العلم والحفظ، توفي سنة ١١٧هـ. انظر: «طبقات المفسرين» (٤٧/٢)، و«إنباه الرواة على أنباه النحاة» (٣٥/٣)، و «سير أعلام النبلاء» (٢٦٩/٥).

(٢) «تفسير الطبري» (٥٢٣/٢٢).

تجري تحتها الأنهار يدخلونها خالدين فيها لابثين فيها أبداً لا يموتون فيها ولا يخرجون منها»(١).

وعن مجاشع بن مسعود(٢) رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح، قلت: يا رسول الله، جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة. قال: ذهب أهل الهجرة بما فيها »(٣).

قال النووي: «معناه أن الهجرة الممدوحة الفاضلة التي لأصحابها المزية الظاهرة إنما كانت قبل الفتح فقد مضت لأهلها أي حصلت لمن وفق لها قبل الفتح»(٤).

ومن الخطب التي ثبتت في فضل المهاجرين:

ما ثبت عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي(٥)، قال: (خطبنا رسول الله ﷺ بمنى، ففتح الله أسماعنا حتى إن كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا، فطفق النبي ﷺ يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار، فقال: بحصى الخذف وأمر المهاجرين

---

(١) «تفسير الطبري» (٦٤١/١١).

(٢) هو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب بن عابد بن ربيعة السلمي رضي الله عنه، من أصحاب النبي ﷺ، وذكر في ترجمته: أنه غزا كابل من بلاد الهند فصالحه الأصيهد فدخل مجاشع بيت الأصنام، فأخذ جوهرة من عين الصنم، وقال: لم آخذها إلا لتعلموا أنه لا يضر ولا ينفع، توفي سنة ٣٦هـ. انظر: «الإصابة» (٥٩٦/٥).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجهاد والسير، باب لا هجرة بعد الفتح) (٤ / ٧٥) برقم: (٣٠٧٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير) (٦ / ٢٧) برقم: (١٨٦٣).

(٤) «شرح النووي» (١٣/٧-٨)، وانظر «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم»، للباحث/ ناصر بن علي عائض حسن (١٢٥/١-١٤٠)، حيث ذكر جملة من الأدلة على فض المهاجرين.

(٥) هو عبد الرحمن بن معاذ بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي رضي الله عنه، من أصحاب النبي ﷺ. انظر: «التاريخ الكبير» (٢٤٤/٥)، و«الإصابة» (٣٠٢/٤).

أن ينزلوا في مقدم المسجد، وأمر الأنصار أن ينزلوا في مؤخر المسجد)[1].

والشاهد من الحديث في قوله: (وأمر المهاجرين أن ينزلوا في مقدم المسجد)، ووجه الدلالة فيه على فضل المهاجرين، هو إنزال النبي ﷺ لهم في مقدم المسجد، وهذا يدل على فضلهم.

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب مناسك الحج، باب ما ذكر في منى) (١ / ٥٩٣) برقم: (٢٩٩٦ / ٢)، وأبو داود في "سننه" (كتاب المناسك، باب ما يذكر الإمام في خطبته بمنى) (٢ / ١٤٤) برقم: (١٩٥٧)، صححه الألباني، وقال: «على شرط البخاري» انظر: «صحيح أبي داود» (٦/٢٠٢) برقم: (١٧١٠).

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بفضل الأنصار.

والمراد بهم قبيلتي الأوس والخزرج ممن هاجر إليهم رسول ﷺ وأصحابه، وهم ممن نصروا رسول ﷺ، وواسوه بأنفسهم وأموالهم، وهم في المرتبة الثانية بعد المهاجرين في الفضل، واختصوا بفضائل كثيرة عن غيرهم منها: إيواء النبي ﷺ ومن معه، والقيام بأمرهم، ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم، وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلك موجبا لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم والعداوة تجر البغض، ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد، والحسد يجر البغض فلهذا جاء التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق؛ تنويها بعظيم فضلهم وتنبيها على كريم فعلهم[1]، وقد ثبن فضلهم في نصوص كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر: ٩].

قال ابن جرير: « (ويؤثرون على أنفسهم) يقول تعالى ذكره: وهو يصف الأنصار الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبل المهاجرين (ويؤثرون على أنفسهم) يقول: ويعطون المهاجرين أموالهم إيثارا لهم بها على أنفسهم، (ولو كان بهم خصاصة) يقول: ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم»[2].

وذكر في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾، ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: من يضم أو يضيف هذا" فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء. فهيأت طعامها،

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٦٣/١).

(٢) «تفسير الطبري» (٥٢٧/٢٢).

وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: ضحك الله الليلة، أو عجب، من فعالكما فأنزل الله: ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ »(١).

وبما ثبت في فضل الأنصار من خطب النبي ﷺ:

١/ عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفاً بها على منكبيه، وعليه عصابة دسماء، حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: أيها الناس، فإن الناس يكثرون، وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمرا يضر فيه أحدا أو ينفعه، **فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم**)(٢).

الشاهد من الحديث قوله ﷺ: (فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم)، ووجه الدلالة فيه على فضل الأنصار، وصية النبي ﷺ لمن ولي أمر المسلمين، وتنوهياً لغيرهم، بالأنصار خيراً، وذلك بأن يقبلوا من محسنهم، ويتجاوزوا عن مسيئهم.

٢/ عن أنس بن مالك يقول: مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال: فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (**أوصيكم**

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب مناقب الأنصار، باب قول الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (٥ / ٣٤) برقم: (٣٧٩٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره) (٦ / ١٢٧) برقم: (٢٠٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) (٥ / ٣٥) برقم: (٣٨٠٠).

بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي[1]، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم)[2].

فقوله ﷺ: (أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم)، فيه دلالة بينة على فضل الأنصار، وذلك من أوجه:

الأول/ وصياته العامة بالأنصار، بقوله: (أوصيكم بالأنصار)

الثاني/ إخباره بأنهم أهل سره وأمانته، وذلك بقوله: (فإنهم كرشي وعيبتي).

قال النووي: «قال العلماء معناه جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم وأعتمدهم في أموري قال الخطابي ضرب مثلا بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون به بقاؤه والعيبة وعاء معروف أكبر من المخلاة يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ويصونها ضربها مثلا لأنهم أهل سره وخفي أحواله قوله ﷺ»[3].

الثالث/ إخباره بأنهم وفوا ما يجب عليهم، وبقي لهم جزاء ذلك وهو الجنة، وذلك بقوله: (وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم).

---

(١) (كرشي وعيبتي)، أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته، والذين يعتمد عليهم في أموره، واستعار الكرش والعيبة لذلك؛ لأن المجتر يجمع علفه في كرشه، والرجل يضع ثيابه في عيبته، وقيل: أراد بالكرش الجماعة؛ أي: جماعتي وصحابتي، ويقال: عليه كرش من الناس؛ أي: جماعة. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١٦٣/٤-١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) (٥ / ٣٤) برقم: (٣٧٩٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار رضي الله عنهم) (٧ / ١٧٤) برقم: (٢٥١٠).

(٣)«شرح النووي على مسلم» (٦٨/١٦).

قال ابن حجر: « قوله (وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم) يشير إلى ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة، فإنهم بايعوا على أن يؤووا النبي ﷺ، وينصروه على أن لهم الجنة فوفوا بذلك»(١).

الرابع/ وصايته الخاصة بأن يقبل الناس من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم في غير حقوق الناس، والحدود.

٣/ عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي قال: (خطبنا رسول الله ﷺ، ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا، فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار، فوضع أصبعيه السبابتين، ثم قال: بحصى الحذف ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد، **وأمر الأنصار فنزلوا من وراء المسجد**، ثم نزل الناس بعد ذلك)(٢).

فقوله ﷺ: (وأمر الأنصار فنزلوا من وراء المسجد)، فيه دلالة على فضل الأنصار، وذلك أنه ﷺ أمر بنزول المهاجرين ثم ثنى بالأنصار في النزول، ثم ثلث بمن عداهم.

٤/ وعن أبي هريرة قال: أهدى رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ ناقة من إبله التي كانوا أصابوا بالغابة، فعوضه منها بعض العوض فتسخط، فسمعت رسول الله ﷺ على هذا المنبر يقول: (إن رجالاً من العرب يهدي أحدهم الهدية، فأعوضه منها بقدر ما عندي ثم يتسخطه، فيظل يتسخط فيه علي، وايم الله لا أقبل بعد مقامي هذا من رجل من العرب هدية إلا من قرشي **أو أنصاري** أو ثقفي أو دوسي)(٣).

---

(١) «فتح الباري» (١٢٢/٧).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب مناسك الحج، باب ما ذكر في منى) (١ / ٥٩٣) برقم: (٢٩٩٦ / ٢)، وأبو داود في "سننه" (كتاب المناسك، باب ما يذكر الإمام في خطبته بمنى) (٢ / ١٤٤) برقم: (١٩٥٧)، واللفظ له، صححه الألباني، وقال: «على شرط البخاري» انظر: «صحيح أبي داود» (٢٠٢/٦) برقم: (١٧١٠).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب العمرى، باب عطية المرأة بغير إذن زوجها) (١ / ٧٤٣) برقم: (٣٧٦٨ / ٤)، وأبو داود في "سننه" (كتاب الإجارة، باب في قبول الهدايا) (٣ / ٣١٤) برقم: (٣٥٣٧)، والترمذي في "جامعه" (٦ / ٢١٩) برقم: (٣٩٤٦) (أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ.،

والشاهد من الحديث قوله ﷺ: (أو أنصاري)، ووجه الدلالة فيه على فضل الأنصار أن النبي ﷺ خصهم مع من خصهم في الحديث بقبول الهدية منهم، وإنما خصهم بهذه الفضيلة لما عرف منهم من سخاوة النفس وعلو الهمة، وقطع النظر عن الأعواض[1].

باب في ثقيف وبني حنيفة)، واللفظ له، والحديث صحيح، انظر: «السلسلة الصحيحة» (٤/٢٥٣)، برقم(١٦٨٤).

(١) انظر: «الميسر في شرح مصابيح السنة»، للتوربشتي (٢/٧٢١-٧٢٢).



المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بفضل أعيان من الصحابة.

سبق بيان شيء من فضل الصحابة على وجه العموم ثم فضل أصناف منهم، كالمهاجرين والأنصار، وثمة نصوص ثبتت في فضل بعض أعيانهم، مع كون أصل الفضل والعدالة ثابت لجميعهم في الجملة.

ومن المهم التنبيه على أن الفضل الخاص الثابت لبعض الصحابة، لا يستلزم التفضيل المطلق، فقد تثبت فضيلة لصحابي لم تثبت لصحابي آخر، أو لم ينص عليها لمن هو أفضل منه قطعاً، فتدل على فضله، لا على أفضليته، كما ثبت عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: (إن لكل أمة أمينا، وإن أميننا، أيتها الأمة، أبو عبيدة بن الجراح)(١)، ولم ينص عليها لأبي بكر، ولا لعمر، الذين اشتركوا في أصل هذه الخصيصة بلا شك، ومع ذلك لم يكن أبا عبيدة أفضل منهما بهذه الفضيلة الثابتة له.

قال ابن حجر: «وهذه الصفة وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره لكن السياق يشعر بأن له مزيداً في ذلك، لكن خص النبي ﷺ كل واحد من الكبار بفضيلة، ووصفه بها فأشعر بقدر زائد فيها على غيره كالحياء لعثمان والقضاء لعلي»(٢).

ومن الخطب التي ثبتت في فضيلة مخصوصة لأعيان من الصحابة، وإن كان جميع الصحابة يشتركون في أصل الفضل والعدالة:

١/ ما ثبت في فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ويدل عليه ما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: (إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله. فبكى أبو بكر رضي الله عنه فقلت في نفسي:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح ررَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (٥ / ٢٥) برقم: (٣٧٤٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (٧ / ١٢٩) برقم: (٢٤١٩).

(٢) «فتح الباري» (٩٣/٧)، وانظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم»، للقاضي عياض (٤٣١/٧)، و «شرح النووي على مسلم» (١٩٢/١٥).

ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: يا أبا بكر، لا تبك، إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر)(١).

والحديث فيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، من أوجه:

أولاً/ من جهة فهمه وفقهه وعلمه، وذلك لما فهم من كلام النبي ﷺ أن أجله قد دنا، فهو أعلم الصحابة على الإطلاق؛ لأن أبا سعيد شهد له بذلك بمجمع من الصحابة ولم ينكر عليه أحد(٢).

ثانياً/ من جهة إنفاقه على النبي ﷺ، وصحبته له.

ثالثاً/ من جهة خصوصيته بعدم سد بابه الموصل للمسجد، وأشار بعض أهل العلم إلى أن الحديث فيه إشارة لخلافته(٣)، ولا سيما أن هذه الخطبة كانت آخر خطبة خطبها النبي ﷺ على المنبر(٤).

٢/ ما ثبت في فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ويدل عليه ما ثبت عن أنس رضي الله عنه سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه المسألة فغضب فصعد المنبر، فقال: (لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم فجعلت أنظر يمينا وشمالا، فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي، فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله، من أبي؟ قال: حذافة ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربا،

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر) (٥ / ٤) برقم: (٣٦٥٤)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه) (٧ / ١٠٨) برقم: (٢٣٨٢).

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (١١٥/٢).

(٣) انظر: «التوضيح شرح الجامع الصحيح»، لابن الملقن(٦٢٠/٥)

(٤) انظر: «فتح الباري»، لابن رجب (٣٧٥/٣).

وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن، فقال رسول الله ﷺ: ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط، إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾»(١).

والحديث فيه فضيلة عظمى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث بادر إلى ما يدل على أدبه مع رسول الله ﷺ، وشفقته على المسلمين من أن يصيبهم شيء بسبب غضب النبي ﷺ.

قال ابن هبيرة: «وفيه ما يدل على فقه عمر لأنه انتبه لما قصده رسول الله – ﷺ – فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا»(٢).

وقال النووي: « وأما بروك عمر رضي الله عنه وقوله فإنما فعله أدبا وإكراما لرسول الله ﷺ وشفقة على المسلمين لئلا يؤذوا النبي ﷺ فيهلكوا ومعنى كلامه رضينا بما عندنا من كتاب الله تعالى وسنة نبينا مُحَمَّد ﷺ واكتفينا به عن السؤال ففيه أبلغ كفاية»(٣).

٣/ ما ثبت في فضل أبي العاص بن الربيع رضي الله عنه، وفاطمة بن النبي ﷺ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

عن المسور بن مخرمة قال: « إن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل. فقام رسول الله ﷺ، فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد،

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال) " (٩ / ٩٦) برقم: (٧٢٩٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب توقيره صَلَّى اللهُ عليهوسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه) (٧ / ٩٢) برقم: (٢٣٥٩).

(٢) «الإفصاح عن معاني الصحاح» (٣٢/٥).

(٣) «شرح النووي على مسلم» (١١٣/١٥).

(أنكحت أبا العاص بن الربيع[1]، فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني، وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد" فترك علي الخطبة). [2]

فالحديث فيه فضيلة فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في قوله (إن فاطمة مني)

وفيه فضيلة علي رضي الله عنه من جهة كونه امتثل أمر النبي ﷺ، وترك خطبة ابنة أبي جهل.

وفيه فضيلة أبي العاص بن الربيع، وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة، وزوج زينب بنت رسول الله ﷺ، وذلك في قوله (حدثني وصدقني).

قال ابن حجر: « قوله حدثني فصدقني لعله كان شرط على نفسه أن لا يتزوج على زينب.. »[3].

وهذا ظاهر من استدلال البخاري؛ حيث أورد الحديث في كتاب الفضائل (باب ذكر أصهار النبي ﷺ، منهم أبو العاص بن الربيع).

---

(١) هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى القرشي ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي، صحابيٌ جليل، صهر رسول الله ﷺ زوج بنته زينب، توفي سنة١٣هـ. انظر «سير أعلام النبلاء» (١٣٣/١)، و «الإصابة» (٢٠٦/٧).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر أصهار النبي صلى الله عليه وسلم، منهم أبو العاص بن الربيع) (٥ / ٢٢) برقم: (٣٧٢٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام) (٧ / ١٤١) برقم: (٢٤٤٩).

(٣) «فتح الباري» (٨٦/٧).

٤/ ما ثبت في فضل الخلفاء الراشدين (أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي) رضي الله عنهم:

عن العرباض بن سارية[(١)] رضي الله عنه قال: « قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقيل: يا رسول الله، وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد. فقال: عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، وسترون من بعدي اختلافا شديدا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة»[(٢)].

٥/ ما ثبت في فضل عثمان بن عفان[(٣)] رضي الله عنه

عن عبد الرحمن بن خباب قال: (شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله.

(١) هو أبو نجيح العرباض بن سارية السلمي، صاحب النبي ﷺ، كان من أهل الصفة، وكان بكَّاءً، توفي سنة ٧٥هـ. انظر: «معرفة الصحابة» (٢٢٣٤/٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٤١٩/٣).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب في لزوم السنة) (٤ / ٣٢٩) برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي في "جامعه" (أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع) (٤ / ٤٠٨) برقم: (٢٦٧٦)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين) (١ / ٢٨) برقم: (٤٢)، واللفظ له، والحديث له طرقٌ كثيرة بعضها صحيح، وبعضها حسن، وتلقاه أهل العلم بالقبول، وصححه غير واحد من أهل العلم، منهم الترمذي، قال: «حديث حسن صحيح»، وصححه البزار، وابن عبد البر، والحاكم، وابن رجب، وانظر تخريجه موسعاً: «مسند الإمام أحمد» الحاشية ٣٦٧/٢٨-٣٧١) برقم: (١٧١٤٢)، و «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»، للشيخ الألباني (١٠٧/٨-١٠٩) برقم: (٢٤٥٥)، و «السلسلة الصحيحة» (٥٢٦/٦-٥٢٩)، برقم: (٢٧٣٥).

(٣) هو أمير المؤمنين، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي أبو عمرو، و يقال أبو عبد الله، و يقال أبو ليلى، ذو النورين، صاحب النبي الأمين، وثالث الخلفاء الراشدين، مناقبه جمة، ومآثره متكاثرة، توفي سنة ٣٥هـ. انظر: «الاستيعاب» (١٠٣٧/٣).

ثم حض على الجيش، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، علي مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، لله علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه!)[١].

والحديث فيه فضيلة ظاهرة لعثمان بن عفان ﷺ، حيث أخبر بغفران ذنوبه وهو يمشي على الأرض.

قال الطيبي: «والمعنى: فلا على عثمان بأس الذي عمل بعد هذا اليوم من الذنوب فإنها مغفورة مكفرة»[٢].

٦/ ما ثبت في فضل عائشةﷺ، وصفوان بن المعطل السلمي ﷺ:

عن عائشة قالت: «لما ذكر من شأني الذي ذكر، وما علمت به قام رسول الله ﷺ خطيباً، فتشهد فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد (أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي[٣]، وايم الله ما علمت على أهلي من سوء قط، وأبنوهم بمن والله ما

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب) (٦ / ٦٩) برقم: (٣٧٠٠)، وإسناده فيه فرقد أبي طلحة وهو مجهول، ولكن له شاهد من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال: «جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة، فنثرها في حجره، قال عبد الرحمن: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره، ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم! مرتين» أخرجه الترمذي (٧٠/٦) برقم: (٣٧٠١)، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٣ / ١٠٢) برقم: (٤٥٧٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وحسنه الألباني في: «مشكاة المصابيح» (١٧١٣/٣) برقم: (٦٠٦٤).

(٢) «الكاشف عن حقائق السنن» (٣٨٧٤/١٢).

(٣) (أَبَنُوا أَهْلِي) أَيِ: اتَّهَمُوهَا. وَالْأَبْنُ التُّهْمَةُ. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١٧/١).

علمت عليه من سوء قط، ولا دخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غاب معي)(١).

والحديث في فضيلة ظاهرة، لعائشة رضي الله عنها، ولصفوان بن المعطل رضي الله عنه، وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه، وترجم له قائلاً: (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين....).

٧/ ما ثبت في فضل، زيد بن حارثة(٢)، وجعفر بن أبي طالب(٣)، وعبدالله بن رواحة(٤)، وخالد بن الوليد(٥) رضي الله عنهم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنهقال: خطب النبي ﷺ فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب تفسير القرآن – سورة النور – باب إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) (١٠٧/٦) برقم: (٤٧٥٧)، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١١٢) برقم: (٢٧٧٠) (كتاب التوبة، باب فِي حديث الإفك وقبول توبة القاذف).

(٢) هو أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، حب رسول الله ﷺ و مولاه رضي الله عنه، سماه الله في القرآن، توفي سنة ٨هـ في غزوة مؤتة. انظر: «معرفة الصحابة» (١١٣٥/٣)، و «سير أعلام النبلاء» (٢٢٠/١).

(٣) هو أبو عبد الله جعفر بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، هاجر الهجرتين، وتوفي في غزوة مؤتة سنة ٨هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٠٦/١)، و «الإصابة» (٥٩٢/١).

(٤) هو أبو مُحَمَّد، و يقال أبو رواحة و يقال أبو عمرو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس الخزرجي الأنصاري البدري، الشاعر، المدني، أحد السابقين للإسلام، توفي سنة ٨هـ بغزوة مؤتة. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٣٠/١)، و «الإصابة» (٧٢/٤).

(٥) هو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، سيف الله، فارس الإسلام، وقائد المجاهدين. توفي سنة ٢٢هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣٦٦/١)، و«معجم الصحابة» (٢٢٣/٢).

عن غير إمرة ففتح له وقال: ما يسرنا أنهم عندنا. قال أيوب: أو قال: ما يسرهم أنهم عندنا وعيناه تذرفان »[1].

٨/ ما ثبت في فضل الحسن بن علي[2] رضي الله عنهما

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[3].

والحديث فيه فضيلة ظاهرة للحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، حيث شهد للحسن رضي الله عنه بأنه سيصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

٩/ ما ثبت في فضل الحسنين[4] ابني علي رضي الله عنهم:

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: (خطبنا رسول الله ﷺ، فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر، ثم قال: صدق الله: ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ رأيت هذين فلم أصبر، ثم أخذ في الخطبة)[5].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه " (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام) (٤ / ٢٠٥) برقم: (٣٦٣٠).

(٢) هو أبو مُحَّد الحسن بن على بن أبى طالب القرشي الهاشمي، المدني، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وريحانته سيد شباب أهل الجنة، توفي سنة ٤٩هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٤٥)، و«الاستيعاب» (١/٣٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين) (٥ / ٢٦) برقم: (٣٧٤٦).

(٤) سبقت ترجمة الحسن، وهذه ترجمة الحسين :هو أبو عبدالله الحسين بن على بن أبى طالب القرشي الهاشمي، المدني، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وريحانته سيد شباب أهل الجنة، توفي سنة ٦١هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٨٠)، و«الاستيعاب» (١/٣٩٢).

(٥) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة وقطعه كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة) (١ / ٣٠١) برقم: (١٤١٢ / ١)، وأبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، باب

والحديث فيه فضيلة ظاهرة للحسن والحسين ابني علي بن ابي طالب رضي الله عنهم حيث شهد للحسن رضي الله عنه بأنه سيصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

١٠/ ما ثبت في فضل عمرو بن تغلب رضي الله عنه:

عن عمرو بن تغلب: أن رسول الله ﷺ أتي بمال أو سبي فقسمه، فأعطى رجالا وترك رجالا، فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله ثم أثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي، ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، فيهم عمرو بن تغلب ". فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم [(١)].

والحديث فيه فضيلة ظاهرة لعمرو بن تغلب، حيث شهد له النبي ﷺ باشتمال قلبه على الغنى والخير.

١١/ ما ثبت في فضل سعد بن معاذ[(٢)] رضي الله عنه:

عن مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدثنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ، قال: قدم أنس بن مالك فأتيته، فقال: من أنت؟ فقلت: أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ، قال: فبكى، وقال: إنك لشبيه بسعد، وإن سعدا كان من أعظم الناس وأطولهم، وإنه بعث

الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث) (١ / ٤٣٢) برقم: (١١٠٩)، والترمذي في "جامعه" (أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب) (٦ / ١١٧) برقم: (٣٧٧٤).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم) (٤ / ٩٣) برقم: (٣١٤٥).

(٢) هو أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان بن امريء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم الأنصاري الأشهلي، المدني، البدري، سيد الأوس، اهتز عرش الرحمن لموت، توفي سنة ٥هـ. انظر: «الإصابة» (٧٠/٣)، و «سير أعلام النبلاء» (٢٧٩/١).

إلى النبي ﷺ جبة من ديباج منسوج فيها الذهب، فلبسها رسول الله ﷺ فصعد المنبر فقام، أو قعد فجعل الناس يلمسونها، فقالوا: ما رأينا كاليوم ثوبا قط، فقال: «أتعجبون من هذه؟ لمناديل سعد في الجنة خير مما ترون»(١).

والحديث فيه فضيلة ظاهرة لسعد بن معاذ؛ وذلك بإخبار النبي ﷺ عنه بشيء من النعيم الذي يتنعم به.

١٢/ ما ثبت في فضل زيد بن حارثة، وابنه أسامة رضي الله عنهما:

عن عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما -أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر: (إن تطعنوا في إمارته - يريد أسامة بن زيد - فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وايم الله إن كان لخليقا لها، وايم الله إن كان لأحب الناس إلي، وايم الله إن هذا لها لخليق - يريد أسامة بن زيد - وايم الله إن كان لأحبهم إلي من بعده، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم) (٢).

والحديث فيه فضيلة ظاهرة لزيد، وأسامة رضي الله عنهما؛ وذلك بإخبار النبي ﷺ عنهما بأنهما من أحب الناس إليه، وأنهما أهلان للإمارة.

١٣/ ما ثبت في فضل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه) (٥ / ٣٥) برقم: (٣٨٠٢)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه) (٧ / ١٥١) برقم: (٢٤٦٨)، والترمذي في "جامعه" (أبواب اللباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب) (٣ / ٣٣٨) برقم: (١٧٢٣)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي) (٥ / ٢٣) برقم: (٣٧٣٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد) (٧ / ١٣١) برقم: (٢٤٢٦)، واللفظ له.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (لما استوى رسول الله ﷺ على المنبر قال: اجلسوا. فسمع ابن مسعود فجلس على باب المسجد، فرآه النبي ﷺ، فقال: تعال يا عبد الله بن مسعود)(١).

والحديث فيه فضيلة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ إذ بادر بالامتثال لما سمع قول النبي ﷺ (اجلسوا).

قال الصنعاني رحمه الله: «فيه شدة امتثالهم لرسول الله - ﷺ - فيما يأمر به على كل حال»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الصلاة، باب الإمام يكلم الرجل في خطبته) (١ / ٤٢٦) برقم: (١٠٩١)، والحاكم في "مستدركه" (كتاب الجمعة، سلام الخطيب وقت قراءة الخطبة) (١ / ٢٨٦) برقم: (١٠٦٠)، واللفظ له، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤/٢٥٦-٢٥٧).

(٢) «التحبير لإيضاح معاني التيسير» (٥/٧٠٣).



المبحث الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بتحريم سب الصحابة.

سبق في المبحث الأول نقل شيء من نصوص الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم في فضل الصحابة الكرام، وأنهم عدول كلهم، رضي الله عنهم، ورضوا عنه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وأن فضل الصحبة محض اصطفاء من الله الكريم جل جلاله.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: « من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمَّد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»(١).

وأهل السنة يعتقدون قول النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(٢).

ويعتقدون ما قاله أبو جعفر الطحاوي في عقيدته، في شأن الصحابة–قال: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»(٣).

قال ابن كثير في تفسيره لقول الله جل جلاله ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [سورة التوبة:

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٩٤٧/٢)، وروي هذا عن ابن عمر، والحسن البصري، انظر: «حلية الأولياء»، لأبي نعيم (٣٠٥/١)، و «الشريعة»، للآجري (١٦٨٥/٤)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب حدثنا الحميدي ومحمَّد بن عبد الله) (٥ / ٨) برقم: (٣٦٧٣)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم) (٧ / ١٨٨) برقم: (٢٥٤١).

(٣) «شرح الطحاوية» (٦٨٩/٢).

١٠٠] –قال: «فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة، رضي الله عنه فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم، عياذاً بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبون من رضي الله عنهم؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون»(١).

وما أحسن ما استنبطه الإمام مالك من قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

حيث حكم بالكفر على من سب الصحابة، واستحسن هذا غير واحد من أهل العلم منه.

قال أبو عبدالله القرطبي: « روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير: –قال–كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية" محمد رسول الله والذين معه" حتى بلغ" يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار"، فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية،.. قلت(القرطبي): لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع

(١) «تفسير ابن كثير» (٢٠٣/٤).

المسلمين.... فحذار من الوقوع في أحد منهم، كما فعل من طعن في الدين فقال: إن المعوذتين ليستا من القرآن، وما صح حديث عن رسول الله ﷺ في تثبيتهما ودخولهما في جملة التنزيل إلا عن عقبة بن عامر، وعقبة بن عامر ضعيف لم يوافقه غيره عليها، فروايته مطرحة. وهذا رد لما ذكرناه من الكتاب والسنة، وإبطال لما نقلته لنا الصحابة من الملة. فإن عقبة بن عامر بن عيسى الجهني ممن روى لنا الشريعة في الصحيحين البخاري ومسلم وغيرهما، فهو ممن مدحهم الله ووصفهم وأثنى عليهم ووعدهم مغفرة وأجراً عظيماً. فمن نسبه أو واحداً من الصحابة إلى كذب فهو خارج عن الشريعة، مبطل للقرآن طاعن على رسول الله ﷺ. ومتى أُلحقَ واحدٌ منهم تكذيباً فقد سُبَّ؛ لأنه لا عار ولا عيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب، وقد لعن رسول الله ﷺ من سب أصحابه، فالمكذب لأصغرهم- ولا صغير فيهم- داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله ﷺ، وألزمها كل من سب واحدا من أصحابه أو طعن عليه.... فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله.

هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة.. »[1].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/٢٩٦-٢٩٩) بتصرف، ولمزيد تفصيل في حكم سب الصحابة، وأقوال أهل العلم في ذلك، وأدلتهم، انظر: «النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب»، لضياء الدين المقدسي، وهو كتاب آثار؛ حيث اورد جملة من الآثار المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، في حكم من سب الصحابة على وجه العموم، أو من سب أعياناً من الصحابة –سماهم-، وذكر مجموعة من القصص في العقوبات المشاهدة على من سب الصحابة، وختم كتابه بقصيدة نسبها لعبد الله بن المبارك، تلخص عقيدة أهل السنة في الصحابة ﭫ، وأوردها بتمامها؛ لنفاستها ﭬ قال:

إِنِّي امـــرء لَـــيْسَ فِي دِيـــنِي لِغَـــامِزِهِ ... لِـــينٌ وَلَسْـــتُ عَلَـــى الْأَسْـــلَافِ طَعَّـــانَا
شُـــغِلْتُ عَـــنْ بُغْـــضِ أَقْـــوَامٍ مَضَـــوْا ... سَـــلَفًا وَلِلرَّسُـــولِ مَـــعَ الْفُرْقَـــانِ أَعْـــوَانَا
فَمـــا الـــدُّخَولُ عَلَـــيْهِمْ فِي الَّـــذِي عَمِلُـــوا ... بِالظَّـــنِّ مِـــنِّي وَقَـــدْ فَرَّطْـــتُ عِصْـــيَانَا
فَـــلَا أَسُـــبُّ أَبَا بَكْـــرٍ وَلَا عُمَـــرًا ... وَلَا أَسُـــبُّ مَعَـــاذَ اللَّهِ عُثْمَـــانَا

وهذا كلام متين غاية في النفاسة، أتى على جملة ما في هذه المسألة، واعتقاد أهل الحق فيها.

ومن الخطب الثابتة عن النبي ﷺ في تحريم سب الصحابة:

عن ابن عمر قال: «خطبنا عمر بالجابية(١) ، فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: (أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم

وَلَا ابْـــنَ عَـــمِّ رَسُـــولِ اللَّهِ أَشْـــتُمُهُ ... حَـــتَّى أُلَـــبَّسَ تَحْـــتَ التُّـــرْبِ أَكْفَـــانَا
وَلَا الزُّبَيْـــــرَ حَـــــوَارِيَّ الرســـــول ولا ... أهـــدي لطلحـــة شـــتاما عـــز أو هـــانا
وَلَا أَقُـــولُ عَلِـــيٌّ فِي السَّـــحَابِ لَقَـــدْ ... وَاللَّهِ قُلْـــــتُ ظُلْمـــــا إِذًا وَعُـــــدْوَانَا
وَلَا أَقُـــولُ بِقَـــوْلِ الْجَهْـــمِ إِنَّ لَـــهُ ... قَـــوْلًا يُضَـــارِعُ أَهْـــلَ الشـــر ك أَحْيَـــانَا
وَلَا أَقُـــولُ تَخَلَّـــى مِـــنْ خَلِيفَتِـــهِ ... رَبُّ الْعِبَـــــادِ وَوَلَّى الْأَمْـــــرَ شَـــــيْطَانَا
مـــا قَـــالَ فِرْعَـــوْنُ هَـــذَا فِي تَجَـــبُّرِهِ ... فِرْعَـــوْنُ مُوسَـــى وَلَا هَامَـــانُ طُغْيَـــانَا
لَكِـــنْ عَلَـــى مِلَّـــةِ الْإِسْـــلَامِ لَـــيْسَ لَنَـــا ... اسْـــــمٌ سِـــــوَاهَا بِـــــذَاكَ اللَّهُ سَمَـــــانَا
إِنَّ الْجَماعَـــــةَ حَبْـــــلُ اللَّهِ فَاعْتَصِـــمُوا ... بِهَـــا فَإِنَّهَـــا العـــروة الـــوثقى لمـــن دانا

وانظر: «شرح النووي على مسلم» (١٦/٩٢-٩٤) باب: تحريم سب الصحابة، و «الصارم المسلول على شاتم الرسول»، لابن تيمية (٥٦٧-٥٨٧) حيث عقد فصلاً في حكم سب الصحابة، وتفصيل سبهم، ودركاته، وانظر: «صب العذاب على من سب الأصحاب»، لأبي المعالي محمود شكري الآلوسي، و «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم»، للباحث/ ناصر بن علي عائض حسن (٢/٨٣١-٨٧٩)، حيث عقد فصلاً في تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم.

(١) هي قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفّر في شمالي حوران. انظر: ©معجم البلدان® (٢/٩١).

الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن. هذا لفظ الترمذي، ولفظ ابن ماجه: (احفظوني في أصحابي))[١].

والشاهد من الحديث قوله ﷺ: (أوصيكم بأصحابي-احفظوني في أصحابي)، ووجه الدلالة فيه تحريم الصحابة، أن الوصاية بهم تتضمن توقيرهم، وتعديلهم، وتحريم سبهم.

قال المناوي: « أي راعوا حرمتي، وارقبوني فيهم، واقدروهم حق قدرهم، وكفوا ألسنتكم عن غمطهم أو الوقيعة فيهم، بلوم أو تعنيف لبذلهم نفوسهم، وإطراحها بين يدي الله تعالى في الحروب، وقتالهم القريب والبعيد في ذات الله، وبذلهم أموالهم، وخروجهم من ديارهم، وصبرهم على البلاء، والجهد الذي لا يطيقه غيرهم، وليس ذلك إلا عن أمر عظيم ملك البواطن وصرفها على حكم محبة الله ومحبة رسوله؛ فاستوجبوا بذلك الرعاية، وكمال العناية، والإضافة للتشريف»[٢].

فنسأل الله ﷻ الكريم المنَّان، أن يحشرنا معهم بحبنا لهم، وإن لم نعمل مثل أعمالهم، ولا قريباً من عشر معشارها.

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء في لزوم الجماعة) (٤ / ٣٨) برقم: (٢١٦٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد رواه ابن المبارك عن مُحَمَّد بن سوقة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي ﷺ »، وأخرجه ابن ماجه في "سننه" (أبواب الأحكام، باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد) (٣ / ٤٤٩) برقم: (٢٣٦٣)، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، والألباني: انظر: «إرواء الغليل» (٢١٥/٦) برقم: (١٨١٣).

(٢) «فيض القدير» (١٩٧/١)، وانظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» له أيضاً(٤٦/١)، و «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (٦٤/٢).

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإمامة.

وتحته تمهيد أربعة مباحث:

المبحث الاول: المسائل العقدية المتعلقة بتنصيب الإمام.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بحقوق الراعي على الرعية .

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بحقوق الرعية على الراعي.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بعقوبة من خرج على الإمام.

تمهيد

من مباحث العقيدة المهمة والتي دونها أهل السنة والجماعة في كتبهم، مبحث الإمامة أو الخلافة وما يتعلق به من طرق تنصيب الإمام، وبيان وجوب السمع والطاعة لهم في غير معصية، وإن جاروا، وإن ظلموا، وأن مصالح الناس الدينية، والدنيوية لا تستقيم بدون إمام [1]، كما قال ابن المبارك[2]:

الله يدفع بالسلطان معضلة ... عن ديننا رحمة منه ورضوانا
لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهبا لأقوانا[3]

الإمامة هي «حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»[4].

«ومبحث الإمامة أضحى من أبواب الاعتقاد؛ لورود البدع فيه، وتميز الحق وأهله فيه، فصار من الأصول التي تميز بها أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعة؛ ولذلك ذكرها كل من صنف في مجمل الاعتقاد من أهل السنة سلفاً وخلفاً»[5].

ومن الأدلة على وجوب الإمامة:

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/٣٩٠)، و «منهاج السنة» (١/٧٨)، كلاهما لابن تيمية.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، المروزي، أحد الأئمة الأعلام و حفاظ الإسلام، قال عنه الحافظ ابن حجر: «ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير»، توفي سنة١٨١هـ. انظر: «تقريب التهذيب» (ص٣٢٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/٣٧٨).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/٤١٤).

(٤) «مقدمة ابن خلدون، المضمنة في تاريخه» (١/٢٣٩)، وانظر: «الأحكام السلطانية»، للماوردي (ص١٥).

(٥) «الدلالات العقدية لألقاب الولاة» د/ مُحَمَّد أبوسيف الجهني (ص٨).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

قال القرطبي: «هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع»(١).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم »(٢).

قال ابن تيمية: «فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر؛ تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع؛ ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة؛ وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة»(٣).

والإجماع قائم على وجوبها.

قال النووي: « وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة»(٤).

ويتفرع عن مسألة الإمامة مسألة وجوب السمع والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين، في غير معصية؛ حيث جعل الله طاعتهم من طاعته وطاعة رسوله ﷺ، ما لم يأمروا بمعصية، فلا يطاعون في تلك المعصية، ويبقى لهم حق السمع والطاعة فيما سواه.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٣٩٥/١).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ١٣٣) برقم: (٦٧٢) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٩٠/٢٨).

(٤) «شرح النووي على مسلم » (٢٠٥/١٢)، وانظر: «فتح الباري»، لابن حجر (٢٠٨/١٣)، و «شرح السنة»، للبغوي (١٠٤٨)، و «السيل الجرار»، للشوكاني (ص٩٣٦).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

قال السعدي: « ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما، وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(١).

قال ابن رجب: « وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر، إن كان فاجرا عبد المؤمن فيه ربه، وحمل الفاجر فيها إلى أجله»(٢).

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات، إلا مات ميتة جاهلية»(٣).

قال الحافظ ابن حجر: «المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء فكني عنها بمقدار الشبر لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق... ثم نقل عن ابن بطال قوله: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٨٣).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (١١٧/٢).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية) (٩ / ٦٢) برقم: (٧١٤٣)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن) (٦ / ٢١) برقم: (١٨٤٩).

وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها» (١).

ونصوص الأئمة في ذلك كثيرة، يصعب حصرها، منها:

قال الإمام أحمد: « ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق»(٢).

وقال أبو جعفر الطحاوي: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة »(٣).

وقال أبو الحسن الأشعري(٤): «وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين وعلى أن كل من ولي شيئاً من أمورهم عن رضى أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل.. »(٥).

---

(١) «فتح الباري» (٧/١٣)، وانظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٨/١٠).

(٢) «أصول السنة»، برواية عبدوس العطار (ص٤٥-٤٧).

(٣) «متن الطحاوية بتعليق الألباني» (ص٦٨-٦٩).

(٤) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل الأشعري البصري، صاحب التصانيف، متكلمٌ معروف، تنسب إليه الفرقة الأشعرية، وإن كانوا ليسوا على آخر ما استقر عليه أمره؛ لكونه رجع في آخر حياته –في الجملة –إلى مذهب أهل الحديث، من مصنفاته: الإبانة، ومقالات الإسلاميين، توفي سنة ٣٢٤هـ. انظر: «تاريخ بغداد» (٢٦٠/١٣).

(٥) «رسالة إلى أهل الثغر» (ص١٦٨-١٦٩).

فيتضح جلياً مما سبق أن الإمامة واجبة شرعاً، ودل على ذلك العقل، شرعاً كما سبق بيانه من الأدلة، وعقلاً؛ لما عُلم عند القاصي والداني، أن مصالح الناس الدينية والدنيوية لا تتم إلا بإمام يجتمعون عليه.

قال ابن تيمية: « يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين؛ بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها. فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس.... ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة. وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم. وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة... ويقال (ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان)، والتجربة تبين ذلك»(١).

ومن هنا تتبين لنا الحكمة من طاعة من ولاه الله أمرنا، وإن كان فاسقاً في نفسه، جائراً بمنع الحقوق الواجبة عليه للناس؛ لأن خلاف ذلك يترتب عليه من الشر والفساد، واستباحة الدماء والأعراض، وانتشار الفوضى وعدم الأمن – ما هو مشاهد لكل ذي عينين سليمتين، تنظران للأمور بنظر الشرع، لها نظر سواه، وإلا كانت عوراء، أو عمياء، بحسب بعدها عن الشرع.

ومن تدبر هذا الباب العظيم، وجد أن مال الأمر إلى طاعة الله، فهو الذي أوجب علينا طاعتهم، ومع ذلك فأهل السنة لا يطيعون الولاة طاعة مطلقة، كطاعة الله ورسوله، بل يطيعونهم ضمناً لطاعة الله وطاعة رسوله.

قال النووي: « وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل وحكي عن المعتزلة

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٣٩٠-٣٩١)، بتصرف، وانظر: «الدلالات العقدية لألقاب الولاة» د/ محمد أبوسيف الجهني (ص٣٠).

أيضاً فغلط من قائله مخالف للإجماع قال العلماء وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه»[1].

قال شيخ الإسلام: « أنهم لا يوجبون طاعة الإمام في كل ما يأمر به بل لا يوجبون طاعته إلا فيما تسوغ طاعته فيه في الشريعة فلا يجوزون طاعته في معصية الله وإن كان إماما عادلا وإذا أمرهم بطاعة الله فأطاعوه مثل أن يأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصدق والعدل والحج والجهاد في سبيل الله فهم في الحقيقة إنما أطاعوا الله والكافر والفاسق إذا أمر بما هو طاعة لله لم تحرم طاعة الله ولا يسقط وجوبها لأجل أمر ذلك الفاسق بها كما أنه إذا تكلم بحق لم يجز تكذيبه ولا يسقط وجوب اتباع الحق لكونه قد قاله فاسق فأهل السنة لا يطيعون ولاة الأمور مطلقا إنما يطيعونهم في ضمن طاعة الرسول ﷺ.

كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ [سورة النساء: ٥٩]، فأمر بطاعة الله مطلقا وأمر بطاعة الرسول لأنه لا يأمر إلا بطاعة الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وجعل طاعة أولي الأمر داخلة في ذلك فقال وأولي الأمر منكم ولم يذكر لهم طاعة ثالثة لأن ولي الأمر لا يطاع طاعة مطلقة إنما يطاع في المعروف »[2].

فأمر الإمامة شأنه عظيم، وعدم قفو ما جاء به الشرع فيه يؤدي إلى ما ذُكر من المفاسد.

قال شيخ الإسلام: «ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته »[3].

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم»(٢٢٩/١٢).

(٢) «منهاج السنة» (٣٨٧/٣).

(٣) «منهاج السنة» (٣٩١/٣)، وانظر: «نفس المصدر» (٥٤٧/١-٥٤٨).

وقال الحافظ ابن حجر: « والحكمة في الأمر بطاعتهم المحافظة على اتفاق الكلمة؛ لما في الافتراق من الفساد»(١).

(١) «فتح الباري» (١٣/١١٢).

المبحث الاول: المسائل العقدية المتعلقة بتنصيب الإمام.

بين أهل العلم – رحمهم الله – طرق انعقاد الإمامة في كتبهم، وبينوا أن الإمامة متى حصلت بواحدة من هذه الطرق؛ ترتبت عليها أحكامها، من وجوب السمع الطاعة، والنصح، وعدم الخروج عليهم بالفعل أو القول، قال الشيخ الشنقيطي: «.. اعلم أن الإمامة تنعقد له بأحد أمور: الأول: ما لو نص ﷺ على أن فلانا هو الإمام فإنها تنعقد له بذلك، وقال بعض العلماء: إن إمامة أبي بكر – رضي الله عنه – من هذا القبيل ؛ لأن تقديم النبي – ﷺ – في إمامة الصلاة وهي أهم شيء، فيه الإشارة إلى التقديم للإمامة الكبرى وهو ظاهر.

الثاني: هو اتفاق أهل الحل والعقد على بيعته، وقال بعض العلماء: إن إمامة أبي بكر منه ؛لإجماع أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار عليها بعد الخلاف، ولا عبرة بعدم رضى بعضهم، كما وقع من سعد بن عبادة(١) – رضي الله عنه – من عدم قبوله بيعة أبي بكر رضي الله عنه.

الثالث: أن يعهد إليه الخليفة الذي قبله، كما وقع من أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، ومن هذا القبيل جعل عمر – رضي الله عنه – الخلافة شورى بين ستة من أصحاب رسول الله – ﷺ – مات وهو عنهم راض.

الرابع: أن يتغلب على الناس بسيفه، وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتب له الأمر، وتدين له الناس لما في الخروج عليه حينئذ من شق عصا المسلمين، وإراقة دمائهم، قال بعض العلماء: ومن هذا القبيل قيام عبد الملك بن مروان على عبد الله بن الزبير، وقتله إياه في مكة على يد الحجاج بن يوسف، فاستتب الأمر له»(٢).

---

(١) هو أبو ثابت و يقال أبو قيس سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن حزيمة الأنصاري الخزرجي المدني، أحد النقباء و سيد الخزرج، توفي رضي الله عنه سنة ١٥هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١/٢٧٠)، و «الإصابة» (٣/٥٥).

(٢) «أضواء البيان» (١/٢٢-٢٣).

وقد كثر كلام الأئمة في كتبهم في تقرير أن أحكام الإمامة من وجوب السمع والطاعة، وغيرها، ثابتة لمن تغلب واستتب له الأمر، وإن كان قد ترتب على استتبابه من القتل والظلم، ولكنهم يرون وجوب السمع والطاعة لمن تغلب؛ حقناً للدماء، وحتى تستقيم حياة الناس(١).

وهذه الطرق–أعني طرق تنصيب الإمام استنبطها أهل العلم من النصوص الشرعية، ومن تلكم النصوص ما ورد عن النبي ﷺ من خطب، والذي ثبت عندي من خطب النبي ﷺ في طرق نصب الإمام، وترتب حقوق الإمامة عليه، هي الطريقة الأخيرة، وهي طريقة التغلب:

فمن ذلك:

١/ **ما رواه يحي بن حصين** قال: سمعت جدتي(٢) تحدث: أنها سمعت النبي ﷺ يخطب في حجة الوداع وهو يقول: «ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله(٣)، فاسمعوا له وأطيعوا»(١).

---

(١) انظر: «الدرر السنية» (٥/٩، ٢٠).

(٢) هي الصحابية الجليلة أم الحصين بنت إسحاق الأحمسية جدة يحي بن الحصين، شهدت حجة الوداع مع النبي ﷺ، أخرج حديثها أصحاب الكتب الستة عدا البخاري. انظر: ©الاستيعاب® (١٩٣١/٤).

(٣) قوله ﷺ: «يقودكم بكتاب الله» معناه: ما داموا متمسكين بالإسلام، ولم يظهروا كفراً بواحاً، فيكون في معنى قوله ﷺ: (لا ما صلوا)، أي: ما كان لهم حكم أهل القبلة والصلاة، ولم يرتدوا ويبدلوا الدين ويدعوا إلى غيره، وكذلك يدخل في معنى «يقودكم بكتاب الله» أن طاعته تكون فيما وافق كتاب الله، وأما ما خالفه، فلاتجوز طاعته فيه، كما قال ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف»، إذا تبين هذا فليس معنى الحديث أن وجوب طاعة الولاة والحكام معلق على كونهم عدولاً أثبات، بل معلق على كونهم مسلمين، وإن كانوا في أنفسهم فسقة ظالمين، وبذلك تجتمع الأدلة اجتماعاً شرعياً، لا تعسفياً، وسأورد نقلاً عن القاضي عياض يبين ما ذكرت، قال في«إكمال المعلم»(٢٦٤–٢٦٥) قال: «وقوله: أفلا نقاتلهم؟ قال: " لا، ما صلوا " على ما تقدم من منع الخروج على الأئمة والقيام عليهم ما داموا على كلمة الإسلام، ولم يظهروا كفرا بينا، وهو الإشارة هاهنا: " ما صلوا "، أي ما كان لهم حكم أهل القبلة والصلاة، ولم يرتدوا ويبدلوا الدين ويدعوا إلى غيره. والإشارة أيضاً بقوله: " عبدا حبشيا يقودكم بكتاب الله " أي بالإسلام وحكم كتاب الله وإن

٢/ **وكذلك ما صح عن العرباض بن سارية** ﷺ قال: « قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقيل: يا رسول الله، وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد. فقال: عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، وسترون من بعدي اختلافا شديدا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة»(٢).

فقوله ﷺ: (ولو استعمل عليكم عبد) مع قوله: (والسمع والطاعة وإن عبدا حبشياً)، فيه دلالة على أن من طرق نصب الإمام التغلب والقهر على الناس؛ ووجه ذلك أن العبد ليس أهلاً للولاية والإمامة بالإجماع(٣).

جار»، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى: «إكمال المعلم»، للقاضي عياض (٣٧٥/٤)، و (٢٤٢/٦)، و«شرح النووي على صحيح مسلم»(٤٦/٩-٤٧)، و «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، لابن تيمية(٤٥٠/٢).

(١)أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الْأمراء فِي غير معصية) (٦ / ١٤) برقم: (١٨٣٨).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب في لزوم السنة) (٤ / ٣٢٩) برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي في "جامعه" (أبواب العلم عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع) (٤ / ٤٠٨) برقم: (٢٦٧٦)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين) (١ / ٢٨) برقم: (٤٢)، واللفظ له، والحديث له طرقٌ كثيرة بعضها صحيح، وبعضها حسن، وتلقاه أهل العلم بالقبول، وصححه غير واحد من أهل العلم، منهم الترمذي، قال: «حديث حسن صحيح»، وصححه البزار، وابن عبد البر، والحاكم، وابن رجب، وانظر تخريجه موسعاً: «مسند الإمام أحمد» الحاشية (٣٦٧/٢٨-٣٧١) برقم: (١٧١٤٢)، و «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»، للشيخ الألباني (١٠٧/٨-١٠٩) برقم: (٢٤٥٥)، و «السلسلة الصحيحة» (٥٢٦/٦-٥٢٩)، برقم: (٢٧٣٥).

(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٢١٥/٨)، و«فتح الباري»، لابن حجر(١٢٢/١٣).

وإنما كان العبد إماما بالتغلب؛ لأنه ورد أن النبي ﷺ أخبر أنه «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان »(١)، فدل ذلك على أن غيرهم يكون متغلباً.

قال الحافظ ابن حجر: « واستدل به على المنع من القيام على السلاطين وإن جاروا؛ لأن القيام عليهم يفضي غالباً إلى أشد مما ينكر عليهم، ووجه الدلالة منه أنه أمر بطاعة العبد الحبشي، والإمامة العظمى إنما تكون بالاستحقاق في قريش فيكون غيرهم متغلبا فإذا أمر بطاعته استلزم النهي عن مخالفته والقيام عليه»(٢).

فظهر من خلال ما سبق أن من تغلب واستتب له الأمر وجبت طاعته بالمعروف، وإن كان في الأصل غير أهل للولاية.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الأحكام، باب الأمراء من قريش) (٩ / ٦٢) برقم: (٧١٤٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة فِي قريش) (٦ / ٢) برقم: (١٨٢٠).

(٢) «فتح الباري» (١٨٧/٢)، و انظر: (١٢٢/١٣) من نفس المصدر، و «شرح رياض الصالحين»، لابن عثيمين (٦٥٨/٣).

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بحقوق الراعي على الرعية.

من المسائل التي يبحثها أهل العلم في هذا الباب، حقوق الراعي على رعيته، والعكس، وقد ذكروا من حقوق الراعي على رعيته:

١/ السمع والطاعة له في كل حال غير المعصية.

٢/ النصح له، بالشروط المعروفة في هذا الباب، وهي أن تكون سراً، لا علناً؛ لقول النبي ﷺ: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه»(١).

وعقل الصحابة هذا المعنى، وطبقوه، واقتدى بهم من بعدهم من السلف الصالح من التابعين، وتابعيهم بإحسان.

فعن أسامة بن زيد قال: «قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه... »(٢).

قال القاضي عياض: « قوله: (دون أن أفتح باباً لا أحب أن أكون أول من فتحه): يعنى في المجاهرة بالنكير والقيام بذلك على الأمراء، وما يُخشى من سوء عقباه، كما

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (باب كيف نصيحة الرعية للولاة) (٥٢١/٢) برقم: (١٠٩٦) واللفظ له، وأحمد في "مسنده" (مسند المكيين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن حديث هشام بن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) (٦ / ٣٢٣٤) برقم: (١٥٥٦٨)، والحاكم في "مستدركه" (كتاب معرفة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية) (٣ / ٢٩٠) برقم: (٥٣٠٥)، والبيهقي في "سننه الكبير" (٨ / ١٦٤) برقم: (١٦٧٥٧) (كتاب قتال أهل البغي، باب النصيحة لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وما على الرعية من إكرام السلطان المقسط)، والحديث صححه الألباني بمجموع طرقه، في «ظلال الجنة» (٥٢١/٢-٥٢٢) برقم: (١٠٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر) (٩ / ٥٥) برقم: (٧٠٩٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عَنْ المنكر ويفعله) (٨ / ٢٢٤) برقم: (٢٩٨٩).

تولد من إنكارهم جهارًا على عثمان بعد هذا، وما أدى إلى سفك دمه واضطراب الأمور بعده.

وفيه التلطف مع الأمراء، وعرض ما ينكر عليهم سراً، وكذلك يلزم مع غيرهم من المسلمين ما أمكن ذلك، فإنه أولى بالقبول وأجدر بالنفع، وأبعد لهتك الستر وتحريك الأنفة»(١).

٣/ عدم الخروج عليه بالفعل، أو القول، على الوجه الذي سبق بيانه.

٤/ الصبر على جورهم، وظلمهم.

وهذه الحقوق تكون حتى مع ظلمهم، وجورهم، كما جاءت بذلك السنن عن رسول الله ﷺ، وكما قرر ذلك أهل العلم في كتبهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون قالوا فما تأمرنا قال فوا ببيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم»(٢).

قال ابن حجر: « وفي الحديث تقديم أمر الدين على أمر الدنيا؛ لأنه ﷺ أمر بتوفية حق السلطان؛ لما فيه من إعلاء كلمة الدين، وكف الفتنة والشر، وتأخير أمر المطالبة بحقه لا يسقطه، وقد وعده الله أنه يخلصه ويوفيه إياه ولو في الدار الآخرة»(٣)، وقد ورد هذا المعنى جلياً في خطب النبي ﷺ

ومن الخطب التي ورد فيها بعض هذه الحقوق:

---

(١) «إكمال المعلم» (٥٣٨/٨).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل) (٤ / ١٦٩) برقم: (٣٤٥٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول) (٦ / ١٧) برقم: (١٨٤٢).

(٣) «فتح الباري» (٤٩٧/٦).

١/ ما ثبت عن يحيى بن حصين قال: سمعت جدتي تحدث: أنها سمعت النبي ﷺ يخطب في حجة الوداع وهو يقول: «ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله، فاسمعوا له وأطيعوا»(١).

فقوله: (فاسمعوا له وأطيعوا)، فيه نص على حق من حقوق الراعي على رعيته، وهو على السمع والطاعة، مع تخلف الأهلية، لكون المستعمل على الناس عبدٌ، وهو غير أهل في الأصل للولاية بالإجماع السابق ذكره، ولكن في هذا تنبيهاً على كون فقدان الأهلية في الولاية لا يُسقط حق السمع والطاعة، إلا إذا كان عدم الأهلية بالكفر الصريح البين الذي لا يحتمل التأويل، كما صح ذلك عن الصادق المصدوق، الذي يعز عليه ويشق ما يكون فيه عنت لنا.

فعن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، قلنا: أصلحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به، سمعته من النبي ﷺ، قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: «أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان» (٢).

٢/ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «بينا نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ نزلنا منزلا، فمنا من يضرب خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشرته، إذ نادى منادي النبي ﷺ: الصلاة جامعة فاجتمعنا، فقام النبي ﷺ، فخطبنا،... ثم

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) (٦ / ١٤) برقم: (١٨٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الفتن، باب قول النبي سترون بعدي أمورا تنكرونها) (٩ / ٤٧) برقم: (٧٠٥٥)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) (٦ / ١٦) برقم: (١٧٠٩).

قال.. ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا رقبة الآخر»(١).

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن عقد البيعة للإمام أمره عظيم، وهو أمانة، يترتب عليها النصيحة الخالصة، وعدم الغش فيها، وهي من حقوق الراعي على الرعية؛ لذلك قال: (ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه)، قال القرطبي -معلقاً على هذا الحديث- قال: « ولا بد من التزام البيعة بالقلب، وترك الغش والخديعة، فإنها من أعظم العبادات، فلا بد فيها من النية والنصيحة»(٢)، وقوله ﷺ (وثمرة قلبه) «كناية عن الإخلاص في العهد والتزامه»(٣)، ثم أكد هذا العهد الغليظ بقوله: (فليطعه)، والطاعة من لوازم الإخلاص في البيعة، وعدم الغش فيها، ولم يكتف بذلك، بل أخبر ﷺ، بعقوبة من خالف ذلك، وأراد أن يشق عص الجماعة، وينازع الأمر أهله، وذلك بقوله: (فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا رقبة الآخر) و« معناه: ادفعوا الثاني فإنه خارج على الإمام، فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه، فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتله ولا ضمان فيه؛ لأنه ظالم متعد في قتاله»(٤).

وكما سبق بيانه أن هذه الحقوق التي ثبتت للأمير، إنما هي من الشارع الحكيم، ولا دخل فيها لاجتهاد بشري، ولا لقياس عقلي، أو اندفاع عاطفي، وسيرة الأئمة مع جور الولاة، وظلمهم، معروفة لكل من له أدنى نظر في علوم الشرع، وكانوا من أكثر الناس تعرضاً لظلمهم، وتسلطهم عليهم، وامتحانهم، ومع ذلك قدموا حق الله على حظوظ أنفسهم، من الرغبة في الانتقام، وتهييج الناس؛ لأن النفس البشرية تحب الانتقام

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول) (٦ / ١٨) برقم: (١٨٤٤)، والنسائي في "المجتبى" (كتاب البيعة، باب ذكر ما على من بايع الإمام وأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه) (١ / ٨٢٦) برقم: (٤٢٠٢ / ١) واللفظ له.

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١٢/١٠٠).

(٣) «عون المعبود» (١١/٢١٤)، وانظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم»، للقاضي عياض (٦/٢٥٦).

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/٢٣٤).

ممن ظلمها ظلما يسيراً، فكيف بالظلم العظيم الذي يكون معه تشهيرٌ، كما في سيرة الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله، فمن أراد أن يعرف تطبيق منهج أهل السنة والجماعة بحق في هذا الباب، فليقرأ سيرة هذا الإمام، فإن هذا الأمر كان ظاهراً في سيرته، وإن كان واضحاً جلياً قبله.

قال شيخ الإسلام « مع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية، ولا كل من قال إنه جهمي كفره، ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم؛ بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة- لم يكفرهم أحمد وأمثاله، بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم، ويدعو لهم، ويرى الائتمام بهم في الصلوات خلفهم والحج والغزو معهم والمنع من الخروج عليهم ما يراه لأمثالهم من الأئمة، وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم، وإن لم يعلموا هم أنه كفر، وكان ينكره ويجاهدهم على رده بحسب الإمكان؛ فيجمع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنة والدين وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة، وإن كانوا جهالا مبتدعين، وظلمة فاسقين»(١).

فنسأل الله جل جلاله أن يرزقنا كلمة الحق في الغضب والرضا، وأن يجعلنا منقادين لشرعه، وإن خالف أهوائنا.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/٥٠٧-٥٠٨).

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بحقوق الرعية على الراعي.

هذا المبحث امتداداً للمبحث السابق؛ إذ يتضمن ما يجب على الراعي تجاه رعيته، فللرعية حقوق، وعليهم واجبات، وللراعي حقوق، وعليه واجبات، وجاء هذا المعنى في النصوص الشرعية.

ففي القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [سورة النساء: ٥٨-٥٩].

فذكر في الآية الأولى حق الرعية على الراعي، ومن جملة هذه الحقوق، أداء الأمانة إلى من ولوا في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل بينهم في القضية، والقسم بينهم بالسوية، وفي الآية الثانية ذكر حق الراعي على رعيته، وأساس هذه الحقوق، ولبها، والتي يتفرع عنها جميع حقوقه عليهم، وجوب طاعته بالمعروف، في قوله ﴿ وأولي الأمر منكم﴾، فأوصى الراعي بالرعية، وأوصى الرعية بالطاعة(١).

ومن الأدلة على ذلك من السنة:

فعن سلمة بن يزيد الجعفي(٢) رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، «أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧١/٧-١٧٢).

(٢) هو سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع بن مالك بن كعب بن سعد بن عوف بن حريم بن جعفي الجعفيّ، صاحب النبي ﷺ. انظر: «الإصابة» (١٣١/٣)

سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال: اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم»(١).

فالحديث ظاهر في إثبات حق للراعي، وحق للرعية، وأن تقصير الراعي في حق رعيته، أو منعهم منها، لا يوجب للرعية أن يخرجوا عليه، ولا أن ينزعوا يداً من طاعة.

وكما جاءت خطب النبي ﷺ بتقرير حق الراعي جاءت كذلك ببيان وتجلية حقوق الرعية على رعاياهم، ومن ولوا أمرهم، ومن تلكم الخطب التي وردت في بيان حقوق الرعية على الراعي:

١/ ما صح عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ أتي بمال أو سبي فقسمه، فأعطى رجالا وترك رجالا، فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله ثم أثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فو الله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي، ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، فيهم عمرو بن تغلب ". فو الله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم) (٢).

ووجه الدلالة من الحديث على حقوق الرعية على الراعي، من أوجه، منها

أولاً/ أن النبي ﷺ عندما بلغه عتب الذين لم يعطهم من المال؛ بادر مسرعاً، وأطفأ ما يمكن أن يحدث من فتنٍ، وكذلك الراعي ينبغي إذا بلغه أمرٌ انتشر بين الناس، أن ينبه عليه، ويبين الحق، ويسعى ما استطاع في وأد الفتن قبل استفحالها.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق) (٦ / ١٩) برقم: (١٨٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم) (٤ / ٩٣) برقم: (٣١٤٥).

ثانياً/ أن النبي ﷺ كان يتفقد الرعية، فيرى من في دينه رقة؛ فيعطيه أكثر، ويرى من في دينه صلابة؛ فيمنعه أحياناً من بعض حطام الدنيا، وكل هذا من باب السياسة الشرعية.

قال ابن حجر: « وفيه-يعني في حديث عمرو بن تغلب- أن الرزق في الدنيا ليس على درجة المرزوق في الآخرة وأما في الدنيا فإنما تقع العطية والمنع بحسب السياسة الدنيوية فكان ﷺ يعطي من يخشى عليه الجزع والهلع لو منع ويمنع من يثق بصبره واحتماله وقناعته بثواب الآخرة»(١).

٢/ وكذلك من الخطب ما ورد عن جرير بن عبدالله رضي الله عنهما قال «كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾ والآية التي في الحشر ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾ تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(٢).

---

(١) «فتح الباري» (١٣/٥١١).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) (٣ / ٨٦) برقم: (١٠١٧).

ووجه الدلالة منه، أن من حقوق الرعية على راعيهم، تفقد أحوالهم، وحث الناس على الصدقة، لا سيما وقت الفاقة، وهذا وإن كان ليس مختصاً بولاة الأمر، لكن يتأكد في حقهم.

ويشهد لهذا، أن القرطبي بوّب على هذا الحديث بقوله: « باب حث الإمام الناس على الصدقة إذا عنت فاقة»(١).

وقال النووي: «فيه استحباب جمع الناس للأمور المهمة ووعظهم وحثهم على مصالحهم وتحذيرهم من القبائح»(٢).

٣/ وأيضاً ما صح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (جاء رجل يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب بهيئة بذة، فقال له رسول الله ﷺ: أصليت؟ قال: لا، قال: صل ركعتين، وحث الناس على الصدقة، فألقوا ثيابا فأعطاه منها ثوبين، فلما كانت الجمعة الثانية جاء ورسول الله ﷺ يخطب، فحث الناس على الصدقة. قال: فألقى أحد ثوبيه، فقال رسول الله ﷺ: جاء هذا يوم الجمعة بهيئة بذة، فأمرت الناس بالصدقة فألقوا ثيابا، فأمرت له منها بثوبين، ثم جاء الآن، فأمرت الناس بالصدقة، فألقى أحدهما فانتهره، وقال: خذ ثوبك)(٣).

وهو مثل الذي قبله، وبوّب عليه الإمام النسائي، بقوله: « باب حث الإمام على الصدقة يوم الجمعة في خطبته»(٤)، وبوّب عليه الحافظ ابن خزيمة، بقوله: « باب أمر الإمام الناس في خطبة يوم الجمعة بالصدقة إذا رأى حاجة وفقراً»(٥).

---

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٩/٣٠).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٧/١٠٢).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" (كتاب الجمعة، باب حث الإمام على الصدقة يوم الجمعة في خطبته) (١ / ٣٠٠) برقم: (١٤٠٧ / ١)، والترمذي في "جامعه" (أبواب الجمعة، باب ما جاء في الركعتين إذا جاء الرجل والإمام يخطب) (١ / ٥١٧) برقم: (٥١١)، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) «المجتبى» (١ / ٣٠٠).

(٥) «صحيح ابن خزيمة» (٣ / ٢٧٣).

٤/ ومن حقوق الرعية على الراعي كذلك ما ثبت عن عَائِشَةَ رضي الله عنها(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ أَبَا جَهْمِ[(١)] بْنَ حُذَيْفَةَ مُصَدِّقًا، فَلَاحَّهُ رَجُلٌ فِي صَدَقَتِهِ فَضَرَبَهُ أَبُو جَهْمٍ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: الْقَوَدُ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: لَكُمْ كَذَا وَكَذَا – فَلَمْ يَرْضَوْا بِهِ، فَقَالَ: لَكُمْ كَذَا وَكَذَا – فَرَضُوا بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنِّي خَاطِبٌ عَلَى النَّاسِ وَمُخْبِرُهُمْ بِرِضَاكُمْ. قَالُوا: نَعَمْ. فَخَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ أَتَوْنِي يُرِيدُونَ الْقَوَدَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ كَذَا وَكَذَا فَرَضُوا، قَالُوا: لَا. فَهَمَّ الْمُهَاجِرُونَ بِهِمْ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَكُفُّوا فَكَفُّوا، ثُمَّ دَعَاهُمْ قَالَ: أَرَضِيتُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي خَاطِبٌ عَلَى النَّاسِ وَمُخْبِرُهُمْ بِرِضَاكُمْ. قَالُوا: نَعَمْ. فَخَطَبَ النَّاسَ ثُمَّ قَالَ: أَرَضِيتُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ)[(٢)].

ووجه الدلالة منه على حقوق الرعية، من أوجه:

الأول/ أن من حقوق الرعية اهتمام الإمام بجمع صدقاتهم، حتى يوزعها على الفقراء، وهذا ظاهر من إرسال النبي ﷺ، لأبي جهم يجمع الصدقات.

الثاني/ أن من حقوق الرعية اهتمام الإمام بإقامة العدل بينهم، وذلك أن النبي ﷺ لما جاءه الليثيون يريدون القَوَد أعطاهم حتى رضوا، وهذا الاستدلال ظاهرٌ من تبويب الحافظ ابن حبان في صحيحه على الحديث، حيث قال: « باب في الخلافة والإمارة – ذكر ما يُستحب للإمام لزوم العدل في رعيته مع الرأفة بهم والشفقة عليهم»[(٣)].

---

(١) هو الصحابي الجليل عامر بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عريج بن عدي ابن كعب القرشي العدوي أبو جهم مشهور بكنيته وقيل اسمه عبيد بن حذيفة أسلم يوم الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وكان مقدماً في قريش معظماً. انظر:«الوافي بالوفيات»(٣٢٩/١٦).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الديات، باب العامل يصاب على يديه خطأ) (٤ / ٣٠٥) برقم: (٤٥٣٤)، والنسائي في "المجتبى" (كتاب القسامة والقود، باب السلطان يصاب على يده) (١ / ٩٢٩) برقم: (٤٧٩٢ / ١)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب الديات، باب الجارح يفتدى بالقود) (٣ / ٦٥٦) برقم: (٢٦٣٨)، وصححه الألباني في: «إرواء الغليل» (٣٦٦/٣).

(٣) «صحيح ابن حبان» (٣٩٩/١٠).

الثالث/ أن من حقوق الرعية على إمامهم أن يعذرهم إن كانوا جاهلين، وهذا مأخوذٌ من فعل النبي ﷺ مع الليثيين، لما أرضاهم، ثم خطب الناس، فإنهم أنكروا أن يكون النبي ﷺ قد أرضاهم، وفي هذا تكذيب للنبي ﷺ، ولكن النبي ﷺ لم يؤاخذهم؛ لجهلهم.

قال ابن حزم رحمه الله: « وفي هذا الخبر عذر الجاهل، وأنه لا يخرج من الإسلام بما لو فعله العالم الذي قامت عليه الحجة، لكان كافراً؛ لأن هؤلاء الليثين كذبوا النبي - ﷺ - وتكذيبه كفر مجرد بلا خلاف، لكنهم بجهلهم وأعرابيتهم عُذروا بالجهالة، فلم يكفروا»(١).

٥/ وكذلك ما ثبت عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: (قلَّما خطب النبي ﷺ خطبة إلا أمر فيها بالصدقة، ونهى فيها عن المثلة)(٢).

ووجه الدلالة منه على حقوق الرعية، هو حث النبي ﷺ فيها على ما فيه مصلحة لهم مالية وبدنية، فأما المالية، فحثه على الصدقة؛ حتى يردها على الفقراء، وأما البدنية فنهيه ﷺ عن المثلة، وأيضاً في حثهم على الصدقة مصلحة دينية للأغنياء، وهو الحرص على ما فيه أجرٌ وثوابٌ لهم.

٦/ عن أبي رفاعة رضي الله عنه قال: (انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب. قال فقلت: يا رسول الله! رجل غريب، جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه. قال فأقبل علي رسول

---

(١) «المحلى» (١١/١٩).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الجهاد، باب في النهي عن المثلة) (٣ / ٦) برقم: (٢٦٦٧)، وأحمد في "مسنده" (مسند البصريين رضي الله عنهم، حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما) (٨ / ٤٥٧٦) برقم: (٢٠١٧٤)، واللفظ له، والحديث له شاهدٌ من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: (خطبنا النبي - صلى الله عليه وسلم - على منبر صغير، فحثنا على الصدقة ونهانا عن المثلة) رواه أبو داود الطيالسي في "مسنده" (أحاديث جرير بن عبد الله البجلي) (٢ / ٥٢) برقم: (٧٠٠). انظر: «صحيح أبي داود»، للشيخ الألباني (٧/٤٢٠)، وكذلك «إرواء الغليل» (٧/٢٩٠-٢٩٣) برقم: (٢٢٣٠).

الله ﷺ. وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأتي بكرسي، حسبت قوائمه حديدا، قال فقعد عليه رسول الله ﷺ، وجعل يعلمني مما علمه الله. ثم أتى خطبته فأتم آخرها)(١).

والحديث فيه دلالة على حق من حقوق الرعية على الراعي، ألا هو تعليمهم ما يحتاجون إليه، سواء بنفسه أو بمن ينوب عنه، وقد بوَّب على الحديث الحافظ ابن خزيمة بقوله: « باب إباحة قطع الخطبة ليعلم بعض الرعية»(٢).

وقال النووي رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: «وفيه تواضع النبي ﷺ، ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها»(٣).

٧/ وكذلك ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله! سيدي زوجني أمته وهو يريد أن يفرق بيني وبينها. قال: فصعد رسول الله ﷺ المنبر فقال: (يا أيها الناس، ما بال أحدكم يزوج عبده أمته، ثم يريد أن يفرق بينهما؟ إنما الطلاق لمن أخذ بالساق)(٤).

والحديث فيه دلالة واضحة على اهتمام الإمام بنصرة المظلوم، لا سيما وإن كان ضعيفاً، كالمماليك، فإن النبي ﷺ بين في هذا الحديث ان الطلاق لا يملكه إلا زوج المرأة.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ١٥) برقم: (٨٧٦) (كتاب الجمعة، باب حديث التعليم فِي الخطبة).

(٢) «صحيح ابن خزيمة» (٢ / ٥٦٥) برقم: (١٤٥٧).

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٦٥/٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٣ / ٢٢٦) برقم: (٢٠٨١) (أبواب الطلاق، باب طلاق العبد)، والحديث في إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف، لكن له شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن. انظر: «إرواء الغليل»، للألباني (١٠٨/٧-١١٠) برقم: (٢٠٤١).

٨/ عن جابر بن سمرة[١] رضي الله عنهما قال: رأيت ماعز بن مالك حين جيء به إلى النبي ﷺ، رجل قصير أعضل ليس عليه رداء، فشهد على نفسه أربع مرات أنه قد زنى، فقال رسول الله ﷺ: (فلعلك قبلتها قال: لا والله، إنه قد زنى الآخر، قال: فرجمه ثم خطب فقال: ألا كلما نفرنا في سبيل الله خلف أحدهم له نبيب كنبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة، أما إن الله إن يمكني من أحد منهم إلا نكلته عنهن)[٢].

فالحديث فيه دلالة على أن من حقوق الرعية على الراعي، ترهيبهم من فعل كل ما يشينهم، لا سيما خيانة الرجل الذي ذهب للغزو في سبيل الله-خيانته في أهله، وكذلك فيه إقامة الحدود عليهم.

٩/ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (من كانت له أرض فَلْيَزْرَعْهَا، أَوْ لِيُزْرِعْهَا، ولا يؤاجرها)[٣].

ففي الحديث حث الإمام الرعية على المؤاخاة والمواساة فيما بينهم.

فيتبين مما سبق أن جماع حقوق الرعية على الراعي، الحرص على ما فيه مصالحهم الدينية، والدنيوية، وعلى هذا، تصلح كل أحاديث الخطب، لأن تكون شاهداً على هذا المعنى.

---

(١) هو أبو عبد الله، ويقال أبو خالد جابر بن سمرة بن جنادة، و يقال ابن عمرو بن جندب بن حجير بن رئاب السوائي، العامري، صاحب النبي ﷺ، توفي سنة٧٤هـ. انظر: «الاستيعاب» (٢٢٤/١)، و «سير أعلام النبلاء» (١٨٦/٣).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى) (٥ / ١١٧) برقم: (١٦٩٢)، وأبو داود في "سننه" (كتاب الحدود، باب رجم ماعز بن مالك) (٤ / ٢٥٣) برقم: (٤٤٢٢)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحرث والمزارعة، باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضا) (٣ / ١٠٧) برقم: (٢٣٤٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب البيوع، باب كراء الأرض) (٥/ ١٩) برقم: (١٥٣٦)، وابن ماجه في "سننه (أبواب الرهون، باب كراء الأرض) (٣ / ٥١٧) برقم: (٢٤٥٤)، واللفظ له.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بعقوبة من خرج على الإمام.

سبق بيان أهمية الإمامة، ووجوبها، والحقوق المترتبة عليها، لكل من الإمام والرعية، وأمر النبي ﷺ، الرعية بالصبر على جور الأئمة، وظلمهم، ووردت نصوصٌ تفيد بدفع من يريد أن يشق عصا الجماعة، ويفرق جماعة المسلمين، وإن أدى هذا الدفع إلى قتله؛ عقوبة له؛ حتى لا يتسبب هو في انتهاك الأنفس والأعراض، كما هو مشاهد في كل من خرج على ذي سلطان، ومن الخطب النبوية التي وردت في هذا الشأن:

١/ ما روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا رقبة الآخر»(١).

فقوله ﷺ: (فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا رقبة الآخر)«معناه: ادفعوا الثاني فإنه خارج على الإمام، فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه، فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتله ولا ضمان فيه؛ لأنه ظالم متعد في قتاله»(٢).

٢/ وكذلك ما ورد عن عرفجة بن شريح الأشجعي، قال: «رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس، فقال: إنه سيكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد يفرق أمر أمة محمد ﷺ كائنا من كان فاقتلوه، فإن يد الله على الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول) (٦ / ١٨) برقم: (١٨٤٤)، والنسائي في "المجتبى" (كتاب البيعة، باب ذكر ما على من بايع الإمام وأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه) (١ / ٨٢٦) برقم: (٤٢٠٢ / ١) واللفظ له.

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢٣٤/١٢).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع) (٦ / ٢٢) برقم: (١٨٥٢)، والنسائي في "المجتبى" (كتاب تحريم الدم، باب قتل من فارق الجماعة وذكر الاختلاف على زياد بن علاقة عن عرفجة فيه) (١ / ٧٩٤) برقم: (٤٠٣٢ / ١)، واللفظ له.

ففي هذا الحديث النص على دفع من ينازع الإمام، ويريد أن يشق عصا الجماعة، ولو أدى ذلك إلى قتله.

قال النووي: «فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدرًا، فقوله ﷺ (فاضربوه بالسيف) وفي الرواية الأخرى (فاقتلوه) معناه إذا لم يندفع إلا بذلك »(١).

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (٢٤٢/١٢)، ومن أراد الاستزادة من مبحث الإمامة، فلينظر: «الأحكام السلطانية»، لأبي يعلى، و «الأحكام السلطانية»، للماوردي، و «منهاج السنة النبوية»، لابن تيمية، و «تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام»؟، لابن جماعة الكناني، و «جهود شيخ الإسلام في تقرير مسائل الإمامة، والرد على المخالفين»، لشرف الدين حامد البدوي، و «ضوابط معاملة الحكام عند أهل السنة والجماعة»، لخالد ضحوي الظفيري، و «معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة»، للدكتور/ عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم.

وبعد عرض النصوص، وأقوال أهل العلم في هذا الأمر، وعرض ما جاء عن النبي ' من خطب فيه- بعد هذا، ينبغي للخطباء، وأئمة المساجد، والمتصدرين لدعوة الناس، أن يبينوا للناس ما تيسر من النصوص الواردة في هذا الأمر، وكذلك من إيراد بعض أقوال أهل العلم من كل مذهب من المذاهب الأربعة، حسب الأماكن، فالمكان الذي ينتشر فيه مذهب الشافعية، ينقل أقوال الشافعية، وهكذا؛ كل هذا حتى ينضبط اعتقاد الناس في هذه المسألة وفق ما جاء به الشرع الحكيم، لا ما أملته العواطف والأهواء، دون تفريط، أو إفراط، وينبغي مراعاة الحكمة في ذلك، حتى يكون هذا الأمر أدعى للقبول، ومن الحكمة هنا: قفو فهم أئمة السلف من الصحابة ومن بعدهم لهذه النصوص قولاً وعملاً، ومن الحكمة أيضاً أن يذكر للناس قول من يعظمونهم من أهل العلم والفضل من أصحاب المذاهب الأربعة، وغيرهم، في هذه المسألة وفي غيرها، وأنا جربت هذا ووجدته من أنفع الأمور، فكثير من الناس تخفى عليه من النصوص ما هو من أوضح الواضحات عند طالب العلم، فلا يمنعن طالب العلم، والداعية وضوحُ المسألة عنده-لا يمنعنه هذا من بيانها للناس بأدلتها، وسيفاجأ بأمور لا تخطر له على بال، منها: أنه سفاجأ بأن عدداً ممن ألقى عليهم المسألة مدعمة بالنصوص، وكلام أهل العلم- يقولون له (أول مرة نسمع هذه النصوص)، ولا تستغرب-أخي- هذا، وفقني الله وإياك لمرضاته، وجنبنا مساخطه.

وإذا اتقى الداعية ربه واستعان به في تبليغ دينه، على بصيرة، فلا عليه أن يقال عنه: عالم سلطان، أو نحوها من العبارات التي يُتهم بها كل من لم يرى الخروج على الولاة الظلمة الفسقة، فالنبي ' ابتلي، واتُهم حتى في عرضه، والأنبياء قبله كانوا كذلك يبتلون فيصبرون، والعاقبة للمتقين.

وكما سبق بيانه، أن كل ذي عقل إذا تدبر واستقرأ حال الذين خرجوا على ذوي السلطان، بسبب فسقهم، وظلمهم؛ وجد أن الفساد الذي حصل جراء ذلك لا يقارن مع مفسدة بقاءه، وهذا قديما وحديثاً، وما حصل من ثورات وفتن في البلاد الإسلامية بالأمس القريب، أكبر شاهد على هذا، والله الموفق.

الباب الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بمسائل الأسماء والأحكام في خطب النبي – ﷺ-.

وتحته فصلان:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بمسائل الإيمان.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالسنة والبدعة في خطب النبي – ﷺ-

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بمسائل الإيمان.

وتحته تمهيد خمسة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بحقيقة الإيمان والفرق بين الإيمان والإسلام

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بزيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتفاوت الناس في الإيمان.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بتبعض الإيمان.

المبحث الخامس: ما جاء في أن المعاصي تنقص الإيمان ولا تذهب أصله.

تمهيد

الإيمان من المسائل العظيمة في باب المعتقد، وهو غاية جليلة يسعى إلى تحصيلها كل مؤمن، وقد تعلقت به عدة مسائل وقع الاختلاف فيها بين المنتسبين للقبلة، فكان من الأهمية بمكان تقرير هذه المسائل وفق معتقد أهل السنة والجماعة.

قال الحافظ ابن رجب: « وهذه المسائل - أعني مسائل الإسلام والإيمان والكفر والنفاق - مسائل عظيمة جدا، فإن الله علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة، حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم، ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، ثم حدث خلاف المرجئة، وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان»(١).

والإيمان في اللغة أصله من التصديق، ولكنه تصديق معه أمن(٢).

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/١١٤).

(٢) انظر: «مقاييس اللغة»، لابن فارس (١/١٣٣-١٣٤)، و «مفردات القرآن»، للراغب الأصفهاني (ص٩١) دار القلم، و «معارج القبول» (٢/٥٩٧) و (٢/٥٩٤-٤٩٥) من نفس المصدر، حيث بين أن من قال من أهل السنة عن الإيمان أنه التصديق، فيعنون به التصديق المستلزم للانقياد، وهذا نص عبارته: «ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان: هو التصديق على ظاهر اللغة، أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرا وباطنا بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق فإن إبليس لم يكذب في أمر الله تعالى له بالسجود وإنما أبى عن الانقياد كفرا واستكبارا، واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتبعوه، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينقد، بل جحد بآيات الله ظلما وعلوا، فأين هذا من تصديق من قال الله تعالى فيه: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ [الزمر: ٣٣] الآيات؟! وأين تصديق من قال الله تعالى فيهم: ﴿قالوا سمعنا وعصينا﴾، ﴿قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم﴾ [البقرة: ٧٦] من تصديق من قالوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة: ٢٨٥]؟! »

وحقيقته في الشرع، أنه قول وعمل واعتقاد، وهو «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه»(١)

دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع(٢).

فلا ينفع عمل بدون اعتقاد، كما لا ينفع اعتقاد بدون عمل.

قال الآجري(٣): « اعملوا –رحمنا الله وإياكم– أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقا، ولا تجزيء معرفة بالقلب، ونطق باللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال: كان مؤمنا دل على ذلك القرآن، والسنة، وقول علماء المسلمين»(٤).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨٢/١٥).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧٠/٧، ٢٠٩، ٢٦٩، ٣٠٨، ٣٣٠)، و «الإبانة الكبرى»، لابن بطة (٥٥٧/٢) برقم: (٦٩٤)، و «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي (١٩٣/١) برقم: (٣٢٠)، و (٩٥٦/٥) برقم: (١٥٩٣)، و «الشريعة»، للآجري (٦١١/٢)، و «التمهيد»، لابن عبدالبر (٢٣٨/٩-٢٥٩).

(٣) هو أبو بكر مُحَمَّد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري الشافعي الإمام المحدث القدوة، من مصنفاته: الشريعة، وأخلاق العلماء، توفي سنة ٣٦٠هـ. انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (١٤٩/٣)، و «سير أعلام النبلاء» (١٣٣/١٦)، و«تذكرة الحفاظ» (٩٩/٣).

(٤) «الشريعة» (٦١١/٢)، وانظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي (٩٥٥/٥-٩٥٦).

وقال مُحَمَّد بن نصر المروزي(1): «أصل الإيمان هو التصديق وعنه يكون الخضوع فلا يكون مصدقا إلا خاضعا ولا خاضعاً إلا مصدقاً، وعنهما تكون الأعمال التي وصف النبي ﷺ الإسلام وتسمى من قام بها بالإيمان والإسلام»(2).

واشتد نكير السلف على من أخرج الأعمال من الإيمان، وحكموا عليهم بالبدعة(3).

ومن الأدلة على أن الأعمال من الإيمان:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

والمقصود بالإيمان في الآية الصلاة، والصلاة من الأعمال، فسماها الله إيماناً؛ لكونها جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح(4).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: من القوم؟ أو من الوفد؟ قالوا: ربيعة. قال: مرحبا بالقوم، أو بالوفد، غير خزايا ولا ندامى. فقالوا: يا رسول الله، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة. وسألوه عن الأشربة: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله

---

(1) هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن نصر بن الحجاج، المروزي، الشافعي، صاحب التصانيف الكثيرة، ثقة حافظ إمام، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام، من مصنفاته: تعظيم قدر الصلاة، و. انظر:«تاريخ بغداد» (٥٠٨/٤)، و «طبقات الشافعية الكبرى» (٢٤٦/٢)، و «سير أعلام النبلاء» (٣٣/١٤).

(2) «تعظيم قدر الصلاة» (٧٠٦/٢).

(3) انظر: «معارج القبول»، لحافظ حكمي (٦٠٠/٢-٦٠٢).

(4) انظر: «معارج القبول» (٦٠٠/٢).

وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس.... الحديث)[1].

فجعل الصلاة والزكاة والصوم وإعطاء الخمس من المغنم، من الإيمان، وهي أعمال ظاهرة، كما هو ظاهر من ترجمة الإمام البخاري على الحديث بقوله: (باب أداء الخمس من الإيمان)، وترجم على غيره، بقوله: (باب الصلاة من الإيمان)، و (وباب الجهاد من الإيمان)، وانظر في هذا كتاب الإيمان من صحيحه تجده مليئاً بذلك، وبوب عليه الترمذي بقوله (باب ما جاء في إضافة الفرائض إلى الإيمان)[2]

وفيما يلي عرض لأهم مباحث الإيمان التي وردت في خطب النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان) (١ / ٢٠) برقم: (٥٣)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه) (١ / ٣٥) برقم: (١٧).

(٢) (٤ / ٣٥٨) برقم: (٢٦١١)، وانظر: «معارج القبول»، لحافظ حكمي (٢/٦٠١).

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بحقيقة الإيمان والفرق بين الإيمان والإسلام.

ورد لفظ الإيمان في النصوص الشرعية وكان المقصود به أعمال الدين الظاهرة والباطنة، فدخل في ذلك أعمال القلوب واللسان والجوارح.

قال ابن القيم: «حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح»(١).

وأما الفرق بين الإسلام والإيمان، فأهل العلم من أهل السنة في ذلك على قولين(٢):

الأول/ أن الإيمان والإسلام مترادفان، وليس بينهما فرق.

وممن ذهب إلى هذا القول: مُحَمَّد بن نصر المروزي(٣)، وابن عبد البر(٤)، والبخاري وغيرهم.

قال البخاري في صحيحه مبوباً على حديث جبريل المشهور: (باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له ثم قال جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلمكم دينكم فجعل ذلك كله دينا وما بين النبي ﷺ لوفد عبد القيس من الإيمان وقوله تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾)(٥).

---

(١) «الصلاة وأحكام تاركها» (ص٥٦).

(٢) انظر: «تعظيم قدر الصلاة»، لمحمد بن نصر المروزي (٢/٥٠٦-٥٢٩)، و «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب(١/١٠٤-١١٥)، و «معارج القبول»، لحافظ حكمي (٢/٥٩٧-٦١١).

(٣) انظر: «تعظيم قدر الصلاة) (١/٤١٨).

(٤) انظر: «التمهيد» (٩/٢٥٠).

(٥) «صحيح البخاري» (١ / ١٩) برقم: (٥٠).

قال ابن رجب معلقاً على تبويب البخاري-قال: « تبويب البخاري هاهنا واستدلاله وتقريره يدل على أنه يرى أن مسمى الإيمان والإسلام واحد»(١).

واستدلوا بأدلة منها:

١/ قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [سورة الذاريات: ٣٥-٣٦].

٢/ وحديث وفد عبد القيس الذي سبق، حيث فسر النبي ﷺ الإيمان بالأعمال الظاهرة.

ثانياً / من ذهب إلى كون الإيمان والإسلام بينهما عموم وخصوص، وأنهما من الألفاظ التي إذا اجتمعا افترقا، فدل الإسلام على الأعمال الظاهرة، والإيمان على الأعمال الباطنة، كما هو في حديث جبريل الطويل.

وإذا افترقا اجتمعا فدل كل لفظ على انفراده على ما يدل عليه الآخر (٢).

ومن أوضح أدلتهم على ذلك

١/ قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [سورة الحجرات: ١٤].

(١) «فتح الباري» (٢٠٦/١).

(٢) وممن ذهب إلى التفريق بين الإسلام والإيمان: الحسن، وابن سيرين، وقتادة، وداود بن أبي هند، وأبو جعفر محمد بن علي، والزهري، وحماد بن زيد، وشريك، وابن أبي ذئب، وابن مهدي، وأحمد، وأبو خيثمة، ويحيى بن معين، وغيرهم. انظر: «فتح الباري»، لابن رجب (٢٠٧/١)، و «السنة»، للخلال (٦٠٢/٣-٦٠٤)، و «الإيمان»، لابن منده (٣١١/١)، و «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة» للدكتور/ عبد الإله الأحمدي (١٠٨/١-١١٠).

٢/ حديث سعد بن أبي وقاص(١) رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال: أو مسلما. فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال: أو مسلما. ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ، ثم قال: يا سعد إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار)(٢).

وبوَّب النسائي على الآية والحديث بقوله: (كتاب الإيمان وشرائعه، باب تأويل قوله عَزَّوَجَلَّ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)(٣).

وهذا هو الذي تدل عليه الأدلة.

قال ابن رجب: « من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان: إذا أفرد أحدهما، دخل

---

(١) هو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب و يقال: ابن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب القرشي الزهري، صاحب النبي ﷺ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين الأولين، وأحد من شهد بدراً، والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى، ومن مناقبه: أن النبي ﷺ ما جمع أبويه لأحد قبله، فقال ﷺ له: فداك أبي وأمي، توفي سنة ٥٥هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩٢/١)، و«الإصابة»(١٢٩/١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة) (١ / ١٤) برقم: (٢٧)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عَنْ القطع بالإيمان من غير دليل قاطع) (١ / ٩١) برقم: (١٥٠).

(٣) «المجتبى» (١ / ٩٦٦) برقم: (٥٠٠٧ / ١).

فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي»(١).

والتحقيق في ذلك قول من فرق بين الإسلام والإيمان؛ لظاهر النصوص الدالة على ذلك.

قال ابن تيمية: « لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام والإيمان ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام؛ وإذا أفرد الإسلام؛ فقد يكون مع الإسلام مؤمنا بلا نزاع؛ وهذا هو الواجب»(٢).

ومن الخطب النبوية الشريفة التي دلت على حقيقة الإيمان، والتفريق بينه وبين الإسلام:

١/ ما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «خطبنا عمر بالجابية، فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال... من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن»(٣).

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/١٠٥-١٠٦)، وانظر: «صيانة صحيح مسلم»، لابن الصلاح (ص١٣٥)، و«مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (٧/٢٥٩-٢٦٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/٢٥٩-٢٦٠).

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" (أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء في لزوم الجماعة) (٤ / ٣٨) برقم: (٢١٦٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي ﷺ »، وأخرجه ابن ماجه في "سننه" (أبواب الأحكام، باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد) (٣ / ٤٤٩) برقم: (٢٣٦٣)، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، والألباني: انظر: «إرواء الغليل» (٦/٢١٥) برقم: (١٨١٣).

ووجه الدلالة في الحديث على حقيقة الإيمان، أن النبي ﷺ حكم بالإيمان، لمن فرح بحسنته، وحزن على سيئته، والحسنة والسيئة نكرتان مضافتان فتعمان جنس الحسنات، فيدخل في ذلك جميع شعب الإيمان، وجنس السيئات، فيدخل في ذلك جميع شعب المعاصي.

ووجه فرحه بالحسنة وحزنه على السيئة؛ « لعلمه بأن له ربا على حسناته مثيباً وسيئاته مجازياً ومن كان كذلك فهو لتوحيد الله مخلصاً»[(١)].

ونفس الفرح بالطاعة، والحزن على السيئة من شعب الإيمان، وخصاله؛ لأن من صفات المؤمن أنه يخاف من ذنوبه، بخلاف المنافق، فإنه لا يبالي.

قال ابن بطة[(٢)] رحمه الله: « فإن سأل سائل عن معنى هذا الحديث، فإن معنى قوله: مؤمن أراد مصدق، والله أعلم؛ لأن الإيمان تصديق، فمن استبشر للحسنة تكون منه، وعلم أن الله تعالى وفقه لها وأعانه عليها، فاستبشاره تصديق بثوابها، ومن اعتصر قلبه عند السيئة تكون منه، فخاف أن يكون الله قد خذله بها ليعاقبه عليها، وعلم أنه راجع إلى الله، وأنه مسائله عنها، ومجازيه بها، فلولا حجة التصديق، وزوال الشك لما سرته الحسنة، ولا ساءته السيئة؛ لأن المنافق لا يسر بالحسن من عمله، ولا ييأس على قبيح فرط منه؛ لأنه لا يصدق بثواب يرجوه، ولا بعقاب يخافه»[(٣)].

---

(١) «فيض القدير»، للمناوي (٧٨/٣) وانظر «التيسير بشرح الجامع الصغير»، له (٣٨٨/١).

(٢) هو أبوعبد الله عبيد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حمدان بن عمر ابن عيسى بن ابراهيم بن سعد بن عتبة العكبري الحنبلي، المعروف بابن بطة، الإمام المحدث القدوة صاحب التصانيف، والتي منها: الإبانة الكبرى، والإبانة الصغرى، توفي سنة ٣٨٧هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٥٢٩/١٦)، و«طبقات الحنابلة» (١٤٤/٢).

(٣) «الإبانة الكبرى» (٦٦٠/٢)، وانظر: «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (٣٠٦/٧)، و «نيل الأوطار»، للشوكاني (٣٦١/٨). والمقصود بالتصديق في كلام ابن بطة، وفي كلام غيره من أهل السنة، عندما فسروا الإيمان بالتصديق- المقصود به التصديق الإذعاني، المستلزم لفعل الامر واجتناب النهي، انظر: «معارج القبول»، لحافظ حكمي (٥٩٤/٢-٤٩٥).

٢/ وكذلك ما ثبت عن ابن عمر أيضاً قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»(١).

فقوله ﷺ: (من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه)، فيه دلالة على التفريق بين الإسلام والإيمان، وأن بينهما عموم وخصوص.

وقد ذكر اللالكائي هذا الحديث تحت قوله: «سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن الإسلام أعم من الإيمان، والإيمان أخص منه »(٢).

وبهذا نجد أن النبي ﷺ فرّق بين الإسلام والإيمان في خطبه الشريفة، ولم يجعلهما شيئاً واحداً.

وثمرة هذه المسألة هي أن يعلم أنه قد ينتفي اسم الإيمان عن الشخص، ولا ينفى عنه اسم الإسلام؛ لأن دائرة الإسلام أوسع من دائرة الإيمان، فكل مؤمن مسلم، لا العكس.

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء في تعظيم المؤمن) (٣ / ٥٥٤) برقم: (٢٠٣٢)، وقال «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد. وروى إسحاق بن إبراهيم السمرقندي عن حسين بن واقد نحوه. وروي عن أبي برزة الأسلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا »، وقال الألباني «حسن صحيح» انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/٩٨٥)، وله شاهد من حديث ابي برزة رضي الله عنه بلفظ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب الأدب، باب في الغيبة) (٤ / ٤٢١) برقم: (٤٨٨٠).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٩٢/٤).

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بزيادة الإيمان ونقصانه.

من أصول أهل السنة والجماعة في باب الإيمان اعتقادهم أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وذلك ثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب(١) قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الأنفال: ٢].

قال الآلوسي(٢): «وهذا أحد أدلة من ذهب إلى أن الإيمان يقبل الزيادة والنقص، وهو مذهب الجم الغفير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وبه أقول لكثرة الظواهر الدالة على ذلك من الكتاب والسنة من غير معارض لها عقلاً، بل قد احتج عليه بعضهم بالعقل أيضاً، وذلك أنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان لكان إيمان آحاد الأمة بل المنهمكين في الفسق والمعاصي مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام، واللازم باطل فكذا الملزوم»(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة التوبة: ١٢٤].

---

(١) انظر: «زيادة الإيمان ونقصانه»، للدكتور/ عبدالرزاق البدر (ص٥٤-٨٢)، حيث ذكر جملة من الآيات وأقوال أهل العلم فيها للدلالة على زيادة الإيمان ونقصانه.

(٢) هو شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي البغدادي، مفسرٌ معروف، ومحدث أديب، من مصنفاته: روح المعاني، و غرائب الاغتراب، توفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: «الأعلام» (١٧٦/٧)، و«معجم المفسرين» (٦٥٥/٢).

(٣) «روح المعاني» (١٥٥/٥).

قال ابن كثير: « وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد»(١).

ومن السنة(٢) حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(٣).

وقد استدل جمعٌ من الأئمة – ﷺ– بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه؛ لأن ظاهر الحديث يدل على أن من ازداد من هذه الشعب ازداد إيمانه، والضد بالضد، والحديث جمع شعب الإيمان القولية، والعملية، والقلبية، وهذه هي حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، فأشار بقول: (لا إله إلا الله) إلى قول اللسان، وبقوله: (إماطة الأذى)، إلى الشعب العملية، وبقوله: (الحياء) إلى الشعب القلبية.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢٣٩/٤)، وانظر: (١٢/٤)، من نفس المصدر، وانظر: «زيادة الإيمان ونقصانه»، للدكتور/ عبدالرزاق البدر (ص٥٤-٨٢)

(٢) انظر: «زيادة الإيمان ونقصانه»، للدكتور/ عبدالرزاق البدر (٨٣-١٢١)، حيث ذكر عشرين حديثاً، وأقوال أهل العلم فيها، للدلالة على زيادة الإيمان ونقصانه، وانظر: «شرح النووي على مسلم» (٤١/٢، ٩١، «٦٧-٦٨»، «١٣٢-١٣٣») حيث نص في هذه المواضع على زيادة الإيمان ونقصانه.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان) (١ / ١١) برقم: (٩)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان) (١ / ٤٦) برقم: (٣٥) واللفظ له.

وممن استدل بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه، الترمذي في جامعه (١)، وابن حبان في صحيحه (٢) في تبويبهما لهذا الحديث، وابن منده(٣).

قال صديق حسن خان بعد ذكره لحديث أبي هريرة: « وفي هذا دليل على أن الإيمان فيه أعلى وأدنى، وإذا كان كذلك؛ كان قابلاً للزيادة والنقصان»(٤).

وقال الشيخ السعدي: «وهذا [الحديث] صريح في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشرائع والشعب، واتصاف العبد بها أو عدمه. ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها تفاوتاً كثيرا. فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فقد خالف الحس، مع مخالفته لنصوص الشارع»(٥).

«وكل نص يدل على زيادة الإيمان، فإنه يتضمن الدلالة على نقصه؛ وبالعكس لأن الزيادة والنقص متلازمان، لا يعقل أحدهما دون الآخر»(٦).

وأما الإجماع فقد أجمع أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقصن ونقل الإجماع غير واحد من أهل العلم.

---

(١) (٤ / ٣٦٠) برقم: (٢٦١٤) (أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه) (٤ / ٣٦٠) برقم: (٢٦١٤)

(٢) (١ / ٤٠٧) برقم: (١٨١) (كتاب الإيمان، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الإيمان شيء واحد ولا يزيد ولا ينقص)

(٣) «الإيمان» (١/٣٠٠).

(٤) «فتح البيان في مقاصد القرآن» (١٣١/٥.

(٥) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (ص٥٩).

(٦) «فتح رب البرية بتلخيص الحموية»، لابن عثيمين (ص١١٩)، وانظر: «السنة»، للخلال (٥٨٨/٣)، و «الشريعة»، للآجري (٦٠٥/٢)، و «الإبانة الكبرى»، لابن بطة (٨٥٠/٢)، و «الفِصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم (١١٠/٣)، و «الجامع لشعب الإيمان»، للبيهقي(١٢٨/١) و «الاعتقاد»، للبيهقي (ص١٧٤) ، و «فتح الباري»، لابن حجر (٤٧/١)، و «زيادة الإيمان ونقصانه»، للدكتور/ عبدالرزاق البدر (٥١-٥٤).

قال ابن عبدالبر: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»(١).

وقال ابن أبي شيبة: «الإيمان عندنا قول وعمل، ويزيد وينقص»(٢).

وقد بيَّن النبي ﷺ أن الإيمان يزيد وينقص في غير خطبة من خطبه الشريفة، فمن ذلك:

١/ ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب الناس فوعظهم، ثم قال: (يا معشر النساء تصدقن، فإنكن أكثر أهل النار. فقالت امرأة منهن: ولم ذاك يا رسول الله، قال: لكثرة لعنكن – يعني – وكفركن العشير. قال: وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب وذوي الرأي منكن. قالت امرأة منهن: وما نقصان دينها

(١) «التمهيد» (٩/٢٣٨، ٢٥٢)، وروي عن بعض السلف أنه يقول في الإيمان أنه يزيد، ولا يقول ينقص، كما روي عن مالك، ومنهم من يقول: يتفاضل كعبد الله بن المبارك، انظر: «مجموع الفتاوى»)، لابن تيمية (٧/٢٢٣-٢٢٤)، ولكن القول الأخير من قولي الإمام مالك هو موافق لقول أهل السنة في أنه: يزيد وينقص، كما حرره الدكتور/ عبدالرزاق البدر في كتابه «زيادة الإيمان ونقصانه» (ص٣٠٠)، حيث قال: «وعلى كل فهذا القول أعني قول مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الإيمان يزيد وينقص، هو الأخير من أقواله وهو المشهور عنه عند أصحابه وغيرهم لا الأول»، وحتى لو لم يثبت عن الإمام مالك أنه قال يزيد وينقص، وتوقف في النقص، فإن ماخذه في ذلك؛ أن لفظ النقص لم يرد في القرآن، وهذا يرجع بالرفعة والمنقبة له حيث كان وقافاً عند النصوص، وكذلك شيخ الإسلام ابن المبارك، أراد أن يعدل عن اللفظ المتنازع فيه إلى لفظ لا نزاع فيه، يقول شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٧/٥٠٦-٥٠٧).: «وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه؛ لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن، ولم يجدوا ذكر النقص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك والرواية الأخرى عنه؛ وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم: إنه يزيد وينقص؛ وبعضهم عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل فقال أقول: الإيمان يتفاضل ويتفاوت ويروى هذا عن ابن المبارك وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب في ثبوته»، فتبين من هذا أن الإجماع على الزيادة والنقصان ثابت، ولكن جمهور أهل السنة نصوا على الزيادة والنقصان، وبعضهم عبَّر بألفاظ أخرى؛ لاعتبارات رأوها، وهم في حقيقة الأمر متفقون على معنى الزيادة والنقصان، والله أعلم.

(٢) «الإيمان» (ص٨٧).

وعقلها، قال: شهادة امرأتين منكن بشهادة رجل، ونقصان دينكن الحيضة، تمكث إحداكن الثلاث والأربع لا تصلي)[١].

فقوله ﷺ: (ونقصان دينكن الحيضة، تمكث إحداكن الثلاث والأربع لا تصلي) فيه دلالة بيِّنة على زيادة الإيمان ونقصانه؛ وذلك أن فيه تنصيصاً على أن المرأة حال حيضها، ينقص إيمانها، من جهة كونها لا تصلي، ولا تصوم، والصلاة والصوم من الإيمان، فإذا تركتهما فترة من الزمن نقص من الإيمان بمقدار تركها.

قال النووي بعد أن بوب على الحديث بقوله: (.. باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات..)-قال: « وفيه بيان زيادة الإيمان ونقصانه»[٢].

وبوَّب عليه الترمذي في جامعه بقوله: (باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله) (١ / ٦١) برقم: (٨٠)، والترمذي في "جامعه" (أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه) (٤ / ٣٥٩) برقم: (٢٦١٣)، وقال: «وفي الباب عن أبي سعيد، وابن عمر»، ونص حديث أبي سعيد، قال: «خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار". فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن". قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ " قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ " قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان دينها »، أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٦٨) برقم: (٣٠٤) (كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم)، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٦١) برقم: (٨٠) (كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله)، والنسائي في "المجتبى" (١ / ٩٦٩) برقم: (٥٠٢٣ / ٢) (كتاب الإيمان وشرائعه، باب تفاضل أهل الإيمان).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٦٧/٢).

(٣) (٤ / ٣٥٩) برقم: (٢٦١٣).

٢/ وكذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: (ويحكم - أو قال: ويلكم -، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)(١).

ووجه الدلالة في الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه، أن الحديث نص على أن القتال بغير وجه حق فيه مشابهة للكفار من وجه، وقد يؤدي إلى الكفر إذا استحله(٢)، أو يقال: إن تفسير الكفر هنا جاء في الحديث، وهو قوله: (يضرب بعضكم رقاب بعض)(٣)؛ فدل ذلك على أن بعض المعاصي يطلق عليها في الشرع كفراً، وبعض الطاعات يطلق عليها إيماناً.

قال ابن رجب رحمه الله: «وقد ظهر لي في القرآن شاهد لتسمية القتال كفراً، وهو قوله تعالى مخاطباً أهل الكتاب ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٨٤-٨٥].

والمعنى: أن الله حرم على أهل الكتاب أن يقتل بعضهم بعضا أو يخرج بعضهم بعضاً من داره، كان اليهود حلفاء الأوس والخزرج بالمدينة، فكان إذا وقع بين الأوس أو

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى) (٢ / ١٧٧) برقم: (١٧٤٢)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) (١ / ٥٨) برقم: (٦٦)، واللفظ له، وأبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه) (٤ / ٣٥٥) برقم: (٤٦٨٦).

(٢) انظر: «الإيمان» (ص٦٧-٩٤)، لأبي عبيد القاسم بن سلام، و«شرح النووي على مسلم» (٥٥/٢)، و «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (٣٥٥/٧)، و «فتح الباري»، لابن رجب (١٣٧/١-١٤٣).

(٣) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية (٢٣٨/١).

الخزرج وبين اليهود قتال ساعد كل فريق من اليهود بأحلافه من الأوس والخزرج على أعدائهم فقتلوهم معهم وأخرجوهم معهم من ديارهم بعد أن حرم عليهم ذلك في كتابهم وأقروا به وشهدوا به، ثم بعد أن يوسر أولئك اليهود يفدوهم هؤلاء الذين قاتلوهم امتثالاً لما أمروا به في كتابهم من افتداء الأسرى منهم، فسمى الله عَزَّوَجَلَّ فعلهم للافتداء لإخوانهم إيماناً بالكتاب وسمى قتلهم وإخراجهم من ديارهم كفراً بالكتاب؛ فدلت هذه الآية عل أن القتال والإخراج من الديار إذا كان محرما يسمى كفراً، **وعلى أن فعل بعض الطاعات يسمى إيماناً**؛ لأنه سمى افتداءهم للأسارى إيماناً»(١).

والمعصية مستلزمة لنقصان الإيمان.

وبوَّب عليه الإمام أبو داود في "سننه" بقوله (كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه)(٢).

٣/ وما ثبت عن عبد الله بن عمر، وأبي هريرة- رضي الله عنهما- أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: على أعواد منبره (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات. أو ليختمن الله على قلوبهم. ثم ليكونن من الغافلين)(٣).

ووجه الدلالة في الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه، أن فيه وعيداً شديداً على من تهاون في ترك الجمعة، ترتب عليه نقصان للإيمان، ونقصان الإيمان هنا هو الختم على القلب.

قال الطيبي: «المعنى أن أحد الأمرين كائن لا محالة، إما الانتهاء عن ترك الجمعات، أو ختم الله تعالي علي قلوبهم، فإن اعتياد ترك الجمعة يغلب الرين علي القلوب، ويزهد النفوس في الطاعة. وذلك يؤدي بهم إلي أن يكونوا من الغافلين»(٤).

---

(١) «فتح الباري» (١/٢٠٢-٢٠٣).

(٢) (٤ / ٣٥٥) برقم: (٤٦٨٦).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة) (٣ / ١٠) برقم: (٨٦٥).

(٤) «شرح المشكاة» (٤/١٢٧٠)، وانظر: «الإفصاح عن معاني الصحاح»، لابن هبيرة (٨/٢٠١-٢٠٢).

وقال الصنعاني: «وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن ترك الجمعة والتساهل فيها، وفيه إخبار بأن تركها من أعظم أسباب الخذلان بالكلية»(١).

٤/ عن طارق بن شهاب: «قالت اليهود لعمر: إنكم تقرءون آية، لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً. فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت: يوم عرفة، وإنا والله بعرفة. قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا؛ ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾»(٢).

والشاهد من الحديث، هو قراءة الآية، ووجه الدلالة فيه على زيادة الإيمان ونقصانه، هو التنصيص على كمال الدين، فترك شيء من هذا الكمال أو الزيادة عليه نقصٌ.

قال البخاري رحمه الله: «وقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص»(٣).

واستدل به في صحيحه على زيادة الإيمان ونقصانه؛ حيث بوب عليه بقوله: (باب زيادة الإيمان ونقصانه)(٤).

قال ابن رجب رحمه الله مبينًا وجه استدلال البخاري رحمه الله بهذه الآية على الزيادة والنقصان- قال: «واستدل - أيضاً - بقول الله جل جلاله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾

(١) «سبل السلام» (٣٩٧/١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/ ١٨) برقم: (٤٥) (كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه)، ومسلم في "صحيحه" (٨/ ٢٣٨) برقم: (٣٠١٧)، والنسائي في "المجتبى" (٩٧٠/١) برقم: (٥٠٢٧/ ٣) (كتاب الإيمان وشرائعه، باب زيادة الإيمان)، وابن حبان في "صحيحه" (كتاب الإيمان، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الإيمان لم يزل على حالة واحدة من غير أن يدخله نقص أو كمال) (١ / ٤١٣) برقم: (١٨٥).

(٣) «صحيح البخاري» (١٧/١).

(٤) (١/ ١٨) برقم: (٤٥).

[ألمائدة: ٣] فدل على أن الدين ذو أجزاء يكمل بكمالها وينقص بفوات بعضها..... وقد احتج سفيان بن عيينة وأبو عبيد وغيرهما بهذه الآية على تفاضل الإيمان»[١].

وبوّب عليه النسائي في "المجتبى"[٢] بقوله: (كتاب الإيمان وشرائعه، باب زيادة الإيمان)،

وابن حبان في "صحيحه"[٣] (كتاب الإيمان، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الإيمان لم يزل على حالة واحدة من غير أن يدخله نقص أو كمال).

وبهذا يتبين وجه دلالة الخطب النبوية على أن الإيمان يزيد وينقص.

---

(١) «فتح الباري» (١/١٦٩-١٧٠)، وانظر: «فتح الباري»، لابن حجر (١/١٠٣-١٠٦).

(٢) (١ /٩٧٠) برقم: (٥٠٢٧ / ٣).

(٣) (١ / ٤١٣) برقم: (١٨٥).

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتبعض الإيمان، وتفاوت الناس فيه.

هذا المبحث متعلق بالمبحث السابق، ومتفرع عنه؛ لأن زيادة الإيمان ونقصانه عند الناس، يترتب عليه تفاوتهم فيه تفاوتاً عظيما، فمن زاد إيمانه قولاً وعملاً واعتقاداً، ليس كمن نقص من ذلك، وإيمان الأنبياء والمرسلين، ليس كإيمان من دونهم، بل إن الناس يتفاوتون في هذا الباب تفاوتاً عظيما، وهذا –أعني تفاوت الناس في الإيمان– أصلٌ من أصول أهل السنة والجماعة في باب الإيمان، كما أن من أصول المرجئة ومن وافقهم في هذا الباب: أن إيمان الأنبياء والملائكة، كإيمان أفسق الفاسقين!، وذلك مبني على أصلٍ عندهم، وهو أن الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ، وهذا الأصل هو الذي نشأ عنه الضلال في باب الإيمان عند المرجئة والوعيدية(١).

ولذلك قال شيخ الإسلام: «وأصل قول أهل السنة الذي فارقوا به الخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة أن الإيمان يتفاضل ويتبعض»(٢).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «إذا ثبت بدلالة الكتاب والسنة معنى الإيمان، وأنه اسم جامع لشرائع الإسلام، وأصول الإيمان، وحقائق الإحسان وتوابع ذلك من أمور الدين – بل هو اسم للدين كله – علم أنه يزيد وينقص، ويقوى ويضعف.

وهذه المسألة لا تقبل الاشتباه بوجه من الوجوه لا شرعاً، ولا حساً، ولا واقعاً،

وذلك أن نصوص الكتاب والسنة صريحة في زيادته ونقصانه....، فإن الناس في علوم الإيمان، وفي معارفه، وفي أخلاقه وأعماله الظاهرة والباطنة – **متفاوتون تفاوتا عظيما في القوة والكثرة، ووجود الآثار، ووجود الموانع**، وغير ذلك... »(٣).

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (٧/٢٢٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/٣٥٥).

(٣) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (ص٦٨).

ومن خلال ما سبق فيصح الاستدلال بكل حديث في الزيادة والنقصان على تفاوت الناس في الإيمان؛ لأنهما أمران متلازمان، فتكون الخطب الواردة في المبحث السابق واردة هنا؛ لما تقرر.

ومن الخطب التي لم تُذكر في المبحث السابق:

ما ثبت عن أبي قتادة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر لهم: (أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال. فقام رجل فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: نعم، إن قُتلت في سبيل الله وأنت صابرٌ محتسب، مقبلٌ غير مدبر. ثم قال رسول الله ﷺ: كيف قلت؟. قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله، أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدين، فإن جبريل قال لي ذلك)(١).

والشاهد من الحديث قوله ﷺ: (أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال)، ووجه الدلالة فيه على تفاوت الناس في الإيمان، أن الحديث فيه تنصيصٌ على أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال، فدل على تفاضل الناس في ذلك بحسب قيامهم بهذه الأعمال.

وفي حديث أبي سعيد ﷺ قال–سمعت رسول الله ﷺ قال: «من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(٢)، فقد بوب عليه الإمام النسائي في "المجتبى" بقوله: (باب تفاضل أهل الإيمان).

فتبيَّن مما سبق أن تفاضل الناس بتفاضلهم في القيام بشعب الإيمان، أمرٌ دلَّ عليه الكتاب والسنةُ والحسُ والعقلُ الصحيح.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين) (٦ / ٣٧) برقم: (١٨٨٥).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عَنْ المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص) (١ / ٥٠) برقم: (٤٩)، والنسائي في "المجتبى" (١ / ٩٦٩) برقم: (٥٠٢٣ / ٢) (كتاب الإيمان وشرائعه، باب تفاضل أهل الإيمان).

المبحث الرابع: ما جاء في أن المعاصي تنقص الإيمان ولا تذهب أصله.

في هذا المبحث بيان لمنهج أهل السنة والجماعة، في أن المعاصي –صغيرها وكبيرها– تنقص من الإيمان ولا تذهب أصله، والذي بذهابه يصير المرء كافراً، ولكنهم اختلفوا في: هل يسمى مؤمنا ناقص الإيمان، أو يسمى مسلما، ولكنهم لم يختلفوا قط في أنه يكفر بجرد المعاصي إلا بأن يستحلَّها.

قال ابن رجب رضي الله عنه: « وقد اختلف العلماء في مرتكب الكبائر: هل يسمى مؤمنا ناقص الإيمان، أم لا يسمى مؤمناً؟ وإنما يقال: هو مسلم، وليس بمؤمن على قولين، وهما روايتان عن الإمام أحمد، فأما من ارتكب الصغائر، فلا يزول عنه اسم الإيمان بالكلية، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، ينقص من إيمانه بحسب ما ارتكب من ذلك.

والقول بأن مرتكب الكبائر يقال له: **مؤمن ناقص الإيمان** مروي عن جابر بن

عبد الله، وهو قول ابن المبارك وإسحاق وأبي عبيد وغيرهم، والقول **بأنه مسلم ليس بمؤمن** مروي عن أبي جعفر مُحَّد بن علي، وذكر بعضهم أنه المختار عند أهل السنة.

وقال ابن عباس: «الزاني ينزع منه نور الإيمان. وقال أبو هريرة: ينزع منه الإيمان، فيكون فوقه كالظلة، فإذا تاب عاد إليه».

وقال عبد الله بن رواحة وأبو الدرداء: الإيمان كالقميص، يلبسه الإنسان تارة، ويخلعه أخرى، وكذا قال الإمام أحمد –رحمه الله – وغيره، والمعنى: أنه إذا كمل خصال الإيمان لبسه، فإذا نقص منها شيئا نزعه، وكل هذا إشارة إلى الإيمان الكامل التام الذي لا ينقص من واجباته شيء»(١).

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (٣٠٣/١)، وانظر: (١١١/١-١١٣) من نفس المصدر.

ومن أكبر الأدلة التي تبين هذا المعنى، حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أتاني آت من ربي، فأخبرني، أو قال: بشرني، أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة". قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق) (١).

قال ابن رجب: «وحديث أبي ذر معنا: أن الزنا والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد، وهذا حق لا مرية فيه، ليس فيه أنه لا يعذب يوما عليهما مع التوحيد، وفي "مسند البزار" عن أبي هريرة مرفوعا: "من قال: لا إله إلا الله نفعته يوما من دهره، يصيبه قبل ذلك ما أصابه"(٢).

وبوَّب عليه ابن حبان في "صحيحه" بقوله: (كتاب الإيمان، ذكر الخبر الدال على صحة ما ذكرنا أن معاني هذه الأخبار ما قلنا إن العرب تنفي الاسم عن الشيء للنقص عن الكمال وتضيف الاسم إلى الشيء للقرب من التمام) (٣).

وقد قرر النبي ﷺ في غير خطبة من خطبه أن المعاصي تنقص الإيمان، ولا تذهب أصله، فمن ذلك:

١/ ما ثبت عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: (ويحكم - أو قال: ويلكم -، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الجنائز، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله) (٢ / ٧١) برقم: (١٢٣٧)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار) (١ / ٦٦) برقم: (٩٤).

(٢) «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، التوحيد أو تحقيق كلمة الإخلاص» (٤٥/٣).

(٣) (١ / ٤٢٣) برقم: (١٩٥).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى) (٢ / ١٧٧) برقم: (١٧٤٢)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) (١ / ٥٨) برقم: (٦٦)، واللفظ له، وأبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه) (٤ / ٣٥٥) برقم: (٤٦٨٦).

ووجه الدلالة في الحديث على أن المعاصي تنقص الإيمان، ولا تذهب أصله، اتفاق أهل السنة والجماعة على تفسير الكفر في الحديث على غير الكفر الأكبر المخرج من الملة، إلا إذا كان مستحلاً لذلك(١)، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحجرات: ٩].

فأثبت لهم الإيمان مع المقاتلة.

٢/ وكذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمر، وأبي هريرة- رضي الله عنهما- أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: على أعواد منبره (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات. أو ليختمن الله على قلوبهم. ثم ليكونن من الغافلين)(٢).

والشاهد من الحديث في قوله: (ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين)، ووجه الدلالة فيه على أن المعاصي تنقص الإيمان، ولا تذهبه بالكلية، هو أن الوعيد المذكور في الحديث وعيد شديد، يدل على أن هذا الفعل من الكبائر، ومع ذلك لم يخرج صاحبه من الإسلام.

قال ابن عبدالبر: « والختم على القلوب مثل الطبع عليها وهذا وعيد شديد لأن من طبع على قلبه وختم عليه لم يعرف معروفاً ولم ينكر منكراً»(٣).

٣/ ومن الخطب المقررة لذلك أيضاً ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ، فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فقام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/٥٥)، و «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (٧/٣٥٥)، و «فتح الباري»، لابن رجب (١/١٣٧-١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة) (٣ / ١٠) برقم: (٨٦٥).

(٣) «الاستذكار» (٢/٥٥).

الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى، ثم انصرف، وقد انجلت الشمس، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا، وصلوا وتصدقوا". ثم قال: يا أمة مُحَّد، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته، يا أمة مُحَّد، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) [١].

والشاهد من الحديث قوله ﷺ (يا أمة مُحَّد، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته)، ووجه الدلالة فيه على أن المعاصي تنقص الإيمان، ولا تذهبه بالكلية، هو أن النبي ﷺ كان يخاطب أمة الإجابة، لما قال (والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته)، فدلَّ ذلك على أن الزنا وغيره من المعاصي الكبيرة والصغيرة، لا يُخرِجِ من الإسلام إلا بالاستحلال.

٤/ وأيضاً ما ثبت عن عبد الله بن مغفل[٢] ﷺ قال: إني لممن يرفع أغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال: (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم، وما من أهل بيت يرتبطون كلبا إلا نقص من عملهم كل يوم قيراط إلا كلب صيد أو كلب حرث أو كلب غنم)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الكسوف، باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته) (٢ / ٣٨) برقم: (١٠٥٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب صلاة الاستسقاء، باب صلاة الكسوف) (٣ / ٢٧) برقم: (٩٠١).

(٢) هو أبو عبد الرحمن، و قيل أبو سعيد، و قيل أبو زياد عبد الله بن مغفل بن عبد نهم، وقيل نهم، المزني، صاحب النبي ﷺ، من أهل بيعة الرضوان، توفي سنة ٥٧هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤٨٣/٢)، و«الإصابة» (٢٠٦/٤).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب) (١ / ١٦٢) برقم: (٢٨٠)، والترمذي في "جامعه" (أبواب الأحكام والفوائد، باب ما جاء من أمسك كلبا ما ينقص من أجره) (٣ / ١٥٤) برقم: (١٤٨٩)، واللفظ له، وقال: «هذا حديث حسن، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن الحسن، عن عبد الله بن مغفل، عن النبي ﷺ».

والشاهد من الحديث في قوله ﷺ: (إلا نقص من عملهم كل يوم قيراط)، ووجه الدلالة فيه على أن المعاصي تنقص الإيمان، ولا تذهب أصله، هو أن هذه المعصية المذكورة في الحديث ترتب عليها نقصان قيراط من أعمالهم كل يوم، ولم يترتب عليها ذهاب أصل إيمانهم، وهو واضح.

وخلاصة هذا المبحث هو بيان أن جميع المعاصي -دون الكفر الأكبر- لا تذهب أصل الإيمان، ويمكن أن تجتمع في الشخص المعين مع الإيمان(١).

وبهذا يتبين أن مبحث الإيمان من المباحث الجليلة في علم المعتقد، والذي اهتم به أهل السنة تأصيلاً، ورداً على المخالفين فيه؛ لما يترتب على الخلل في فهمه خللاً في النتائج المترتبة عليه، إما في انتهاك حرمات الله لمن دان بمذهب أهل الإرجاء فيه، وإما في استحلال دماء المسلمين، وانتهاك حرماتهم، لمن دان بمذهب الوعيدية فيه؛ إذ أصل خطأهم في هذا الباب واحد، وهو أن الإيمان كلٌ لا يتجزأ، ولا يتبعض، فإذا ذهب كله ذهب بعضه.

وبعد عرض أهم المسائل في باب الإيمان، ينبغي على الخطيب والداعية أن يوضح للناس ما التبس عليهم في هذا الباب؛ حتى يسلموا من العور في هذا الباب، والعور فيه من جانبين:

الأول / التجرؤ على محارم الله لمن سلك مسلك المرجئة.

الثاني/ استباحة دماء المسلمين لمن سلك مسلك الخوارج ومن وافقهم.

والله الموفق لكل خير وصواب.

---

(١) انظر: «المسائل العقدية المتعلقة بالحسنات والسيئات»، للدكتور/ صالح سندي(١/١٨٨).

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالسنة والبدعة في خطب النبي - ﷺ -.

وتحته تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم السنة ووجوب الأخذ بها .

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالنهي عن الابتداع في الدين.

تمهيد

من المسائل المهمة التي يبحثها أهل العلم في باب الأسماء والأحكام، مسائل السنة والبدعة، وما يتعلق بهما من أحكام، ومن أبرزها: قبول العمل أو رده.

والبدع لها شأن عظيم في دين الإسلام؛ إذ هي أحد الشقين التي بسببهما لا يقبل العمل، إذ العمل لا يقبل إلا بالإخلاص لله ﷻ، بحيث لا يراد به غير وجهه الكريم، والمتابعة بحيث يكون وفق ما جاء به النبي ﷺ، فإذا فقد العمل أحد هذين الشرطين لم يقبل.

قال ابن تيمية رحمه الله: « وأصل الدين أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرع»(١).

بل«لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا يدينونه، إلا أن يكون موافقا لدينه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام»(٢).

وقد نتج من جراء الإحداث في الدين صنوفٌ من البدع كان لها أثرها السيء في شتى أبواب الدين المختلفة، مما حدى بهؤلاء الذين خالفوا أهل السنة إلى ظلمهم، والبغي عليهم بغير وجه حق؛ لأن البدعة تؤدي إلى القسوة والظلم، والسنة تؤدي إلى الرحمة والعدل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله واصفاً حال أهل البدع، وأنهم « يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويكفّرُون من خالفهم في بدعتهم، كالخوارج المارقين الذين ابتدعوا ترك العمل بالسنة المخالفة في زعمهم للقرآن، وابتدعوا التكفير بالذنوب، وكفّروا من خالفهم حتى كفّروا عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومن والاهما من المهاجرين والأنصار وسائر المؤمنين.

---

(١) «الاستغاثة في الرد على البكري» (٢٨١).

(٢) «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز (١/١١)، وانظر: «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية (١٠/٤٠٠، ٤٨٦)، و (٢٨/٦١١).

نقل الأشعري في كتاب المقالات أن الخوارج[1] مجمعة على تكفير علي - رضي الله عنه -

وكذلك الرافضة[2] ابتدعوا تفضيل علي على الثلاثة وتقديمه في الإمامة والنص عليه، ودعوى العصمة له، وكفّروا من خالفهم، وهم جمهور الصحابة وجمهور المؤمنين حتى كفّروا أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهم، هذا الذي عليه أئمتهم.

وكذلك الجهمية[3] ابتدعت نفي الصفات المتضمن في الحقيقة لنفي الخالق ونفي صفاته وأفعاله وأسمائه؛ وأظهرت القول بأنه لا يرى؛ وأن كلامه مخلوق خلقه في غيره لم يتكلم هو بنفسه وغير ذلك، ثم إنهم امتحنوا الناس فدعوهم إلى هذا وجعلوا يكفّرون من لم يوافقهم على ذلك.

---

(١) الخوارج: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويَخْرُجون على أئمة المسلمين وجماعتهم، ويشمل ذلك: الخوارج الأولين (المحكمة الحرورية)، ومن تفرع عنهم من الأزارقة والصفرية والنجدات، (وهذه الثلاث قد انقرضت)، والإباضية (وهم الباقون إلى اليوم). انظر: «الفرق بين الفرق» (٤/١١٤-١١٥)، و «الملل والنحل» (١/١١٤)، و « منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين» (ص٦١٣).

(٢) الرافضة: سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف وأنها قرابة وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول: أنه ليس بإمام ، وهم يدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب. انظر: «مقالات الإسلاميين» (١/٣٤).

(٣) الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية. وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء: منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقضي تشبيها، فنفي كونه حيا عالما، وأثبت كونه: قادرا، فاعلا، خالقا؛ لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة، والفعل، والخلق، ومنها قوله: إن حركات أهل الخالدين تنقطع، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما وتلذذ أهل الجنة بنعيمها، وتألم أهل النار بجحيمها؛ إذ لا تتصور حركات لا تتناهى آخرا، كما لا تتصور حركات لا تتناهى أولا. انظر: ©الملل والنحل® (١/٨٦-٨٧).

وكذلك القدرية(١) ابتدعت التكذيب بالقدر؛ وأنكرت مشيئة الله النافذة وقدرته التامة وخلقه لكل شيء، وكفّروا أو منهم من كفّر من خالفه.

وكذلك الحلولية والمعطلة للذات والصفات يُكفر كثير منهم من خالفهم، فالذين يقولون: إنه بذاته في كل مكان منهم من يكفّر من خالفه، والذين يقولون: إنه لا مباين للمخلوقات ولا حال فيها فمنهم من يكفّر من خالفه.

والذين يقولون ليس كلامه إلا معنًى واحد قائما بذاته، ومعنى التوراة والإنجيل والقرآن واحد، والقرآن العزيز ليس هو كلامه؛ بل كلام جبرائيل أو غيره، فمنهم من يُكفّر من خالفه. والذين يقولون بقدم بعض أحوال العبد، كالذين يقولون بقدم صوته بالقرآن أو قدم بعض أفعاله أو صفاته، وقدم أشكال المداد، فمنهم من يكفّر من خالفه.

بل والذين يقولون بقدم روح العبد أو بقدم كلامه مطلقاً أو قدم أفعاله الصالحة أو أفعاله مطلقاً، فمنهم من يكفّر من خالفه.

والذين يقولون إن الله يُرى بالأعين في الدنيا، منهم من يُكفّر من خالفه. والذين يُهينون المصحف وربما كتبوه بالنجاسة فمنهم من يُكفّر من خالفه، ونظائر هذا متعددة.

وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان؛ فيهم العلم والعدل والرحمة؛ فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، **ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداء؛ بل إذا عاقبوهم وبيَّنوا خطأهم وجهلهم**

---

(١) القدرية: هم أتباع معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، المنكرون للقدر، المكذبون بتقدير الله تعالى لأفعال العباد، الذين قالوا: إن علم الله مستأنف ليس بقديم، وإن العباد هم الموجدون لأعمالهم. وبقولهم قالت المعتزلة.

وظلمهم؛ كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا.

فالمؤمنون أهل السنة هم يقاتلون في سبيل الله ومن قاتلهم يقاتل في سبيل الطاغوت، كالصديق أهل الردة، وكعلي بن أبي طالب مع الخوارج المارقين ومع الغلاة والسبئية، **فأعمالهم خالصة لله -تعالى- موافقة للسنة، وأعمال مخالفيهم لا خالصة ولا صواباً؛ بل بدعة واتباع هوى، ولهذا يسمون أهل البدع وأهل الأهواء»**(١).

وقد جمع الله بين هذين الشرطين في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

قال ابن كثير رحمه الله: « ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾، ما كان موافقا لشرع الله ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصا لله، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ»(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سورة الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: « ﴿أحسن عملاً﴾ أخلصه وأصوبه. وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا الخالص: إذا كان لله والصواب: إذا كان على السنة»(٣).

وقد استفاضت نصوص الكتاب والسنة في الحث على التمسك بالسنة، والتحذير من البدعة، ومن الكتاب ما قد سبق، ومن السنة:

---

(١) «الاستغاثة في الرد على البكري» (٢٥١-٢٥٢).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/٢٠٥).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١٧٦/٨).

١/ عن العرباض بن سارية ﵁ قال: **(قام فينا** رسول الله ﷺ ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقيل: يا رسول الله، وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد. فقال: عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، وسترون من بعدي اختلافا شديدا، **فعليكم بسنتي** وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، **وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة)**(١).

والحديث واضح الدلالة في الحث على التمسك بالسنة، والتحذير من المحدثات في الدين، لاسيما عند الاختلاف والفرقة، وهو من خطب النبي ﷺ، وتراجم الأئمة الذين أخرجوا الحديث تشهد لذلك.

٢/ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: (كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه. حتى كأنه منذر جيش، يقول: «صبحكم ومساكم. ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى. ويقول: أما بعد. فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى مُحَّد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، ثم يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه. من ترك مالا فلأهله. ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي)(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب في لزوم السنة) (٤ / ٣٢٩) برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي في "جامعه" (أبواب العلم عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع) (٤ / ٤٠٨) برقم: (٢٦٧٦)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين) (١ / ٢٨) برقم: (٤٢)، واللفظ له، والحديث له طرقٌ كثيرة بعضها صحيح، وبعضها حسن، وتلقاه أهل العلم بالقبول، وصححه غير واحد من أهل العلم، منهم الترمذي، قال: «حديث حسن صحيح»، وصححه البزار، وابن عبد البر، والحاكم، وابن رجب، وانظر تخريجه موسعاً: «مسند الإمام أحمد» الحاشية (٣٦٧/٢٨-٣٧١) برقم: (١٧١٤٢)، و «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»، للشيخ الألباني (١٠٧/٨-١٠٩) برقم: (٢٤٥٥)، و «السلسلة الصحيحة» (٥٢٦/٦-٥٢٩)، برقم: (٢٧٣٥).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة) (٣ / ١١) برقم: (٨٦٧).

ففي الحديث-الذي هو خطبة من خطبه ﷺ- التحذير والترهيب من البدع، وذلك في قوله: (وشر الأمور محدثاتها)، ثم أكد ذلك بقوله: (وكل بدعة ضلالة)، ولم يستثن من ذلك شيئاً من البدع.

وبوَّب عليه ابن حبان في "صحيحه" بقوله: (ذكر الإخبار عما يجب على المرء من تحري استعمال السنن في أفعاله ومجانبة كل بدعة تباينها)(١).

٣/ ومن الخطب الثابتة عن النبي ﷺ في هذا الشأن، عن أبي هريرة قال: (خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)(٢).

ففيه الحث على ما أمر به الرسول ﷺ، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وهذه هي حقيقة الإيمان بالرسول ﷺ، وهي تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وألَّا يُعبد الله إلا بما شرع.

وقد أدرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه تحت كتاب: (الاعتصام بالكتاب والسنة) وبوَّب عليه بقوله: (باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ)(٣).

ومما ورد عن السلف في هذا المعنى:

١/ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»(١).

---

(١) (١ / ١٨٦) برقم: (١٠).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٩ / ٩٤) برقم: (٧٢٨٨)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الحج، باب فرض الحج مرة فِي العمر) (٤ / ١٠٢) برقم: (١٣٣٧).

(٣) (٩ / ٩٤) برقم: (٧٢٨٨).

وهو واضح الدلالة في الحث على الاتباع، والتحذير من الابتداع.

٢/ وقال ابن عمر رضي الله عنهما: « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة»(٢).

ففيه أن البدع كلها ضلالة، والعبرة في ذلك بنظر الشرع، لا باستحسان الناس.

٣/ قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: « فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة»(٣).

وهو أيضاً كسابقه في التحذير من المحدثات في الدين.

وغيرها من الآيات، والأحاديث، والآثار الدالة على هذا المعنى.

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه»(١/٢٨٨)، برقم: (٢١١)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١/٣٧) ،، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (ص٢٨) ، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/٣٢٧)، وابن أبي زمنين في «أصول السنة» (ص٥٦)، و اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/٢٢، ٩٦)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص١٨٦)، وفي «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث»(٢٣٢)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/٧٨) ، وأبو شامة في «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص١٤)، وأورده الذهبي في «التمسك بالسنن والتحذير من البدع» (ص١٠٩)، والشاطبي في «الاعتصام» (١/١٢٩).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/١٠٤)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/١٢٦)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/٣٣٩)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص١٨٠)، وأبو شامة في «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص١٧).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٣٣١) برقم: (٤٦١١) (كتاب السنة، باب من دعا إلى السنة)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/٣٠٧)، أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/١٠٠)، والآجري في «الشريعة» (١/٤٠٦)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص٤٤٤).

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم السنة ووجوب الأخذ بها.

سبق في التمهيد بيان شيء من أهمية السنة ووجوب الأخذ بها، والنهي عن الإحداث في الدين؛ لما له من ضرر بالغ على الدين، وعلى العامل نفسه؛ لما صح عن النبي ﷺ أنه قال:

« ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(١).

والسنة بها يظهر الدين، وبخلافها يضعف الدين بانتشار أنواع الضلالات من الزندقة، وما دونها بقدر ما أُحدث؛ لأن الدين الذي جاء به النبي ﷺ قد كمل، ولذلك حسدتنا اليهود على هذه النعمة العظيمة–نعمة إكمال الدين، فعن طارق بن شهاب: (قالت اليهود لعمر: إنكم تقرءون آية، لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً. فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت: يوم عرفة، وإنا والله بعرفة. قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا؛ ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾)(٢).

قال ابن أبي العز رحمه الله: «ما جاء به الرسول كاف كامل، يدخل فيه كل حق، وإنما وقع التقصير من كثير من المنتسبين إليه، فلم يعلموا ما جاء به الرسول في كثير من الأمور الكلامية الاعتقادية، ولا في كثير من الأحوال العبادية، ولا في كثير من الإمارة السياسية، أو نسبوا إلى شريعة الرسول، بظنهم وتقليدهم ما ليس منها، وأخرجوا عنها كثيرا مما هو منها، فبسبب جهل هؤلاء وضلالهم وتفريطهم، وبسبب عدوان أولئك وجهلهم ونفاقهم، كثر النفاق، ودرس كثير من علم الرسالة(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) (٣ / ٨٦) برقم: (١٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٨) برقم: (٤٥) (كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب التفسير) (٨ / ٢٣٨) برقم: (٣٠١٧).

(٣) «شرح الطحاوية» (١/١٥-١٦).

وقال الشوكاني رحمه الله: « فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض إليه نبيه ﷺ، فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه؟! إن كان من الدين في اعتقادهم فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم، وهذا فيه رد للقرآن، وإن لم يكن من الدين فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين، وهذه حجة قاهرة ودليل عظيم لا يمكن صاحب الرأي أن يدفعه بدافع أبدًا فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تصك به وجوه أهل الرأي وترغم به آنافهم، وتدحض به حججهم فقد أخبرنا الله في محكم كتابه أنه أكمل دينه ولم يمت رسول الله ﷺ إلا بعد أن أخبرنا بهذا الخبر عن الله عَزَّوَجَلَّ، فمن جاءنا بشيء من عند نفسه وزعم أنه من ديننا قلنا له الله أصدق منك فاذهب فلا حاجة لنا في رأيك»(١).

والنبي ﷺ لم يترك لنا شيئاً يقربنا من الجنة إلا دلنا عليه، ولا شيئاً يقربنا من النار إلا وحذرنا منه، فتوفي ﷺ والدين كامل، لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فمن أحدث شيئًا في الدين كان كالمستدرك على الشرع.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: « كل من ابتدع شريعة في دين الله ولو بقصد حسن فإن بدعته هذه مع كونها ضلالة تعتبر طعناً في دين الله عَزَّوَجَلَّ، تعتبر تكذيباً لله تعالى في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛ لأن هذا المبتدع الذي ابتدع شريعة في دين الله تعالى وليست في دين الله تعالى كأنه يقول بلسان الحال إن الدين لم يكمل لأنه قد بقي عليه هذه الشريعة التي ابتدعها يتقرب بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ»(٢).

ومن الخطب التي يستدل بها على تعظيم السنة، ووجوب الأخذ بها:

١/ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: (قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقيل: يا رسول الله، وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد. فقال: عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدا

---

(١) «الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني» (٥/٢٢٣٠).

(٢) «الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع» (ص١٠). الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني» (٥/٢٢٣٠)

حبشيا، وسترون من بعدي اختلافا شديدا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة)(١).

والشاهد من الحديث في قوله ﷺ: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة)، ووجه الدلالة فيه على تعظيم السنة، ووجوب الأخذ بها، أن النبي ﷺ رغب في اتباع سنته، بقوله: (فعليكم)، وأكد ذلك بقوله: (عضوا عليها بالنواجذ) مبالغة في التمسك.

قال الخطابي رحمه الله: « وإنما أراد بذلك الجد في لزوم السنة فعل من أمسك الشيء بين أضراسه وعض عليه منعاً له أن ينتزع وذلك أشد ما يكون من التمسك بالشيء»(٢).

وقال ابن رجب رحمه الله: « قوله: (عضوا عليها بالنواجذ) كناية عن شدة التمسك بها.... قوله: (وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة) تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب في لزوم السنة) (٤ / ٣٢٩) برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي في "جامعه" (أبواب العلم عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع) (٤ / ٤٠٨) برقم: (٢٦٧٦)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين) (١ / ٢٨) برقم: (٤٢)، واللفظ له، والحديث له طرقٌ كثيرة بعضها صحيح، وبعضها حسن، وتلقاه أهل العلم بالقبول، وصححه غير واحد من أهل العلم، منهم الترمذي، قال: «حديث حسن صحيح»، وصححه البزار، وابن عبد البر، والحاكم.

(٢) «معالم السنن» (٣٠١/٤)، وانظر: «الميسر في شرح مصابيح السنة»، للتوربشتي (٨٩/١).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (١٢٦/٢-١٢٧)، وانظر: «المعين على تفهم الأربعين»، لابن الملقن (ص٣٣٥)، و «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (٢٠/١)، و «شرح رياض الصالحين»(٢٨٤/٢) مدار الوطن ط١٤٢٥هـ، و «شرح الأربعين النووية»(٢٨٣)، كلاهما للشيخ ابن عثيمين، وبالجملة يراجع ما قاله الشراح على الأربعين النووية عند كلامهم على حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

٢/ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: (كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه. حتى كأنه منذر جيش، يقول: «صبحكم ومساكم. ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى. ويقول: أما بعد. فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، ثم يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه. من ترك مالا فلأهله. ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي)(١).

والشاهد من الحديث قوله ﷺ: (وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)، ووجه الدلالة فيه على تعظيم السنة ووجوب الأخذ بها ظاهر؛ إذ وصف سنته وعظمها بأنها أحسن هدي وطريق، وفي هذا ترغيب فيها.

ووصف المحدثات بأنها شرٌ وضلالة في الحال والمآل، وفي هذا أشد ترهيب من مواقعتها.

٣/ عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن ضربت بسيفي في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر حتى أقتل، أيكفر الله عني خطاياي؟ قال: نعم. فلما أدبر دعاه، فقال: هذا جبريل يقول: إلا أن يكون عليك دين) (٢).

والشاهد من الحديث في قوله ﷺ: (هذا جبريل يقول: إلا أن يكون عليك دين)، ووجه الدلالة فيه أن النبي ﷺ استثنى الدين؛ لأن جبريل جاءه بالوحي فيه، وهذا يبين عظم قدر السنة وأنها وحيٌ من الله؛ فيجب الأخذ بها، كما قال الله جل جلاله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم: ٤].

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة) (٣ / ١١) برقم: (٨٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين) (٦ / ٣٧) برقم: (١٨٨٥)، والنسائي في "المجتبى" (كتاب الجهاد، باب من قاتل في سبيل الله تعالى وعليه دين) (١ / ٦٢٣) برقم: (٣١٥٨)، واللفظ له.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالنهي عن الابتداع في الدين.

تكاثرت نصوص الكتاب والسنة في التحذير من الإحداث في الدين، وقد سبق بيان جملة من ذلك، وفي الجملة فما ثبت في التمسك بالسنة والحث عليها، هو دالٌ بالاستلزام على التحذير من البدع، والبعد عنها؛ وما ذاك إلا لأن البدعة قرينة الشرك في التقول على الله بلا علم، كما قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣]، فقرن الله ﷻ بين الإثم والبغي، وبين الشرك والبدعة(١).

والبدعة من أكبر الأبواب المؤدية إلى الإلحاد والزندقة(٢)؛ ولذلك تواردت نصوص الوحيين في التحذير منها، ومن مقاربتها، وسيرة أهل العلم من السلف ومن جاء بعدهم في التحذير من أهلها-سيرتهم في ذلك معروفة مشهورة.

ولما كانت البدع بهذه المثابة؛ أكثر النبي ﷺ في خطبه من التحذير منها؛ نصحاً لأمته من أن تقع في شيء منها، وجاء ذلك التحذير على أوجه متنوعة، فمنها:

١/ ما جاء في أن البدع سببٌ في الذب عن حوض النبي ﷺ

وقد ورد في ذلك حديثان:

الأول/ ما جاء عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (... قال رسول الله ﷺ: إني لكم فرط على الحوض، فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك! فأقول: سحقا)(٣).

(١) انظر: «إغاثة اللهفان»، لابن القيم (٦٣/١).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٠٦/٢٢).

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ صلى الله عليه وسلم وصفاته)(٧ / ٦٦) برقم: (٢٢٩٥).

الثاني/ ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: (... أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت﴾ إلى قوله ﴿شهيد﴾ فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)(١).

فدل الحديثان على إبعاد جماعة من أمة النبي ﷺ عن الحوض؛ عقوبة لهم على إحداثهم في الدين، ولا ينافي هذا ما ورد في الحديث من دعاء النبي ﷺ عليهم بالسحق، ومن وصفهم بالارتداد، إذ هي بالكافر ألصق، ولكن سياق الحديثين يدلان على كونهما في المبتدعين من أمة النبي ﷺ (٢).

قال ابن عبدالبر رحمه الله: « وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه.... وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع كل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بهذا الخبر»(٣).

وكون البدع سبباً في الطرد والإبعاد عن حوض النبي ﷺ لزاجرٌ عظيم عن مقاربتها، فضلاً عن مقارفتها.

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب تفسير القرآن، باب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا) (٦ / ٩٧) برقم: (٤٧٤٠)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة) (٨ / ١٥٦) برقم: (٢٨٦٠).

(٢) انظر: «فتح الباري»، لابن حجر(٣٨٥-٣٨٦)، وكأن الحافظ رحمه الله بعد سرده لأقوال أهل العلم في المعنيين بالحديث، مال إلى كونهم أهل الإحداث بالبدع، والله أعلم، وليس في الحديثين ما يدل على تنقص أصحاب النبي ﷺ؛ لما ثبت لهم من الفضل في النصوص المحكمة من الكتاب والسنة، فأهل السنة يردون المتشابه إلى المحكم في جميع الأبواب، وأهل الزيغ كما وصفهم الله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

، انظر: «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة (ص٢٤٠-٢٤٢).

(٣) «التمهيد» (٢٦٢/٢٠).

٢/ ما جاء في الوعيد بأن البدع سببٌ في تحمل أوزار من ضل بسببها

وذلك فيما رواه جرير بن عبدالله رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (.... من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)(١).

فقوله ﷺ في آخر الحديث من سن في الإسلام سنة سيئة... الحديث، فيه دلالة واضحة على التحذير من البدع، «ووجه التحذير أن الذي يحدث البدعة قد يتهاون بها لخفة أمرها في أول الأمر ولا يشعر بما يترتب عليها من المفسدة، وهو أن يلحقه إثم من عمل بها من بعده ولو لم يكن هو عمل بها بل لكونه كان الأصل في أحداثها»(٢).

وثمة إثم آخر على المبتدع غير إثم الابتداع، وهو إثم إماتة السنة التي تقابل هذه البدعة؛ إذ ما من بدعة انتشرت، وإلا وقابلها سنة اندثرت.

قال الشاطبي: «فليتق الله امرؤ ربه، ولينظر قبل الإحداث في أي مزلة يضع قدمه في محصول أمره، [أم يثق بعقله في التشريع، ويتهم ربه فيما شرع](٣)، ولا يدري المسكين ما الذي يوضع له في ميزان سيئاته، مما ليس في حسابه، ولا شعر أنه من عمله.

فما من بدعة يبتدعها أحد فيعمل بها من بعده، إلا كتب عليه إثم ذلك العامل، زيادة إلى إثم ابتداعه أولا، ثم عمله ثانيا.

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة) (٨ / ٦١) برقم: (١٠١٧).

(٢) «فتح الباري» (٣٠٢/١٣)، وانظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٠٤/٧).

(٣) أثبت الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا في نسخته أن هذا الموطن فيه تحريف من بعض النساخ.

وإذا ثبت أن كل بدعة تبتدع، فلا تزداد على طول الزمان إلا مضيا حسبما تقدم واشتهارا وانتشارا، فعلى وزن ذلك يكون إثم المبتدع لها، كما أن من سن سنة حسنة؛ كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وأيضاً، فإذا كانت كل بدعة يلزمها إماتة سنة تقابلها؛ كان على المبتدع إثم ذلك أيضاً، فهو إثم زائد على إثم الابتداع، وذلك الإثم يتضاعف تضاعف إثم البدعة بالعمل بها، لأنها

كلما تجددت في قول أو عمل؛ تجددت في قول إماتة السنة كذلك»(١).

٣/ ما جاء في التحذير من البدع؛ لكونها شرٌ وضلالة.

وقد ورد في ذلك حديثان:

الأول/ ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال(ان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه. حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم. ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى. ويقول: أما بعد. فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى مُحَّد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة... الحديث)(٢).

الثاني/ ما رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: (قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقيل: يا رسول الله، وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد. فقال: عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، وسترون من بعدي اختلافا شديدا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

---

(١) «الاعتصام» (١/٢١٢-٢١٣)، وانظر: «التمهيد»، لابن عبد البر(٢٤/٣٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة) (٣ / ١١) برقم: (٨٦٧).

المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة)(١).

وعند التأمل في الحديثين السابقين، نجد أن النبي ﷺ جاء تحذيره من البدع، والتنفير منها- جاء ذلك على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: التنصيص على مباعدة المحدثات في الدين واجتنابها، وذلك في قوله ﷺ: (إياكم والأمور المحدثات)، ف (إيَّا) اسم مبهم يأتي لعدة معانٍ، منها التحذير(٢)، فيكون معنى الكلام: باعدوا واجتنبوا واحذروا من الأمور المستحدثة في الدين مما لا أصل له.

قال ابن رجب رحمه الله: «قوله ﷺ: (وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة): تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة، وأكد ذلك بقوله: كل بدعة ضلالة»(٣).

الوجه الثاني: الإخبار بأن البدع شرٌ، وذلك في قوله ﷺ: (وشر الأمور محدثاتها)، ففي هذه الجملة من التنفير، والتحذير من البدع ما هو ظاهرٌ، وذلك أن كل موفق

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (كتاب السنة، باب في لزوم السنة) (٤ / ٣٢٩) برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي في "جامعه" (أبواب العلم عن رسول الله ﷺ.، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع) (٤ / ٤٠٨) برقم: (٢٦٧٦)، وابن ماجه في "سننه" (أبواب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين) (١ / ٢٨) برقم: (٤٢)، واللفظ له، والحديث له طرقٌ كثيرة بعضها صحيح، وبعضها حسن، وتلقاه أهل العلم بالقبول، وصححه غير واحد من أهل العلم، منهم الترمذي، قال: «حديث حسن صحيح»، وصححه البزار، وابن عبد البر، والحاكم، وابن رجب، وانظر تخريجه موسعاً: «مسند الإمام أحمد» الحاشية (٣٦٧/٢٨-٣٧١) برقم: (١٧١٤٢)، و «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»، للشيخ الألباني (١٠٧/٨-١٠٩) برقم: (٢٤٥٥)، و «السلسلة الصحيحة» (٥٢٦/٦-٥٢٩)، برقم: (٢٧٣٥).

(٢) انظر: «الصحاح»، للجوهري (٢٥٤٦/٦).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (١٢٧/٢).

يسمع مثل هذه الكلمات البليغات من النبي ﷺ، وهو يصف الأمور المحدثة بأنها شرٌّ- كل من يسمع هذا؛ يحصل له من التنفير من البدع بقدر ما سلمت فطرته.

الوجه الثالث: التنصيص على كون البدع كلها ضلالة، واستفدنا ذلك من قوله ﷺ: (كل بدعة ضلالة)، و (كل): من ألفاظ العموم، فلا يستثنى من هذا العموم شيء، وفي ذلك أبلغ زاجرٍ عنها؛ لأنها ضلالة في نفسها، وحال متبعها، وماله ضلالة.

قال ابن رجب رحمه الله: «فقوله ﷺ: (كل بدعة ضلالة) من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)(١)، فكل من أحدث شيئا، ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه، فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة»(٢).

وهكذا جاء التحذير من البدع في خطب النبي ﷺ على أوجه متنوعة بليغة، فتارة بالتحذير منها صراحة، وتارة بوصفها بأوصاف مذمومة قبيحة؛ حتى تنفر النفوس منها، وتارة بذكر بعض العقوبات المترتبة على اقترافها، كالذب عن حوض النبي ﷺ، وتحمل أوزار من ضل بسببها، كل هذا مبالغة في الحث على اجتنابها، ومباعدة كل سبب يؤدي إليها.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود) (٣ / ١٨٤) برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) (٥ / ١٣٢) برقم: (١٧١٨)

(٢) «جامع العلوم والحكم» (١٢٨/٢).

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتصحيح اعتقادات خاطئة حول البدعة.

لقد سبق بيان أوجه حث النبي ﷺ في خطبه على التمسك بالسنة، والتحذير من كل أمر محدث في الدين، واستكمالاً لما سبق فإن البدع -على اختلاف أنواعها- مجانبة للشرع من كل وجه، ولو تركت عارية عن الزخارف والتزيين؛ لعرف قبحها كل من نظر فيها؛ ولذلك «فإن صاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها السنة؛ حتى يكون ملبساً بها على الغير، أو تكون هي مما تلتبس عليه بالسنة؛ إذ الإنسان لا يقصد الاستتباع بأمر لا يشابه المشروع؛ لأنه إذ ذاك لا يستجلب به في ذلك الابتداع نفعا ولا يدفع به ضررا ولا يجيبه غيره إليه»(١).

ومن هذه المضاهاة، أن يستدل على البدع بأدلة شرعية يظن أنها تؤيدها، وهذه الأدلة إما أن تكون صحيحة غير صريحة، أو صريحة غير صحيحة، وفي كلتا الحالتين، لا دلالة فيها على الابتداع في الدين؛ إذ كيف تكون كذلك ونصوص الكتاب والسنة متكاثرة في الحث على السنة، والتحذير من البدعة؟! (٢).

وبسبب فشو البدع وانتشارها، وقلة السنة وأهلها؛ ظهر عند الناس اعتقادات خاطئة متعلقة بباب الابتداع في الدين، تؤدي بهم إلى أن يستحسنوا بعض البدع، أو يستحسنوا أصل ابتداعها؛ فيكون الابتداع في الدين مشروعاً -في نظرهم-!

وقد بين النبي ﷺ في خطبه بعض هذه الاعتقادات، وحذر منها، إما نصاً أو ضمناً، كان ذلك منه ﷺ على أوجه، منها:

الوجه الأول: التنبيه على أن الأجر المترتب على سن السنة الحسنة، إنما هو بإحياء سنة موجودة في أصل الشرع، لا الإتيان بطريقة مخترعة.

---

(١) «الاعتصام»، للشاطبي (٥١/١).

(٢) انظر جملة من هذه النصوص: «الاعتصام»، للشاطبي (٦١/١-٢٤٣)، وهو الباب الثاني من الكتاب.

وقد ورد ذلك فيما صح عن جرير بن عبدالله البجلي ﵁، قال (كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾ والآية التي في الحشر ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾ تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)(١).

فقوله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة... الحديث) استدل به بعض من قسم البدعة، وجعل لها أقساماً(٢) -استدلوا به على أن المذموم من البدع ما كان سيئاً، وأما ما كان حسناً فجائزٌ، وهذا الاستدلال بعيد كل البعد عن مراد النبي ﷺ، ولو أُعطي الحديث حقه من التأمل؛ لوجد أنه دالٌ على خلاف ذلك؛ لأن النبي ﷺ قال هذا الكلام عندما حث الناس على الصدقة، فبادر رجل من الأنصار فحمل صرة كادت تعجز كفه عنها، فلما رأى الصحابة ﵃ ذلك؛ تتابعوا على الصدقة، حتى اجتمع عند النبي ﷺ كومين من طعام وثياب، فعندها قال النبي ﷺ ما قال، ومعلوم أن الصدقة مشروعة بأصل الشرع، وإنما ذكرهم ﵁ بها تذكيراً، فكان معنى الحديث-والذي لا ينبغي غيره- من أحيا أو عمل بسنة مشروعة كان له أجرها، وأجر من عمل بها،

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة) (٨ / ٦١) برقم: (١٠١٧).

(٢) كالنووي، والعز بن عبدالسلام، وتلميذه القرافي، وغيرهم.

وأيضاً من وجه آخر يقال: إن معرفة كون الشيء سيئاً أو حسناً، مرده للشرع، والعقل يدرك هذا ولكنه تبعٌ للشرع، لا يستقل عنه، فلو تُرك هذا الأمر لمجرد استحسان العقول واستقباحها؛ لنتج عن ذلك فسادٌ كبير، فما يستقبحه عقل يستحسنه آخر، والعكس، فالبدعة من صفاتها، ألا يدل عليها دليل شرعي، إذ لو دل عليها دليلٌ؛ لما كانت بدعة، ولأصبحت مشروعة(١).

الوجه الثاني: بيان أن ترك الترخص المشروع والأخذ بالعزيمة دائما قد يؤدي إلى التعمق، والإحداث.

وقد جاء هذا المعنى فيما صح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «صنع النبي ﷺ شيئا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله، ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»(٢).

فقول النبي ﷺ: (ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه) فيه إنكارٌ شديد على من ترك الاقتداء بالنبي ﷺ فيما رخص لهم فيه؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى الغلو والإحداث، وإن حسنت نية فاعله، فإن الذين لم يأخذوا برخصة النبي ﷺ، كان مأخذهم رضي الله عنهم أن النبي ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، فله أن يترخص، بخلاف حالهم، كما جاء ذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج

---

(١) انظر: «الاعتصام»، للشاطبي (١/٣١١-٣١٥)، وانظر: (١/٣١٦-٣٥٩) من نفس المصدر، ففيه بحث نفيس ذكر فيه أصول الشبه التي يستدل بها من يقسم البدعة إلى حسنة، وغير حسنة، ورد عليها، وفندها.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم)

(٩ / ٩٧) برقم: (٧٣٠١)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب الفضائل، باب علمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالله تَعَالَى وشدة خشيته) (٧ / ٩٠) برقم: (٢٣٥٦).

أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١)، وبوَّب عليه ابن حبان في «صحيحه»(٢) بقوله: (باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلا وأمراً وزجراً -ذكر الزجر عن الرغبة عن سنة المصطفى ﷺ في أقواله وأفعاله جميعاً)، ففي الحديث كما هو ظاهر «الحث على الاقتداء به ﷺ، والنهي عن التعمق في العبادة وذم التنزه عن المباح شكاً في إباحته»(٣).

والمقصود«أن الواجب التمسك بالاقتداء بهدي النبي ﷺ، فما شدد فيه التزمناه على شدته، وفعلناه على مشقته، وما ترخص فيه أخذنا برخصته، وشكرنا الله تعالى على تخفيفه ونعمته، ومن رغب عن هذا، فليس على سنته، ولا على منهاج شريعته»(٤).

وبهذا يتضح كيف أن النبي ﷺ من كمال شفقته ورحمته بأمته-أنه حثهم على الخير وأسبابه، وحذرهم من الشر وذرائعه، في جميع أبواب الدين، ومن ذلك باب الاتباع والابتداع، فأمر بالاتباع، وأوضح طريقه الموصل إليه، وهي طريق النبي ﷺ لا غير، وحذر من الابتداع، وجلى طرقه حتى تجتنب، فصلوات الله وسلامه علي ه ما أنصحه وأرحمه بأمته.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح) (٧ / ٢) برقم: (٥٠٦٣)، ومسلم في "صحيحه" (كتاب النكاح) (٤ / ١٢٩) برقم: (١٤٠١).

(٢) (١ / ١٩٠) برقم: (١٤).

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٠٧/١٥).

(٤) «المفهم»، للقرطبي (٧٢/١٩)، وانظر: «فتح الباري»، لابن حجر (٢٧٩/١٣).

الخاتمة

الحمد لله علي تيسيره هذا البحث في البدء والتمام، والشكر له ﷻ على توارد الإفضال منه والإنعام.

وختاماً يحسن إجمال ما ورد في هذا البحث في نقاط:

١/ التمهيد ذكر فيه بيان معنى الخطبة في اللغة والاصطلاح، ومعرفة ضابط الخطبة وأنها لا تستلزم صعود المنبر، وبيان شيء من الأساليب التي كان النبي ﷺ يتبعها في خطبه.

٢/ شبهة أن كثيراً من خطب النبي ﷺ مفقودة؛ شبهة مردودة من أوجه، وقد تم بيان ذلك في موضعه.

٣/ جاءت خطب النبي ﷺ ببيان كون الناس مفطورون على التوحيد.

٤/ جاءت خطب النبي ﷺ ببيان انفراد الله ﷻ بأركان الربوبية من خلق، ورزق، وتدبير، وملك، وتم بيان ذلك في موضعه من البحث.

٥/ جاءت خطب النبي ﷺ بتوضيح وتقرير أصول توحيد العبادة، والنهي عن الشرك بشتى صوره.

٦/ ومن أفراد هذا التوحيد التي وردت في خطب المصطفى ﷺ، التبرك، وما يجوز منه وما لا يجوز.

٧/ وبين النبي ﷺ في خطبه مسألة الاستغاثة، فكان ﷺ يستغيث بربه حال الشدائد، كقلة الغيث، وذلك بالاستسقاء، وكخسوف الشمس والقمر، وغيرها من الشدائد.

٨/ وكذلك بين النبي ﷺ في خطبه مسألة التوسل وجلَّاها، وأن من التوسل المشروع، التوسل إلى الله ﷻ بأسمائه وصفاته، وبالعمل الصالح، ودعاء الرجل الصالح.

٩/ حث النبي ﷺ في خطبه على سد الذرائع المفضية للشرك، كما في قصة منعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه من التزويج ببنت أبي جهل؛ خوفاً على فاطمة رضي الله عنها من أن تفتتن في دينها.

١٠/ حث النبي ﷺ في خطبه الشريفة على الإخلاص لله جل جلاله، ودعائه ، وتعظيم شعائره، كالجمعة والبيت الحرام.

١١/ بين النبي ﷺ أن الحلف لا يجوز بغير الله، وكان ﷺ إذا أراد أن يحلف لا يحلف إلا بالله.

١٢/ كان النبي ﷺ يبدأ خطبه كلها بحمد الله والثناء عليه؛ لأنه مستحق لذلك لما له من صفات الجلال ونعوت الجمال.

١٣/ أثبت النبي ﷺ كثيراً من صفات الله جل جلاله في خطبه الشريفة، كصفة الرحمة، والحياء، والكلام، والعلو، والستر، والكرم، والقدرة، والغيرة، وغيرها من الصفات، وقد تم بيان ذلك في موضعه.

١٤/ رسَّخ النبي ﷺ في خطبه: الإيمان بالملائكة، فسمى لنا بعضهم، وأخبرنا بشيء من وظائفهم المتفاوتة في الفضل، والتي كان من جرائها تفضيل بعضهم على بعض، وكل ذلك مبين في موضعه.

١٥/ بين النبي ﷺ في خطبه ركن الإيمان بالكتب، فأخبرنا بأسماء بعض الكتب، كالتوراة، والإنجيل والقرآن، وبين ﷺ أنها من كلام الله، وأن أفضلها القرآن.

١٦/ بين النبي ﷺ في خطبه ركن الإيمان بالرسل، فسمى لنا بعض الرسل كعيسى وموسى عليهم الصلاة والسلام، وبين لنا شيئاً من وظائفهم، والآيات التي أيدهم الله جل جلاله بها، وكذلك بين ﷺ لنا أنهم متفاوتون في الفضل، وأن أفضلهم نبينا ﷺ، ومع ذلك نهى عن الغلو فيه ﷺ؛ وتجلى هذا النهي والتحذير في بيان أنه ﷺ بشر، وما خرج عن وظيفة العبودية لربه جل جلاله.

١٧/ بين النبي ﷺ في خطبه ركن الإيمان باليوم الآخر، فبين لنا شيئاً من أسماءه، كيوم القيامة، واليوم الآخر، وغير ذلك مما هو مبين في موضعه.

وأخبرنا ﷺ ببعض العلامات والأمارات الدالة على قرب قيام الساعة، كخروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم، وظهور المهدي.

وكذلك كان النبي ﷺ يكثر في خطبه من ذكر الجنة والنار.

١٨/ بين النبي ﷺ في خطبه الشريفة ركن الإيمان بالقدر، ببيان أهم مسائله، فبين ﷺ أن علم كل شيء في الأزل، فكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأن كل ما في الوجود إنما كان بمشيئته ﷻ ، وأنه تبارك وتعالى خالق كل شيء، بما في ذلك أفعال العباد، وأن العباد لهم قدرة واستطاعة، منها ما هو قبل الفعل، ومنها ما هو مصاحب للفعل.

وكذلك بين ﷺ أن الله الهداية والإضلال بيد الله ﷻ، يهدي من يشاء بكرمه، ويضل من يشاء بعدله وحكمته.

١٩/ بين النبي ﷺ في خطبه الشريفة أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وأن المعاصي التي هي دون الكفر، تنقص الإيمان ولا تذهب أصله، وبين ﷺ أيضاً أن الناس يتفاوتون في الإيمان.

٢٠/ حث النبي ﷺ في خطبه الشريفة على تعظيم السنة، ووجوب الأخذ بها، ونهى ﷺ عن الابتداع في الدين، بل وعن السبل المؤدية للبدعة.

٢١/ بين النبي ﷺ في خطبه عظيم فضل الصحابة ﷺ على وجه العموم، وتحريم سبهم.

واختص بعضهم بمزيد فضل كالمهاجرين والأنصار، والخلفاء الراشدين، وغيرهم كما هو مبين في ثنايا البحث.

٢٢/ بين النبي ﷺ في خطبه الشريفة كيفية العلاقة بين الراعي والرعية، وبيان واجب كل منهما تجاه الآخر، وأن جور الراعي وظلمه، غير مانع من أداء السمع

والطاعة له في غير معصية، بل إن ذلك واجب على الرعية؛ لما يترتب على الخروج عليه ومنازعته من المفاسد العظيمة، والتي منها اختلال الأمن، وانتهاك الأنفس والأعراض.

وأخيراً ، فإن خطب النبي ﷺ ما زالت بحاجة إلى دراسة متكاملة، يجتمع فيها تخصصات عدة، تحت إشراف جماعة من العلماء؛ حتى تخرج على الوجه اللائق بها.

هذا أبرز ما ورد في هذا البحث من نتائج، وتوصيات، فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وما كان فيه من صواب، فمن كرم ربي وفضله، وما كان خطأ وزلل فمني ومن الشيطان، وأسأل الله ﷻ أن يجعل ما كتبته مقرباً إليه، ونافعاً لي بين يديه، إنه جوادٌ كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله نبينا مُحَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفهارس

٠١-فهرس الآيات

م	طرف الآية	السورة ورقمها	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)﴾	سورة البقرة ٢	٢٠٣	٣٠٠
١٧	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ ...﴾	سورة البقرة ٢	٢٥٣	٢٤٣
١٨	﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾	سورة البقرة ٢	٢٥٥	١٦٩
١٩	﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ ...﴾	سورة البقرة ٢	٢٨٥	١٩٩، ٢٢٤
٢٠	﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (٩٧)﴾	سورة آل عمران ٣	٩٧	٣٣٤
٢١	﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١)﴾	سورة آل عمران ٣	١٣١	٣١٠
٢٢	﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾	سورة آل عمران ٣	١٣٣	٣١٠
٢٣	﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ...﴾	سورة النساء ٤	٣٩	٢٦٩
٢٤	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن ...﴾	سورة النساء ٤	٤٨	٧٤
٢٥	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ ...﴾	سورة النساء ٤	٥٨–٥٩	٤٠٢
٢٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾	سورة النساء ٤	٥٩	٣٨٨، ٣٩١
٢٧	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ...﴾	سورة النساء ٤	١١٦	٧٤
٢٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ ...﴾	سورة النساء ٤	١٣٦	١٩٩، ١٩٩، ٢٧٩
٢٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ...﴾	سورة النساء ٤	١٥٠	٢٠٠
٣٠	﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾	سورة النساء ٤	١٥٧	٢٩٣
٣١	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	سورة النساء ٤	١٦٤	١٥١
٣٢	﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ...﴾	سورة النساء ٤	١٧٢	١٩٢

م	طرف الآية	السورة ورقمها	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٣	﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ...﴾	سورة الأنعام ٦	٤٠	٢٧٨
٣٤	﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا ...﴾	سورة الأنعام ٦	٤٨-٤٩	٢٣٠
٣٥	﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ ...﴾	سورة الأنعام ٦	١٠٨	٩١
٣٦	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢)﴾	سورة الأنعام ٦	١٦٢	١٠٨
٣٧	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ...﴾	سورة الأعراف ٧	٣٣	٤٥٣
٣٨	﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾	سورة الأعراف ٧	١٥٦	١٤٨
٣٩	﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ ...﴾	سورة الأعراف ٧	١٨٧	٢٧٨
٤٠	﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ ...﴾	سورة الأنفال ٨	٢	٤٢٥
٤١	﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ...﴾	سورة الأنفال ٨	٩	٨٢
٤٢	﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ...﴾	سورة الأنفال ٨	١٧	٣٢٨
٤٣	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ...﴾	سورة التوبة ٩	١٨	٢٦٩
٤٤	﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ...﴾	سورة التوبة ٩	١٠٠	٣٤٧، ٣٦١، ٣٨٠
٤٥	﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ...﴾	سورة التوبة ٩	١٢٤	٤٢٥
٤٦	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ...﴾	سورة يونس ١٠	٣	٦٣
٤٧	﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ...﴾	سورة يونس ١٠	٣١	٦٤
٤٨	﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا (٩٩)﴾	سورة يونس ١٠	٩٩	٣٢٤
٤٩	﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ (٢٠)﴾	سورة هود ١١	٢٠	٣٣٥
٥٠	﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا	سورة هود ١١	١٠٨	٣١٠

م	طرف الآية	السورة ورقمها	رقم الآية	رقم الصفحة
	...﴾			
٥١	﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ ...﴾	سورة يوسف ١٢	٢٤	١٠٦
٥٢	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ...﴾	سورة الرعد ١٣	٢	٦٣
٥٣	﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن ...﴾	سورة النحل ١٦	٩٣	٣٢٤، ٣٣٨
٥٤	﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾	سورة الإسراء ١٧	١	٢٦٤
٥٥	﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾﴾	سورة الإسراء ١٧	٥٥	٢٤٣
٥٦	﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ...﴾	سورة الإسراء ١٧	٥٧	٨٧
٥٧	﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ ﴿١٠١﴾﴾	سورة الإسراء ١٧	١٠١	٢٣٧
٥٨	﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ ﴿٥٨﴾﴾	سورة الكهف ١٨	٥٨	١٤٧
٥٩	﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾﴾	سورة الكهف ١٨	١٠١	٣٣٥
٦٠	﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ...﴾	سورة الكهف ١٨	١١٠	٤٤٥
٦١	﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾	سورة طه ٢٠	٥	١٤٨
٦٢	﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾	سورة طه ٢٠	٤٤	٣٧
٦٣	﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾	سورة طه ٢٠	١٢٠	٢٦٩
٦٤	﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ...﴾	سورة الأنبياء ٢١	١٩-٢٠	١٨٠

م	طرف الآية	السورة ورقمها	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٥	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ ...﴾	سورة الأنبياء ٢١	٢٥	٢٢٤، ٢٣٠
٦٦	﴿كما بدأنا أول خلق نعيده، وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾	سورة الأنبياء ٢١	١٠٤	١٤
٦٧	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾	سورة الأنبياء ٢١	١٠٧	٢٥٨
٦٨	﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا ...﴾	سورة الحج ٢٢	٢٦	٧٤
٦٩	﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾	سورة الحج ٢٢	٣٠	١٣١
٧٠	﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾	سورة الحج ٢٢	٣٢	١٣١
٧١	﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾	سورة المؤمنون ٢٣	١٦	٢٧٦
٧٢	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩﴾	سورة المؤمنون ٢٣	٧٩	٣٠٠
٧٣	﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ ...﴾	سورة المؤمنون ٢٣	٨٨	٦٠
٧٤	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾	سورة الفرقان ٢٥	٢	١٦٥
٧٥	﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾	سورة الشعراء ٢٦	٨٢	٢٧٨
٧٦	﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾	سورة الشعراء ٢٦	١٠٥	٢٢٤
٧٧	﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ ...﴾	سورة النمل ٢٧	١٤	٥٠
٧٨	﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥﴾	سورة النمل ٢٧	٧٥	٣٢٢
٧٩	﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ...﴾	سورة القصص	٢٤	٨٩

م	طرف الآية	السورة ورقمها	رقم الآية	رقم الصفحة
		٢٨		
٨٠	﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ ...﴾	سورة القصص ٢٨	٣٢	٢٣٧
٨١	﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ (٦٨)﴾	سورة القصص ٢٨	٦٨	٢٤٣
٨٢	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ ...﴾	سورة العنكبوت ٢٩	١٧	٧٢
٨٣	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ ...﴾	سورة العنكبوت ٢٩	٦٧	١٣٥
٨٤	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا ...﴾	سورة الروم ٣٠	٣٠	٥٣
٨٥	﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ ...﴾	سورة السجدة ٣٢	٥	٦٤
٨٦	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ...﴾	سورة الأحزاب ٣٣	٧	٢٤٤
٨٧	﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (٣٨)﴾	سورة الأحزاب ٣٣	٣٨	٣١٦
٨٨	﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾	سورة الأحزاب ٣٣	٤٣	١٤٨
٨٩	﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾	سورة الأحزاب ٣٣	٥٣	١٤٩
٩٠	﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ...﴾	سورة سبأ ٣٤	٢٣	٢١١
٩١	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ ...﴾	سورة سبأ ٣٤	٢٨	٢٥٣
٩٢	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم ...﴾	سورة فاطر ٣٥	٣	٦٦
٩٣	﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ (٨)﴾	سورة فاطر ٣٥	٨	٣٣٨

م	طرف الآية	السورة ورقمها	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٤	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ ... ﴾	سورة يس ٣٦	١٢	٣٢٢
٩٥	﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾	سورة يس ٣٦	٨٣	٦٠
٩٦	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾	سورة الصافات ٣٧	٩٦	٣٢٨
٩٧	﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ (٥٤)﴾	سورة ص ٣٨	٥٤	٣١٠
٩٨	﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢)﴾	سورة الزمر ٣٩	٢	١٠٧
٩٩	﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (١١)﴾	سورة الزمر ٣٩	١١	١٠٧
١٠٠	﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠)﴾	سورة الزمر ٣٩	٣٠	٢٦٣
١٠١	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ ... ﴾	سورة الزمر ٣٩	٣٨	٤٢
١٠٢	﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن ... ﴾	سورة الزمر ٣٩	٥٥	٢١٢
١٠٣	﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)﴾	سورة الزمر ٣٩	٦٢	٣٢٨
١٠٤	﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا ... ﴾	سورة الزمر ٣٩	٧٣	١٩٠
١٠٥	﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾	سورة غافر ٤٠	٧	١٤٨، ١٩٢
١٠٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن ... ﴾	سورة غافر ٤٠	١٠	١٦٤
١٠٧	﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ ... ﴾	سورة غافر ٤٠	٥٧	٤٤
١٠٨	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ... ﴾	سورة فصلت ٤١	٦	٢٦٢
١٠٩	﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ ... ﴾	سورة فصلت ٤١	١٧	٣٤٢
١١٠	﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا ... ﴾	سورة الشورى ٤٢	١٣	٢٤٤

م	طرف الآية	السورة ورقمها	رقم الآية	رقم الصفحة
١١١	﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾	سورة الشورى ٤٢	١٥	٢٠٠
١١٢	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ...﴾	سورة الشورى ٤٢	٢٨	١٤٨، ١٦٦
١١٣	﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ ...﴾	سورة الزخرف ٤٣	٦١	٢٩٢
١١٤	﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ...﴾	سورة الجاثية ٤٥	٢٦	٢٧٦
١١٥	﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴿٣٥﴾﴾	سورة الأحقاف ٤٦	٣٥	٢٤٤
١١٦	﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ ...﴾	سورة الفتح ٤٨	٢٩	٣٤٨، ٣٨١
١١٧	﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ ...﴾	سورة الحجرات ٤٩	٩	٤٣٨
١١٨	﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ...﴾	سورة الحجرات ٤٩	١٤	٤٢٠
١١٩	﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾	سورة ق ٥٠	٤	٣٢٠، ٣٢٢
١٢٠	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ ﴿١٦﴾﴾	سورة ق ٥٠	١٦	٣٢١
١٢١	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ...﴾	سورة ق ٥٠	٣٨	١٦٦
١٢٢	﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن ...﴾	سورة ق ٥٠	٤٥	٣٢١
١٢٣	﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ ...﴾	سورة الذاريات ٥١	٣٥-٣٦	٤٢٠
١٢٤	﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	سورة الذاريات ٥١	٥٦	٢٦٤
١٢٥	﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾	سورة الطور ٥٢	٣٥	٤٢

م	طرف الآية	السورة ورقمها	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٦	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾	سورة النجم ٥٣	٤	٢٨٢
١٢٧	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾	سورة النجم ٥٣	٤	٢٨٢، ٤٥٢
١٢٨	﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ (٢٦)﴾	سورة القمر ٥٤	٢٦	٢٧٩
١٢٩	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾	سورة القمر ٥٤	٤٩	٣١٦
١٣٠	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾	سورة القمر ٥٤	٤٩	٣١٦
١٣١	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ...﴾	سورة الحديد ٥٧	٢٥	٢٣٧
١٣٢	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ...﴾	سورة الحديد ٥٧	٢٥	٢٣٧
١٣٣	﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا ...﴾	سورة الحشر ٥٩	٨	٣٦١
١٣٤	﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا ...﴾	سورة الحشر ٥٩	٨	٣٦١
١٣٥	﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا ...﴾	سورة الحشر ٥٩	٩	٣٦٤
١٣٦	﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا ...﴾	سورة الحشر ٥٩	٩	٣٦٤
١٣٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ...﴾	سورة الحشر ٥٩	١٨	٢٧٩
١٣٨	﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ...﴾	سورة الحشر ٥٩	٢٢-٢٤	٢٢٠
١٣٩	﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ...﴾	سورة الحشر ٥٩	٢٢-٢٤	٢٢٠
١٤٠	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ...﴾	سورة الجمعة ٦٢	٩	١٣٧
١٤١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ...﴾	سورة الجمعة ٦٢	٩	١٣٧
١٤٢	﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾	سورة التغابن	١١	٣١٨

م	طرف الآية	السورة ورقمها	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥٩	﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾	سورة الجن ٧٢	١٩	٢٦٤
١٦٠	﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾	سورة الجن ٧٢	١٩	٢٦٤
١٦١	﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾	سورة المدثر ٧٤	٣١	١٨٠
١٦٢	﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾	سورة المدثر ٧٤	٣١	١٨٠
١٦٣	﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١﴾	سورة القيامة ٧٥	١	٢٧٦
١٦٤	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾	سورة الإنسان ٧٦	٣٠	٣٢٤
١٦٥	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾	سورة الإنسان ٧٦	٣٠	٣٢٤
١٦٦	﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ...﴾	سورة النبأ ٧٨	٣٨	٢٧٦
١٦٧	﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾	سورة النبأ ٧٨	٣٨	٢٧٧
١٦٨	﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾	سورة النازعات ٧٩	٥	٦٢
١٦٩	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾	سورة التكوير ٨١	٢٩	٣٣٣
١٧٠	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾	سورة التكوير ٨١	٢٩	٣٣٣
١٧١	﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾	سورة المطففين ٨٣	٦	٢٧٦
١٧٢	﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾	سورة المطففين ٨٣	٦	٢٧٧
١٧٣	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾	سورة البينة ٩٨	٥	١٠٨

٢- فهرس الأحاديث

٣- فهرس الكلمات الغريبة

٤- فهرس الأعلام

٥- فهرس المصادر والمراجع

أولاً/ القرآن الكريم.

ثانياً/ الكتب المطبوعة.

١-إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، لحمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

٢- إثبات صفة العلو، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو مُحَمَّد، تحقيق بدر عبد الله البدر، الدار السلفية - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣- اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، حققه زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ.

٤- إثبات علو الله ومباينته لخلقه والرد على من زعم أن معية الله للخلق ذاتية، حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري، مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٥- إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام. ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية.

٦- المعْلم بفوائد مسلم. أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي، حققه فضيلة الشيخ مُحَمَّد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م. والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١م.

٧- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، ت: ١٤٢٠هـ. أشرف علي طباعته زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي — بيروت الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي مُحَمَّد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.

٩- أصول السنة، لأبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، دار المنار - الخرج - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٠- أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عيسى بن مُحَمَّد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن مُحَمَّد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

١١- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، الكتاب نشر - أيضا - بعنوان: ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، حققه حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ.

١٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ، تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – ييروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٣- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، حققه مُحَمَّد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٤- إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان، حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري، مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، سنة النشر ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن مُحَمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٦- الإبانة الكبرى لابن بطة، أبي عبد الله عبيد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، حققه رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

١٧- الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع، لمحمد بن صالح العثيمين، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية طا لسادسة ١٤٣٣هـ.

١٨- الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار الحديث — القاهرة.

١٩- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، حققه عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

٢٠- الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم مُحَمَّد عطا، مُحَمَّد علي معوض الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ — ٢٠٠٠.

٢١- الاستغاثة في الرد على البكري، لابن تيمية، دراسة وتحقيق: د. عبد الله بن دجين السهلي مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٢٢- الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق د. مُحَمَّد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣.

٢٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٤- الأسماء والصفات للبيهقي، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبي بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه عبد الله بن مُحَمَّد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٢٥- الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى مُحَمَّد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.

٢٦- الاعْتِصَام. لإبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، حققه مُحَمَّد بن عبد الرحمن الشقير، و سعد بن عبد الله آل حميد، و هشام بن إسماعيل الصيني الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٧- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، للبيهقي، حققه أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

٢٨- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - مايو ٢٠٠٢م.

٢٩- الإفصاح عن معاني الصحاح، لأبي المظفر، عون الدين يحيى بن، هُبَيْرَة بن، مُحَمَّد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، ، حققه فؤاد عبد المنعم أحمد الناشر: دار الوطن سنة النشر: ١٤١٧هـ.

٣٠- الإلحاد، وثوقية التوهم، وخواء العدم، لحسام الدين حامد. ط الاولى١٤٣٦هـ-٢٠١٥م مركز تفكر للبحوث والدراسات.

٣١- الإنصاف، لأبي بكر مُحَمَّد بن الطيب بن مُحَمَّد بن جعفر بن القاسم. القاضي الباقلاني المالكي.

٣٢- الإيمان بالقضاء والقدر، لمحمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة.

٣٣- القضاء والقدر، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الثالثة عشر ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣٤- الإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سلام مكتبة المعارف-الرياض ط الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٥- الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، حققه عثمان أحمد عنبر، دار الهدى - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ — ١٩٧٨.

٣٦- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، حققه صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر- بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ.

٣٧- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٣٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار المعرفة — بيروت.

٣٩- البدع والنهي عنها، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي، حققه عمرو عبد المنعم سليم. مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر، مكتبة العلم. جدة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

٤٠- التاريخ الكبير، مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله. ت: ٢٥٦هـ. الطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: مُحَمَّد عبد المعيد خان.

٤١- التبرك-أنواعه. وأحكامه، لناصر بن عبدالرحمن الجديع.

٤٢- التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير، لأبي إبراهيم عز الدين مُحَمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن مُحَمَّد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب، مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض - المملكة الْعَرَبِيَّة السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

٤٣- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،ل مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر — تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٤٤- التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لابن تيمية، حققه د. مُحَمَّد السعوي، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٤٥- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، حققه الدكتور: الصادق بن مُحَمَّد بن إبراهيم. مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.

٤٦- القيامة الصغرى، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤١١ هـ — ١٩٩١

٤٧- القيامة الكبرى، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٤٨- العاقبة في ذكر الموت، لعبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط، حققه خضر مُحَمَّد خضر، مكتبة دار الأقصى - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

٤٩- أشراط الساعة، ليوسف بن عبدالله الوابل، دار ابن الجوزي.

٥٠- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن مُحَمَّد بن نصر الله القرشي، أبي مُحَمَّد، محيي الدين الحنفي، مير مُحَمَّد كتب خانه -كراتشي.

٥١- التصريح بما تواتر في نزول المسيح، لمحمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، حققه عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب - ودار القرآن الكريم بيروت، الطبعة الطبعة الثالثة - ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م.

٥٢- التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٣- التمسك بالسنن والتحذير من البدع، لشمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: مُحَمَّد باكريم مُحَمَّد باعبد الله. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٥٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر. حققه مصطفى بن أحمد العلوي، مُحَمَّد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، سنة النشر ١٣٨٧ هـ.

٥٥- التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، للصنعاني. حققه د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم. مكتبة دار السلام. الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

٥٦- التوسل أنواعه وأحكامه. لأبي عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم. الأشقودري الألباني، حققه مُحَمَّد عيد العباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٥٧- التوصل إلى حقيقة التوسل - المشروع والممنوع، لأبي غزوان، مُحَمَّد نسيب بن عبد الرزاق بن محيي الدين الرفاعي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٥٨- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق — سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٥٩- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، أبو عبد الله. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي.

٦٠- التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين مُحَمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦١- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، حققه أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٦٢- الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي، حققه عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٦٣- الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح، لابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن مُحَمَّد، دار العاصمة، السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٦٤- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، لشمس الدين أبي الخير مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن مُحَمَّد السخاوي، المحقق: إبراهيم

باجس عبد المجيد الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٦٥- الحبائك في أخبار الملائك، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حققه مُحَمَّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٦٦- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن مُحَمَّد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبي القاسم. الملقب بقوام السنة، حققه مُحَمَّد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦٧- الحوض والصراط والميزان بين أهل السنة والمخالفين، لمحمد إبراهيم عبدالله عوض، وهي رسالة علمية، نال بها الباحث درجة العالمية، الماجستير، بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية بغزة.

٦٨- الدر المنثور، للسيوطي، دار الفكر — بيروت.

٦٩- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم. الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ١٩٩٦م.

٧٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، حققه مراقبة مُحَمَّد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

٧١- الدلالات العقدية لألقاب الولاة، د مُحَمَّد أبوسيف الجهني- دار الامام مسلم. الطبعة الثانية ١٤٣٨هـ.

٧٢- الذيل على جزء بقي بن مخلد من أحاديث الحوض، مطبوع مع كتاب الحوض والكوثر لبقي بن مخلد، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن

بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي، حققه د.عبد القادر مُحَّد عطا صوفي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣.

٧٣- الرد على الجهمية والزنادقة، لأبي عبد الله أحمد بن مُحَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، حققه صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع.

٧٤- الرد على المنطقيين لابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت.

٧٥- الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٧٦- الاحتجَاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، لحمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

٧٧- الرسل والرسالات، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤١٠ هـ — ١٩٨٩.

٧٨- دلائل النبوة، للبيهقي، حققه د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٧٩- الروح، لابن القيم، عالم الفوائد.

٨٠- السنة، لأبي بكر أحمد بن مُحَّد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي، حققه د. عطية الزهراني، دار الراية – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٨١- الإيمان، لأبي عبد الله مُحَّد بن إسحاق بن مُحَّد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي، حققه د. علي بن مُحَّد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٨٢- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق ودراية: أ. د. عبد الله بن سلمان الأحمدي، دار طيبة - الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ.

٨٣- السنة، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، حققه سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨٤- السنن الكبرى للبيهقي، مجلس دائرة المعارف العمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، الطبعة الأولى ١٣٥٢: ١٣٥٥ هـ.

٨٥- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام. لأبي عبد الله. مُحَمَّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، تحقيق ودراسة وتعليق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر - قطر الدوحة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

٨٦- السنن الكبرى للنسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨٧- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لمحمد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن حزم. الطبعة الطبعة الأولى.

٨٨- الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر مُحَمَّد زكريا، وهي رسالة ماجستير، نُوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ط الرشد.

٨٩- الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة السنة الحادية عشرة- العدد الرابع- ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٩٠- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، حققه مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

٩١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، حققه أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٩٢- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن مُحَمَّد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٩٣- العرش، للذهبي، المحقق: مُحَمَّد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.

٩٤- العظمة، لأبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، حققه رضاء الله بن مُحَمَّد إدريس المباركفوري، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٩٥- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، للذهبي، حققه أبو مُحَمَّد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٩٦- الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٩٧- الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، لمحمد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني، حققه ورتبه: أبو مصعب «مُحَمَّد صبحي» بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء — اليمن.

٩٨- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، تحقيق: د. عبدالرحمن بن عبدالكريم اليحيى، الناشر: دار الفضيلة — الرياض.

٩٩- الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، لأبي مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي — القاهرة،

١٠٠- الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

١٠١- القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٠٢- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ومذاهب الناس فيه، لعبدالرحمن المحمود، طبعة مدار الوطن، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٠٣- القضاء والقدر، للبيهقي، حققه مُحَمَّد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان - الرياض السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٠٤- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، نونية ابن القيم، لابن القيم. حققه مُحَمَّد بن عبد الرحمن العريفي، وناصر بن يحيى الجنيني، وعبد الله بن عبد الرحمن الهذيل، و فهد بن علي المساعد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

١٠٥- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكفوي، أبي البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش - مُحَمَّد المصري، مؤسسة الرسالة — بيروت.

١٠٦- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م. طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٠٧- الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم. المسمَّى:، الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، مراجعة: لجنة من العلماء، دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٠٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي مُحَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، حققه عبد السلام عبد الشافي مُحَّد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٠٩- المحلى بالآثار، لابن حزم الظاهري، الناشر: دار الفكر — بيروت.

١١٠- المختصر في عقيدة أهل السنة في القدر، لإبراهيم بن عامر الرحيلي، دار الامام أحمد، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

١١١- المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي، حققه د. مُحَّد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي — الكويت.

١١٢- المرويات عن النبي ' في خطب الجمعة والعيدين والمناسبات الإسلامية،، للباحث عبدالملك بن سالم بن حمود السيابي، وهي رسالة ماجستير في قسم الحديث بالجامعة الأردنية.

١١٣- المسائل العقدية المتعلقة بآدم. ألطاف الرحمن بن ثناء الله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١١٤- المسائل العقدية المتعلقة بالحسنات والسيئات، لصالح بن عبد العزيز سندي-دار اللؤلؤة الطبعة: الأولى ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

١١٥- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم مُحَّد بن عبد الله بن مُحَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم النيسابوري المعروف بابن البيع، حققه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ — ١٩٩٠.

١١٦- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، اسم المؤلف: ابن حجر العسقلاني، دار العاصمة، دار الغيث - الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١١٧- المعين على تفهم الأربعين، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، حققه الدكتور دغش بن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولي - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

١١٨- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن مُحَّد المعروف بالراغب الأصفهانى، حققه صفوان عدنان الداودي، دار القلم. الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ.

١١٩- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لأبي حامد مُحَّد بن مُحَّد الغزالي الطوسي، حققه بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي - قبرص، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م.

١٢٠- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العبَّاس أحْمَدُ بنُ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ، الأنصاريُّ القرطبيُّ .

١٢٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي — بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ.

١٢٣- الميسر في شرح مصابيح السنة، لفضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف أبي عبد الله. شهاب الدين التُّورِبِشْتِي، حققه د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ.

١٢٤- النبوات، لابن تيمية. حققه د.عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.

١٢٥- النهاية في الفتن والملاحم موافق للمطبوع، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية - لبنان بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٢٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود مُحَمَّد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،.

١٢٧- النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، لضياء الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الواحد المقدسي، حققه د. مُحَمَّد أحمد عاشور - م. جمال عبدالمنعم الكومي، الدار الذهبية - مصر - القاهر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.

١٢٨- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث — بيروت.

١٢٩- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، حققه مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.

١٣٠- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، حققه علي بن مُحَمَّد العمران، دار عالم الفوائد.

١٣١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حققه مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية - لبنان صيدا.

١٣٢- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٣٣- تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، المحقق: سيد كسروي حسن الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

١٣٤- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، للذهبي، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

١٣٥- تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، حققه الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

١٣٦- تأويل مختلف الحديث، لأبي مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق، الطبعة الثانية- ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٣٧- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، المؤلف: حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ.

١٣٨- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، ت ٦٨٥هـ. حققه لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، سنة النشر ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.

١٣٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا مُحَمَّد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية — بيروت.

١٤٠- تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، لصلاح الدين أبي سعيد خليل ابن عبد الله الدمشقي العلائي، حققه عبد الرحيم مُحَمَّد أحمد القشقري، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٤١- تخريج العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

١٤٢- تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري المؤلف: لأبي ياسر مُحَمَّد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٤٣- تذكرة الحفاظ تأليف: مُحَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.

١٤٤- تصحيح الدعاء، لبكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة.

١٤٥- الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، بقلم: أبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي.

١٤٦- تعظيم قدر الصلاة، لأبي عبد الله مُحَّد بن نصر بن الحجاج المرْوَزِي، حققه د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٤٧- الصلاة وأحكام تاركها، مُحَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ. الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.

١٤٨- تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، مُحَّد بن صالح بن مُحَّد العثيمين، حققه أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. مكتبة أضواء السلف، الطبعة الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٤٩- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السعود العمادي مُحَّد بن مُحَّد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي — بيروت.

١٥٠- تفسير الجلالين، لجلال الدين مُحَّد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى.

١٥١- تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر ١٩٩٠ م.

١٥٢- تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن مُحَّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٥٣- تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن مُحَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني، حققه مُحَّد عوامة، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ — ١٩٨٦.

١٥٤- تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.

١٥٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبي الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي مُحَّد القضاعي الكلبي المزي، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م.

١٥٦- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور، حققه مُحَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٥٧- توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام. لأبي عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن مُحَّد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي، مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، الطبعة الخامِسَة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٥٨- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن مُحَّد بن عبد الوهاب، حققه زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

١٥٩- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام للبسام، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: مُحَّد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الصحابة، الإمارات - مكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.

١٦٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة.

١٦١- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للسعدي، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٦٢- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبي جعفر الطبري، المحقق: أحمد مُحَمَّد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٦٣- جامع الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان سنة النشر: ١٩٩٦: ١٩٩٨م.

١٦٤- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم. لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، حققه شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٦٥- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، حققه أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

١٦٦- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ. الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.

١٦٧- حاشية السندي على سنن ابن ماجه =كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه. مُحَمَّد بن عبد الهادي التتوي، أبي الحسن، نور الدين السندي، دار الجيل — بيروت.

١٦٨- حاشية السندي على سنن النسائي، مطبوع مع السنن، للسندي، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ — ١٩٨٦.

١٦٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي، حققه مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

١٧٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٧١- الشريعة، لأبي بكر مُحَمَّد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغداديحققه الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن - الرياض السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٧٢- خطب مختارة من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

١٧٣- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: فهد بن سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٥ هـ.

١٧٤- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق: الدكتور مُحَمَّد رشاد سالم، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م.

١٧٥- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لمحمد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز - جدة، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

١٧٦- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني. حققه الدكتور مُحَمَّد رواس قلعجي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٧٧- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد علي بن مُحَمَّد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٧٨- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، ابن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٧٩- ذم الكلام وأهله. لأبي إسماعيل عبد الله بن مُحَمَّد بن علي الأنصاري الهروي، حققه عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

١٨٠- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، حققه د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٨١- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، حققه: د. عبد الله شاكر مُحَمَّد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: ١٤١٣هـ.

١٨٢- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، للصنعاني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ. حققه مُحَمَّد ناصر الدين الألباني.

١٨٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، حققه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٨٤- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية، حققه مُحَمَّد عزير شمس الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

١٨٥- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي — بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٨٦- زاد المعاد، لابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

١٨٧- زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه. لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار كنوز إشبيليا ط الثانية١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م.

١٨٨- سبل السلام، للصنعاني، دار الحديث.

١٨٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.

١٩٠- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للألباني، دار المعارف، الرياض - الممكلة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.

١٩١- مسند أبي يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث - دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٩٢- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني، الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

١٩٣- سنن أبي داود، ط الرسالة العالمية، تحقيق شعَيب الأرنؤوط و مُحَمَّد كامِل قره بللي، وطبعة المكتبة العصرية.

١٩٤- سنن النسائي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٩٥- سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.

١٩٦- شأن الدعاء، لأبي سليمان حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، حققه أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة، الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

١٩٧- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن مُحَمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٩٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن مُحَّد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبي الفلاح، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٩٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، حققه أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة - السعودية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٢٠٠- شرح الأربعين النووية، لمحمد بن صالح بن مُحَّد العثيمين، ت: ١٤٢١هـ. دار الثريا للنشر.

٢٠١- شرح الأصبهانية، لابن تيمية، المحقق: مُحَّد بن عودة السعوي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

٢٠٢- شرح السنة، للحسن بن علي بن خلف البربهاري أبي مُحَّد، دار ابن القيم - الدمام. الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، حققه د. مُحَّد سعيد سالم القحطاني

٢٠٣- شرح السنة، للبغوي، حققه شعيب الأرنؤوط-مُحَّد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٠٤- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى ب، الكاشف عن حقائق السنن، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، حققه د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٠٥- شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٠٦- شرح العقيدة الطحاوية، لمحمد بن علاء الدين عليّ بن مُحَّد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، حققه شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

وكذلك ط: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة، عن مطبوعة المكتب الإسلامي، الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. حققه جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني.

٢٠٧- معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، لبكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ -١٩٩٦ م.

٢٠٨- شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح بن مُحَمَّد العثيمين، خرج أحاديثه سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة، ١٤٢١ هـ.

٢٠٩- شرح الفقه الأكبر، للملا علي قاري ط دار الكتب العلمية ط الاولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٢١٠- شرح القصيدة النونية، لابن قيم الجوزية، شرح الدكتور مُحَمَّد خليل هراس، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ.

٢١١- شرح المعلقات السبع، لحسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

٢١٢- شرح حديث جبريل في تعليم الدين، لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.

٢١٣- شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح بن مُحَمَّد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة ١٤٢٦ هـ.

٢١٤- شرح صحيح البخارى لابن بطال، حققه أبو تميم ياسر بن إبراهيم. مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢١٥- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المسَمَّى إِكمَالُ المعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم. لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، ، حققه الدكتور يحْيَى

إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢١٦- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الشيخ عبدالعزيز الراجحي موقع الشيخ على الشبكة.

٢١٧- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، تحقيق وتعليق: عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه: مُحَّد إبراهيم الزغلي، دار الجيل — بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٢١٨- صب العذاب على من سب الأصحاب، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن مُحَّد بن أبي الثناء الألوسي، حققه عبد الله البخاري، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢١٩- صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان البُستي، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٢٠- صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر مُحَّد بن إسحاق بن خزيمة، دار الميمان - الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٢١- صحيح أبي داود، لأبي عبد الرحمن مُحَّد ناصر الدين، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٢٢٢- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الناشر: دار طوق النجاة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٢٣- صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٢٤- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوي، دار الجيل - بيروت (مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ).

٢٢٥- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الدرر السنية - دار الهجرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.

٢٢٦- صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، لعثمان بن عبد الرحمن، أبي عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، حققه موفق عبدالله عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٢٢٧- طبقات الحفاظ، للسيوطي، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٢٨- طبقات الحنابلة، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، مُحَّد بن مُحَّد، حققه مُحَّد حامد الفقي، دار المعرفة — بيروت.

٢٢٩- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لابن رجب الحنبلي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٢٣٠- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: د. محمود مُحَّد الطناحي د. عبد الفتاح مُحَّد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٣١- طبقات الشافعية، لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبي مُحَّد، جمال الدين، حققه كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٢٣٢- طبقات الشافعيين، لابن كثير، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د مُحَّد زينهم مُحَّد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٢٣٣- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، لأبي مُحَّد عبد الله بن مُحَّد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، المحقق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٢ — ١٩٩٢.

٢٣٤- طبقات المفسرين، لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية - بيروت دار الكتب العلمية — بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

٢٣٥- طبقات النحويين واللغويين، المؤلف: لأبي بكر مُحَمَّد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، المحقق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم.

٢٣٦- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، تحقيق: مُحَمَّد أجمل الإصلاحي خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

٢٣٧- عالم الملائكة الأبرار، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٢٣٨- عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: السنة الأولى، العدد الثالث، ذو القعدة ١٣٨٨هـ.

٢٣٩- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ﭫ. أصل الكتاب رسالة دكتوراه. ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

٢٤٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي مُحَمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت.

٢٤١- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته. لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبي عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٢٤٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٤٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٢٤٤- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب مُحَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، عني بطبعهِ عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، سنة النشر ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٤٥- فتح القدير، للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٢٤٦- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن بن مُحَّد بن عبدالوهاب، دار عالم الفوائد ط الحادية عشرة ١٤٢٤هـ. المحقق د الوليد بن عبدالرحمن بن مُحَّد آل فريان.

٢٤٧- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام. لمحمد بن صالح العثيمين، حققه وعلق عليه صبحي بن مُحَّد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٢٤٨- فتح رب البرية بتلخيص الحموية، لمحمد بن صالح بن مُحَّد العثيمين، ت: ١٤٢١هـ. دار الوطن للنشر، الرياض.

٢٤٩- فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض صلوات الله عليهم. لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، اعتنى به: مُحَّد بن خليفة الرباح، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢٥٠- فضائل الصحابة، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٥١- فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: د. وصي الله مُحَمَّد عباس الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م .

٢٥٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين مُحَمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

٢٥٣- قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، للألباني، المكتبة الإسلامية - عمان — الأردن، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ.

٢٥٤- كتاب التعريفات، لعلي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت —لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٥٥- كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، لعبد الرحمن بن حسن بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، حققه بشير مُحَمَّد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ١٩٩٠م.

٢٥٦- كتاب التوحيد، لأبي بكر مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة، حققه سمير بن أمين الزهيري الناشر: دار المغني - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

٢٥٧- كتاب السنة، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: لمحمد ناصر الدين الألباني، لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٢٥٨- كشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، المحقق: علي حسين البواب الناشر: دار الوطن – الرياض.

٢٥٩- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقدار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢٦٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، سنة النشر ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٢٦١- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، لأبي العون مُحَمَّد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٢٦٢- لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية «شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية»، لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، حققه عبد الله بن مُحَمَّد بن سليمان البصيري، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٢٦٣- ما روي في الحوض والكوثر، لأبي عبد الرحمن بقي بن مخلد بن يزيد الأندلسي القرطبي، حققه عبد القادر مُحَمَّد عطا صوفي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٦٤- مباحث المفاضلة في العقيدة، مُحَمَّد بن عبدالرحمن ابو سيف الجهني، دار ابن عفان.

٢٦٥- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٢٦٦- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، المحقق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤.

٢٦٧- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، حققه مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.

٢٦٨- محاضرات في الإيمان بالملائكة، لمحمد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني، دار الامام مسلم. الطبعة الثانية ١٤٣٨هـ.

٢٦٩- مختصر الصواعق للموصلي، دار الحديث.

٢٧٠- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، المحقق: مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٢٧١- مذكرة التوحيد، لعبد الرزاق عفيفي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٧٢- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان مُحَمَّد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٧٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، حققه شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، أشرف علي طباعته د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. وأيضاً ط جمعية المكنز الإسلامي- دار المنهاج، الطبعة الأولى١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٢٧٤- مسند الدارمي، المعروف بسنن الدارمي، لأبي مُحَمَّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، حققه حسين

سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٧٥- مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، لأبي عبد الله. ولي الدين، التبريزي، حققه مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.

٢٧٦- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، حققه عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام. الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٢٧٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لمحيي السنة، أبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي، حققه حققه وخرج أحاديثه مُحَمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٧٨- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية - حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

٢٧٩- معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، لعبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم. دار الفرقان.

٢٨٠- معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحمويالمحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٢٨١- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٢٨٢- معجم الصحابة، للبغوي، المحقق: مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان – الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٨٣- معجم المفسرين،، لعادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٨٤- معجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن مُحَمَّد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٨٥- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين، المحقق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٨٦- معرفة الصحابة لابن منده، حققه وقدم له وعلق عليه: الدكتور عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٨٧- معرفة الصحابة،لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢٨٨- معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، لعثمان بن عبد الرحمن، أبي عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، حققه نور الدين عتر، دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، سنة النشر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٨٩- منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، للحافظ العلائي، ط: دار العاصمة.

٢٩٠- معنى الربوبية وأدلتها، وأحكامها، وإبطال الإلحاد فيها، لمحمد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني.

٢٩١- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٢٩٢- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، تحقيق: عبد الرحمن حسن قائد الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

٢٩٣- مَقَاصِدُ المكَلفينَ فيمَا يُتعَبَّدُ به لِرَبِّ العَالمين، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٢٩٤- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية، المحقق: مُحَمَّد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٢٩٥- موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مجموعة من الأكاديميين والباحثين المختصين في جامعات العالم. دار التوحيد الطبعة الاولى: ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

٢٩٦- موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرنًا، لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش — المغرب.

٢٩٧- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

٢٩٨- نزهة الأسماع في مسألة السماع، لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي، دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٦، حققه وليد عبد الرحمن الفريان.

٢٩٩- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لأبي الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني، حققه عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٠٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥، هـ - ١٩٩٥ م تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.

٣٠١- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بالكتاني. حققه شرف حجازي، دار الكتب السلفية - مصر، الطبعة الثانية.

٣٠٢- نيل الأوطار، للشوكاني، حققه عصام الدين الصبابطي الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٠٣- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، ط دار القلم- الدار الشامية.

٣٠٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان ، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر — بيروت.

٦- فهرس الموضوعات